



٢٢٢

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

السعر العربي في غزني في فريقنا عند الاستغفار الاستغفار ونيجريا

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

١٤٠٠

اعداد
الطالب / عبد الصمد عبد الله محمد

امراف

الدكتور / عبد الباق عبد الله حسين



الإهداء

إلى والديَّ العزيزين اللذين وقفاني على دراسة العلوم
الإسلامية لأشركهم بدوري في رفع راية التوحيد في ربوع
غزني أفريقيا .

وإلى كل من تهمة رفعة الإسلام والمسلمين ،
أهدي هذا العمل .

عبد الصمد عبد الله محمد

شکر و تقدر
بیست

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى المنعم المتفضل ، والصلاة والسلام
على الهادي البشير نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم
الى يوم الدين . وبعد :

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر
الله " ، وعليه فاني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لـ "استاذي الجليل
الدكتور عبد البصير عبد الله حسين ، الذي تعلمت منه حرية الرأي والاستقلال
في التفكير قبل أن آخذ من علمه الغزير وملاحظاته الدقيقة وتوجيهاته الماثبة
الكثير الكثير ، وقد استفدت من علمه أيما استفادة فاليه أقدم خالص شكرى
ووافر امتناني ، والى الله أضرع أن ينسأ في عمره ويكسيه حلل الصحة
والعافية .

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان بالجميل الى معالي مدير جامعة
أم القرى ، تلك الجامعة الفتية التي هيأت لطلابها سبل التحصيل العلمي ،
كما أتقدم بالشكر والتقدير الى ادارة كلية اللغة العربية متحلة في عيدها
السابق الدكتور عليان بن محمد الحازمي وخلفه الدكتور محمد بن مريسي
الحارثي ووكيل الكلية الدكتور صالح جمال بدوي ورئيس قسم الدراسات
العليا العربية الدكتور حسن بن محمد باجودة ، الذين لا يألون جهدا في
توفير كل التسهيلات الممكنة لطلبة الكلية .

كما أشكر المشرفين على معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي
بالجامعة ومنسوبي المكتبة المركزية .

كما لا أنسى ذوى الفضل عليّ في كل من السنغال ونيجيريا الذين
سهلوا لي سبل الحصول على المخطوطات النادرة التي سهلت لي متابعة
بحثي واخراجه الى حيز الوجود .

فالى هؤلاء جميعا والى كل من قدم اليّ يد العون أو المشورة
أقدم شكرى وتقديرى وأسأل الله العليّ القدير أن يجزيهم عني خير الجزاء
والحمد لله رب العالمين ،،،

الفرق

ثم آن للغراس أن يثمر . . ففاضت قرائحهم في شتى مناحي الثقافة العربية الاسلامية ، وكان الحصاد وافرا غزيرا ، منه ما يتصل بحقل العقيدة والفقه ، ومنه ما يتصل بحقل علوم العربية من نحو وصرف صلاغة وعروض ، ومنه ما يتصل بحقل المعارف الانسانية من تاريخ وتراجم وسير ، ومنه ما يتصل بحقل فنون الادب من شعرونثر . . وظل الخالفون منهم يضيفون الى تراث السالفين . . في مختلف المناحي الروحية والعقلية والفنية لا يفترون . . ولكن بعد ديارهم عن المصدر الثقافي الام في الشرق ، ضرب حصار العزلة على حصاد معارفهم ، حتى ما يعرف عنها في بقاع الاسلام في الشرق بخاصة الا اقل القليل . . ثم ساعد على ذلك مؤامرات المستعمرين من أهل الغرب الذين يحرصون أشد الحرص على قطع ما أمر الله به أن يوصل بين أهل الاسلام . . وامعانا منهم في الكيد نقلوا أمهات المخطوطات التي تمثل النشاط العقلي والادبي الى مكتباتهم في أوربا . . ثم قاموا بترجمة ما يهمهم منه الى لغاتهم ، ليكونوا على معرفة تامة بمزاج القوم ونفسياتهم ، حتى يسهل عليهم تسييسهم واحكام تغييبهم تحت ستار مسدل في ظلمات الاستعمار .

وهكذا تم حجب الثقافة العربية الاسلامية في منطقة غربي أفريقيا تحت ثقل عاملين شديدي الوطأة : أحدهما بعد الشقة عن الثقافة الام في الشرق العربي الاسلامي ، والثاني مؤامرات المستعمرين الخبيثة التي ترتبط مصالحهم بحجب هذه الثقافة . .

ولما كنت متشرفا بانتسابي الى جامعة أم القرى بمكة المكرمة التي هي السويداء من قلب العالم العربي الاسلامي . . ومن ثم التحقت بكلية اللغة العربية من هذه الجامعة الفتية ، ثم تخصصت

بقسم الأدب من هذه الكلية ، منطلقا منه الى قسم الدراسات العربية العليا بتوفيق من الله ، ثم آن لي أن أختار موضوعا أبحثه لنيل درجة الماجستير ، فكانت كل الظروف الموضوعية تحتم علي أن يكون بحثي في حقل الثقافة العربية الأفريقية في هذه المنطقة النائية التي ضرب حصار العزلة حوله تراثها ..

من أجل ذلك كله كان موضوع دراستي : " الشعر العربي في غرب أفريقيا منذ الاستعمار " ، وقد وقفته على السنغال ونيجيريا فحسب ، حتى تأخذ الدراسة حقها من الشمول والعمق بعون من الله وتوفيقه تاركا بقية المنطقة لفرصة تالية اذا أذن الله تبارك وتعالى ..

ولا بد من الإشارة الى أن هنالك ثلاثة باحثين قد كان لهم فضل السبق الى العناية بهذا الموضوع ، أولهم الدكتور علي أبو بكر بأطروحة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان " الثقافة العربية في نيجيريا " . وقد لاحظت أن رسالته جنحت الى الاجمال فيما يخص الثقافة العربية بصفة عامة والشعر العربي بصفة خاصة .

ثم تلاه الدكتور أحمد سعيد غلارنت بأطروحة أخرى بعنوان : " حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا " .

وقد لاحظت أنه قد طغى الحس التاريخي على الجانب الفني في رسالته ، مهلا الرجوع الى كنوز من المخطوطات التي تضمنت نماذج فنية من الشعر البالغ الأهمية .

ثم تلاهما الباحث سركي ابراهيم فدرس " فن الرثاء " عند شعراء ولاية كانوفي القرن العشرين .. في أطروحة لنيل درجة الماجستير ..

وكانت دراسته أكثر تخصصا من سابقه وأبعد تعمقا ، وقد ساعده على ذلك اقتصار الدراسة على فن واحد من فنون الشعر وفي بيئة واحدة من بيئات نيجيريا المتباينة . . هذا فيما يخص نيجيريا .

أما في السنغال ، فقد كان للدكتور عامر صبح فضل سبق في جمع بعض التراث الشعري العربي للسنغال بعنوان " الأدب السنغالي العربي " .

غير أن جمعه للنصوص كان متورا شديدا النقص ، فقد غابت عنه كثرة كثيرة من النصوص التي حجبها عنه المخطوطات التي لم تصل إليه يد . فضلا من أنه لم يعن بتحقيق النصوص ودراستها فنيا ، ويكفيه فضل سبق . . ويعلم الله وحده كم بذلت من جهد في سبيل الحصول على المخطوطات التي قصرت دون الحصول عليها إلا خوة الفضلاء من الباحثين السابقين .

هذا . . وقد واجهت صعوبات وعقبات في سبيل انجاز هذا البحث . . منها أن مادة الدراسة لهذا الموضوع لا يزال أغلبها مخطوطات متناثرة بين مكتبات أوروبا وجامعات غربي أفريقيا وعلماؤها المتناثرين في مدنها وقراها كما سبق أن أشرت . . فكان لزاما علي أن أجمع المواد من مظانها ، فكأهدت في سبيل ذلك ثلوج أوروبا في فصل الشتاء مثلة في بريطانيا وفرنسا ، كما عانيت نصب السفر بين قرى نيجيريا والسنغال من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال . . وكان حتما علي تحقيق النصوص أولا ثم دراستها ثانيا ، فكنت في هذه الدراسة محققا ودارسا في آن واحد . وقد استعنت بالله رغم صعوبة الطريق فكان لي في ذلك جهد المقل مع هذا المستطاع .

وقد اقتضت طبيعة البحث الذى تسير فيه الدراسة في اتجاهين أحدهما تاريخي والآخر فني تحليلي للشعر ، أن أقسم الرسالة السرى تمهيد وبابين رئيسيين وخاتمة .

أما التمهيد : فيتناول الجانب التاريخي عن " فجر الاسلام في غربى أفريقيا " ، ويرصد البحث فيه القضايا الآتية :

- أ - الاشرقة الأولى للدين الحنيف على هذه المنطقة .
 - ب - مدى انتشار اللغة العربية في هذه البلاد في ظل الاسلام .
 - ج - تشرف المسلمين من أهل المنطقة بدعوة المالك الرثنية المجاورة الى الاسلام .
 - د - جهاد المعاندين منهم .
 - هـ - كفاح المستعمرين .
- وأما الباب الأول : فيتناول " حياة الشعر العربى في غربى أفريقيا " .

وانقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول :

يتناول الفصل الأول منه " نشأة الشعر العربى في غربى أفريقيا " معالجا القضايا الآتية :

- أ - المناخ الثقافى الذى نشأ فيه الشعر العربى في غربى أفريقيا .
- ب - حالة اللغة العربية في تلك الفترة .
- ج - أهم المؤلفات العربية التى كانت تدرس في المساجد والزوايا والخلوات .
- د - أقدم النصوص الشعرية التى كانت متداولة بين طلاب العلم .
- هـ - مراكز الاشعاع للثقافة العربية الاسلامية في المنطقة .

ويتناول الفصل الثاني منه " الجذور الفنية للشعر العربي فسي

غربي أفريقيا معالجا القضايا الآتية :



٢٢٢

- أ - أثر الجاهليين في هذا الشعر .
- ب - أثر شعراء الخضرمة والاسلام .
- ج - أثر شعراء بني أمية .
- د - أثر المحدثين .
- هـ - أثر شعراء الدول المتتابعة .
- و - أثر شعراء العصر الحديث .

ويتناول الفصل الثالث منه " فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا "

معالجا القضايا الآتية :

- أ - الشعر الغنائي بأغراضه التقليدية من مدح ورثاء ووصف وفخر وهجاء وغزل بالإضافة إلى الشعر الاسلامي متشلا في جهاد الوثنيين والشعر الوطني مثلا في كفاح المستعمرين .
- ب - الشعر التعليمي بما يشمل من زهد ووعظ وإرشاد ومنظومات علمية .

أما الباب الثاني : فموضوعه " شعراء غربي أفريقيا "

ويقع هذا الباب في ثلاثة فصول كذلك :

يتناول الفصل الأول منه " شعراء السنغال " مترجما لأبرز

شعرائهم مع ذكر مختارات من أشعارهم .

ويتناول الفصل الثاني منه " شعراء نيجيريا " مترجما لأبرز

شعرائهم مع ذكر مختارات من أشعارهم .

ويتناول الفصل الثالث منه " الملامح المميزة للشعر العربي في

غربي أفريقيا معالجة القضايا الآتية :

- أ - أثر الروح الدينية على أشعارهم.
 - ب - الآفاق التي يستوحيون منها صورهم وأخيلتهم.
 - ج - أثر التكوين الثقافي في نسج أشعارهم.
 - د - حظ أفكارهم من العمق الذهني والتأمل الفلسفي .
 - هـ - موسيقى أوزان الشعر الأثرية في أشعارهم.
 - و - ملامح البيئة الأفريقية في هذا الشعر.
 - ز - كثرة استعمالهم للألفاظ الغريبة .
- ثم ينتهي البحث بخاتمة أسجل فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .
- والحمد لله في الأولى والآخرة ..،

تَحْمِيْدٌ

((فجر الاسلام في غربي أفريقيا))

أطلقت كلمة أفريقيا " AFRICA " قديما على الاقليم الذى يقابل الشمال الشرقى من الجمهورية التونسية حاليا . وكان معروفا باسم " ولاية أفريكا القنصلية لروما " وهو الذى عرب فيما بعد إلى " أفريقية " ، أطلقه العرب في بداية الأعر على كل ما يلي اقليم طرابلس غربا ، فتحدد مدلول هذا اللفظ " أفريقية " مقتصر على ما يلي طرابلس غربا حتى بجاية .

ثم أصبح يعني اقليم تونس (١) . وكان اللاتينيون في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد قد أطلقوا اسم " أفريكا " على القسم الذى خضع لنفوذ الفينيقيين من تونس الشمالية . وهو الجزء الذى كانت تقطنه قبائل " أفري " ، والمقصود به الجزء الذى جعلته روما ولاية لها بعد تدمير قرطاجنة سنة ١٤٦ ق م (٢) . ويرجع بعض الباحثين كلمة " أفريكا " الى أصل يوناني وأن " أفريكوس " مشتقة من اللفظ اليوناني " أفريكا " وهي جملة مكونة من حرف " T " ويفيد النفسي وكلمة " فريكا " وتعنى " البرد " أى البلاد التى لا برد فيها أو البلاد الحارة ، (٣) ثم أصبحت التسمية تشمل بقية القارة المعروفة الآن بالقارة الأفريقية .

(١) صبح الألفى في صناعة الانشا للقلقشندى ج ٩ ص ٩٩-١٠٩ ،
الموسسة المصرية العامة ، وكذا- Encyclopedia International
al p. 114

(٢) Encyclopedia Britanica p.128 and
Every man's encyclopedia p.118

(٣) Short Etymological dictionary & modern English
origin p.8 , and : A latin dictionary p.69.

أما غربي أفريقيا الذي هو هدفنا في هذه الدراسة ، فهو جزء ما كان يعرف قديما عند المؤرخين المسلمين ببلاد السودان ، ان أطلقوه على بلاد جنوبي الصحراء الكبرى ، كما أطلقوا على منطقة شمالي أفريقيا والصحراء " بلاد البيضان " وكانوا يقصدون ببلاد السودان المنطقة العريضة جنوبي الصحراء المستدة من المحيط الأطلسي في الغرب الى هضبة الحبشة في الشرق ، ومن الصحراء في الشمال الى الغابات الاستوائية في الجنوب .

والعرب أول من أطلق على هذه البلاد " بلاد السودان " مستوحية في ذلك لون بشرة السكان .

وقد قسم بعض الباحثين هذه البلاد الى ثلاثة أقسام رئيسية :

الأول : السودان الغربي ويشمل حوض السنغال وجمبيا وبركينا فاسو (١) والنيجر الأوسط .

الثاني : السودان الأوسط ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد أى أنه يمتد شرقي نهر نيجر حتى الحدود الغربية للسودان الشرقي .

الثالث : السودان الشرقي ، وهو المعروف الآن بسودان وادي النيل ، ويشمل مناطق النيل وروافده جنوبي بلاد النوبة . . وكان يعرف هذا القسم عند العرب بين القرن التاسع والثاني عشر الميلادي باسم " بلاد الزنج " وهي التسمية الغالبة عليه في تلك الفترة الا أن كلمة السودان كانت تشملها أيضا . (٢)

(١) فولتا العليا سابقا .

(٢) ملكة سنغاي في عهد الأسقيين ص ١٥ ، عبد القادر زبادية ،

طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .

أما غربي أفريقيا ، فيشمل السودان الغربي والوسط ، أي المنطقة الواقعة بين بحيرة تشاد شرقا والمحيط الأطلسي غربا ، وتحدها من الجنوب المناطق الاستوائية ، ومن الشمال المناطق الجنوبية للصحراء وتقع بين خطي عرض ٩° و ١٢° درجة شمال خط الاستواء .

وقد كانت تربط بين شمالي أفريقيا وغربيها علاقات قديمة تشهد لها أحداث التاريخ . . فقد وجدت عدة طرق للقوافل التجارية بين شمالي أفريقيا إلى غربيها عبر الصحراء الكبرى ، كانت بعض هذه الطرق من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر متجهة إلى الجنوب فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز التجارية الرئيسية في غربي أفريقيا مثل " غانة " القديمة وتبكتو ولايات الهوسا وكانم وهرنو وغيرها . . وقد تتصل بالصحراء ثم تتفرع وتتجه إلى جهات مختلفة .

فالقافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولا صوب المغرب ^{الطريق} إلى أوجلة ومرزوق وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس فيتجه بعضها نحو الجنوب إلى كانم " بواسطة بلما ، في حين أن بعض القوافل تستمر إلى ولايات الهوسا عن طريق أهير . (١)

وهناك ثلاثة طرق رئيسية تسرب منها الاسلام إلى غربي أفريقيا:

الأول : يبدأ من طرابلس مارا بفزان وكوار وينتهي في بر نوداغل نيجيريا .

الثاني : يبدأ من تونس وينتهي في كانو .

الثالث : يبدأ من تافللت في المغرب ويتفرع فرعين أحدهما يمر

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ٢ د / أحمد شيخو

غلانوشي ، رسالة دكتوراه .

بسجلماة وتفازة ، والاخر بتوات وأودغست . فيجتماعان في تهكتو
ومنها شرقا الى " كانو " .

وهذه الطرق تدل على العلاقات التجارية القديمة التي كانت تربط
بين شمالي أفريقية وغربيها ، تلك العلاقات التي وصفها الرحالة " هارت " ^(١)
بأنها أقدم ما يتصور . ويذكر بوفيل أربعة طرق أخرى رئيسة
كانت تربط بين الشمال والجنوب :

الأول : من سجلماة الى ولات ثم الى بلاد السنغال وأعالي نهر
النيجر حيث الذهب .

الثاني : من غدامس الى بلاد الهوسا الغنية عن طريق غايط وأهير .

الثالث : من طرابلس الى برنو ونهر تشاد مارة بفزان وكوار .

الرابع : من قورينه (Cyrenica) الى وداى عن طريق
كفره . ^(٢)

وقد تحدث مرفين هسكيت عن هذه العلاقات التجارية القديمة

بين الشمال والجنوب مرجعا تاريخها التقريبي الى سنة ١٠٠٠ ق م

اذ وجدت منذ تلك الفترة عدة طرق تجارية كانت تصل المغرب والصحراء

الغربي .

أما الطريق الأول فيمتد من المغرب الى الصحراء الغربي عبر
موريطانيا الحالية الى نهر السنغال ، والفرع الشرقي لهذا الطريق ^{موريطانيا}

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢ ، د/ على أبوبكر ، طبعة مؤسسة

عبد الحفيظ البساط - بيروت .

(٢) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ٣ .

يوهـى الى " كوهي صالح " عاصمة امراطورية " غانه القديسة " ويرجح أن يكون هو الطريق الذى استعمل في الغزوات العربية " الفتوحات الاسلامية " التي بدأت من جنوبي المغرب في القرن الثاني الهجرى الثامن الميلادى متوطة في الصحراء وراجعة بكمة كبيرة من الذهب ، وأن هذا الطريق قل استعماله ذات يوم ثم أعيد الى الحركة التامة فسي القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى عندما أنشأ البرتغاليون محطتهم التجارية في ودان .. وظل هذا الطريق مستعملا حتى نهاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، وعندما فتج المسلمون شمالي أفريقيا وربعا في العهد الروماني بها كان الطريق الثاني من طرابلس الى " فزان " ، قد امتد من جنوبي غربي فزان الى " تدمناكت " ، ويمكن أن يكون قد امتد حتى منحنى النيجر .. وكانت وسائل التنقلات المعتمدة في ذلك الوقت الثور والخيول قبل دخول الجمل بلاد الصحراء في القرن الثاني الميلادى . هذا ما يوهـى كده معظم المؤرخين في شأن امتداد هذا الطريق حتى داخل الصحراء .

أما الطريق الثالث للصحراء المار " بغاوا " وجنوب غربي أهير الى واحات خرجه ، فقد كان مستعملا قبل دخول الاسلام في شمالي أفريقيا ، وان كانت معرفة المدى الطويل له قبل الاسلام غير موهـى كدة .. وكان مهجورا خلال القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى لخطورته .

ومهما يكن من أمر ، فان اتصالات شمالي أفريقية وغربيها قد أعيدت من القرن الثامن الهجرى " الرابع عشر الميلادى " .. ويبدو أن الذهاب الى الشمال " فزان " أصبح ضروريا قبل اللحاق

بالطريق المؤدى الى مصر . . وفي القرن الحادى عشر الهجرى * السابع
عشر الميلادى * فتح الطريق المسمى بـ " الطريق السودانى " من
وادى النيل الاعلى عبر فنج ودافور ووداى وامتد حتى برنو ، كما
وجد طريق قديم آخر فى الشرق من طرابلس الى كانم عبر فزان وواحات
كوار . . ويؤكد " مرتين " أن هذا الطريق كان مستعملا خلال
العهد القرطاجنى فى القرن الثالث قبل الميلادى ، وقد يكون قد امتد
الى بحيرة تشاد فى وقت ما قبل القرن السابع الميلادى * الاول الهجرى ،
ويمكن أيضا أن يكون مفلقا لفترة مؤقته خلال الغزو العربى لشمال
أفريقية (الفتح الاسلامى) فى القرن الاول الهجرى (السابع الميلادى)
غير أنه سرعان ما فتح من جديد واستمر فى الاستعمال مع توقعات آتية
حتى القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) . (١)

ومن مجموع ما سبق ، يتجلى مدى قدم العلاقات التجارية بين
شمالى أفريقيا وغربيها ، ومنها نتعرف على الخطوات الاولى لدخول
الاسلام فى غربى أفريقيا الذى هو هدفنا فى هذا التمهييد . .

لقد كان قيام حركة المرابطين ثم توغلبهم فى الصحراء تحت قيادة
أبي بكر عمر اللمتونى (٢) ، حدثا شديدا أهمية جعل الاسلام تحت
الاضواء فى تاريخ غربى أفريقيا ، إذ لم يكن المرابطون أول من بشر
بالاسلام فى هذه البلاد ، فقد سبقهم الى ذلك عدة محاولات هيأت

(١) M. Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.322.

(٢) هو أبو بكر بن عمر اللمتونى أحد زعماء المرابطين توفى سنة ١٠٨٧ هـ .

للاسلام أن يدلف بخطى بطيئة في غربي هذه القارة في مدة لا تقل
عن مائتي عام.

أما متى تسرب الاسلام الى غربي أفريقيا فتلك قضية ظلت مجهولة
حتى ألقى عليها بعض الضوء الفلكي العربي الفزاري^(١) في القرن
الثاني الهجري (الثامن الميلادي)^(٢) ، فقد كان يعرف الدولة
السودانية " غانه " كصدر للذهب وما دام عاش فترة ما بين
١٣٢ - ١٨٢ هـ / ٧٥٠ - ٧٩٩ م ، فان ذلك يشير الى أن التجار
المسلمين كانوا ضمن أولئك الذين كانوا على اتصال صكر بداخل السودان
في بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) أو بعيد ذلك . .
ويعتبر الفزاري أول كاتب عربي مسلم أشار الى ذهب السودان كما ألقى
الضوء على هذه الحقيقة الجغرافية العربي المسلم ابن الفقيه المتوفى
سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م^(٢) ، حيث تحدث عن طرق القوافل التجارية
عبر الصحراء من غانة الى مصر عن طريق " غاو " مدينة القوافل في منحى
النيجر . . وقد ظل هذا الطريق مهجورا من القرن الثالث الهجري
(التاسع الميلادي) ولكنه كان مستعملا لمدة طويلة قبل هذا الهجران ،

(١) هو ابراهيم بن حبيب بن سمره أبو عبد الله الفزاري وهو الذى يقول
فيه جعفر بن يحيى : لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو
والاصمعي في الشعر والفزاري في النجوم " معجم الأدياء " لياقوت
ج ١٢ ص ١١٩-١٢٠ .

(٢) هو أحمد بن اسحاق بن ابراهيم الهذاني ويعرف بابن الفقيه
" أبو عبد الله " أديب عالم بتقويم البلدان ومن تصانيفه " كتاب
البلدان " معجم المؤلفين ج ٢ ص ٨٠ .

وربما قبل فتح المسلمين لمصر ، فمن الجائز اذن أن يكون ثمة تأثير اسلامي قادم من مصر الى السودان الغربي منذ القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) ، والذي ينبغي أن نلاحظه هنا أنه ليس هناك دليل قاطع على أن هذا التأثير في القرن الاول الهجري كان ثابتا . ولكن هناك احتمالات لحصوله في هذا الوقت المبكر . فمعلومات الجغرافيين المسلم المهلبى ^(١) المتوفى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ، التي تشير الى أنه كان لمدينة " غاو " ملك مسلم وكان فيها مسجد في عهده . تؤكد هذا الاحتمال اذ لا يعقل أن هذا كله قد تم في ليلة واحدة ، وكذلك ما ذكره البكري ^(٢) من وجود حي اسلامي في " غاو " وأن ملك هذه المدينة كان مسلما ^(٣) وتلك حقيقة أكدها المؤرخ الأفريقي السوداني أحمد بابا التمكتي ، فقد ذكر أنه كان يوجد اثنا عشر مسجدا في مدينة " غانة " كوهي صالح " حوالي عام ٦٠ هـ - ٦٢٩ م ، وأن امبراطورية أودغت الاسلامية وهي التي كونها " السوننك " احدى فروع " الماندنجو " قامت بدور كبير في نشر الاسلام منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، كما ذكر ابن حوقل ^(٤) أن ملك

(١) هو حسين بن أحمد المهلبى له كتاب " المسالك والممالك " المشهور بالعزيزى ألفه للعزيز بالله الفاطمي صاحب مصر ونسبه الى اسمه " معجم المؤلفين ج ٣ ص ٣١٢ .

(٢) هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري ولد سنة ٤٣٢ هـ وتوفي سنة ٤٨٧ هـ ومن تصانيفه كتاب المسالك والممالك وكتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب .

(٣) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.19

(٤) هو محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادي الموصلي " أبو القاسم " رحالة جغرافي . توفي بعد سنة ٣٦٧ هـ ومن آثاره " المسالك والممالك " معجم المؤلفين ج ١١ ص ٥ .

أودغست يتبوتان ، كان شديد الحماس في نشر الاسلام بين قومه وبين
الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب .^(١)

وكان للفتح الاسلامي ليلاد المغرب أثره الكبير في دفع المسلمين
شمالا حتى الاندلس وفرنسا . وجنوبا حتى بلاد السودان . ورووا
أن حملة اسلامية وصلت في عام ١٠٢ هـ - ٧٢٠ م الى السنغال وعادت
بكميات كبيرة من الذهب ، وكانت أصلا موجهة لمطاردة البربر .^(٢)

كما ينقل مرفين هسكيت عن ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ
٨٧١ م ، أن حملة قد نفذت في القرن الأول الهجري " السابع
الميلادي " من جنوبي المغرب الى داخل السودان وقد قدر لها النصر
المظفر ، وأخذت كمية كبيرة من الذهب ويبدو أنه خلال هذه الحملة أسر
المسيرون جواري من زناتة ، اللواتي رجعوا بهم الى بلادهم .^(٣)
ويروي ابن خلدون حملة عقبة بن عامر بن عبد القيس الى السودان قائلا :
(فقد فتح عقبة بن عامر بن عبد القيس باسم عمرو بن العاص مدينة
غدامس التي كانت بوابة النيجر الشرقية سنة ٦٣ هـ - ٦٦٣ م ، وفي السنة
الموالية اقتتحت ودان وكوار في السودان وأثنى في تلك النواحي ، وكان
له جهاد وفتح " .^(٤)

(١) دولة مالي الاسلامية ص ٤٧ ، د / ابراهيم علي طرخان ،

طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨ .

(٣) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.19

(٤) بداية الحكم المغربي في السودان المغربي ص ٣٢ ، محمد

المغربي ، طبعة مؤسسة الفليح للطباعة والنشر بالكويت .

ويذكر ابن عذارى المراكشي^(١) أن عقبة انحدر في حملته الثانية الى السودان من بلاد المغرب ووصل الى غانة عن طريق ودان ومنى مساجد فيها .^(٢)

واعتمادا على مقارنة بين المصادر يتبين أن عقبة قام بحملتين الى السودان احدهما من تونس ، والثانية من المغرب ، ولا نعثر في أى مصدر على أخبار قتال أو حصار في الحملتين معا مما يدل على استجابة الأفرقة لدعوة الدين الجديد عن طوعية واقتناع ، وهو ما علل له بعض الباحثين بقوله : ونحن نرجح أن وجود قبائل بربرية وفيرة ومتفذة في الصحراء والسودان بالإضافة الى خصائص الدين الجديد وروحته التحريرية ، خلقا جوا مناسبا للوصول الفاتح العربي الى أهدافه الروحية . والثابت أن حملة عقبة هدت أغلب قبائل البربر وبعض قبائل غانة الى الدين الجديد بالقدر الذى فتحت أعين حكام شطل أفريقيا على امكانيات السودان^(٣) ، كما يذكر في معرض حديثه عن المدن ذات الأهمية التجارية في امبراطورية غانة مدينة " هنيشين " التي ضمت جاليسة عربية هي بقايا الجنود الذين سبق لخلفاء بني أمية في الأندلس أن وجهوهم للسودان فتخلفوا وتزوجوا سودانيات^(٤) . غير أنه لا يذكر مصدره القديم في هذه الرواية وهي لا تتفق ورواية البكرى التي يقول فيها :

(١)

(٢) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ،

ج ١ ص ٢٢ تحقيق كولا وبروفينصال .

(٣) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٣٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

"وببلاد غانة قوم يسمون بالهمنهين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية أنفذوه الى غانة في صدر الاسلام وهم على دين أهل غانة الا أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهم بيض حسان الوجوه" (١) .
ويتضح لنا اختلاف الروايتين القديمة والحديثة ففي حين تنفي الرواية القديمة المصاهرة والمناسبة بينهم وبين السودانيين وان تحولوا الى دينهم يثبت الباحث الحديث المصاهرة ويتوقف عن أحوالهم الدينية، ونحسن لا نستطيع أن نرجح رأي الدارس الحديث وان كانت قرينة من العقل لأنه لم يزودنا بمصدر قديم نعتمد عليه . وعلى أي حال ، فان كثيرا من المراجع الغربية تتحدث أيضا عن توغل جيش عقبة بن نافع أفريقية الغربية واحتلاله بلاد التكرور وغانة وان أبدى بعضهم تحفظه وعدم ارتياحه ازاء الروايات الناطقة بذلك . (٢)

ويصف لنا البكري غانة قائلا :

"ومدينة غانة مدينتان سهليتان ، احدهما المدينة الاسلامية ، التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا احدها يجمعون فيه ولها الاثمة والموزنون وفيها فقهاء وحلة علم ، وحواليها آبار عذبة وعليها يعتلون الخضروات" (٣) . . كما ذكر القلقشندي اسلام أهل غانة بقوله "وكان أهلها قد أسلموا في أول الفتح" . (٤)

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٢٩ للبكري -
دي سلان - الجزائر .

(٢) مثل الرحالة الانجليزي بارت في كتابه Travels in Central Africa Vol. IV p. 580

(٣) المغرب للبكري ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٤) صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٨٤ وهو أحمد بن عمر .

ومجمل القول أن الأدلة على دخول الاسلام وانتشاره في السودان الغربي خلال هذه الفترة المبكرة أى من سنة ٢٦ هـ - ٦٤٧ م وحتى سنة ٤٦٩ هـ - ١٠٧٦ م التي كانت نقطة تحول اسلامي وأصبحت واضحة للعيان .. كانت هذه الأدلة تعتمد أولا على الروايات الشفوية المتواترة من التجار المسلمين والرحل الذين كانوا يجهون تلك المناطق للتجارة أو الاطلاع ، الأمر الذي لا يترك مجالا للشك أمام الباحث للاعتقاد بأن التأثير الاسلامي في السودان الغربي قد بدأ بعيد انتصار المسلمين واستيلائهم على مصر .. وان كان لا يمكن تقدير مدى هذا التأثير .

وفي وصف البكرى لمدينة غانة والمساجد الموجودة فيها وكذا تأكيد مؤرخ بلاط صنهايا أحمد بابا التمكن من شرح هذه الحقيقة من أن الاسلام دخل هذه المنطقة منذ فجر تاريخه اذ لا يعقل أن تكون تلك المدينة الاسلامية التي تضم اثني عشر مسجدا في تلك الفترة المبكرة قد ظهرت الى الوجود وقامت على ذلك الشكل المتطور وازدهرت بتلك المساجد الاثني عشر بين عشية وضحاها ، أضف الى ذلك أنها كانت ابان تلك الفترة المبكرة موطن لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم . كما كانت في الوقت نفسه كمية علم يقصدها طلبة العلم وينسلون اليها من كل حدب وصوب .. على أن الفضل في ازدياد انتشار الاسلام في السودان الغربي يرجع الى الجهود المضنية التي بذلتها الدول والممالك الاسلامية التي قامت في تلك المنطقة ، ولعل أول ملكة اسلامية يسجل التاريخ مساهمتها في هذا المضمار هي ملكة صنهاجة الجنوب أو اللثام .. فقد اتحدت هذه القبيلة مع قبائل لمتونة وجدالة

في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) للعمل على تنظيم تجارة القوافل عبر الصحراء فيما بين أقصى الشمال حيث تنزل قبيلة ولاته ، وأقصى الجنوب حيث تقع ملوك غانة . . الا أن هذا التحالف لم يدم طويلا ان وهنت أواصره ففرقت كلمة القبائل البربرية في حين كانت الفرصة مهيأة أمام ملوك غانة القديمة للازدهار والسيطرة على بعض أجزاء الصحراء التي تؤمها قوافل العرب والبربر . . فلما دخلت صنهاجة في نعمة الاسلام في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) تسرب الدين الحنيف عبر الصحراء وعم المراكز التجارية الموجودة هناك واتسمت مدينة "أودغست" التي كانت المركز الأممي لتجارة غانة على حافتها الشمالية - بالطابع الاسلامي - وتحتلوا هذا الدين الذي يدعو الى الاعتصام بحبل الله استطاعت قبائل صنهاجة أن تكون تحالفا جديدا تزعمته لمتونة بغضل الجهود التي بذلها الزعيم اللمتوني " تبولتان بن تكلان " الذي شرح الله صدره للاسلام . . وكان الهدف من هذا التحالف هذه المرة هو الجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام في السودان الغربي (١) ولاهمية ملوك غانة السياسية والاقتصادية والعسكرية رأى الحلف أن يوجه سهامه اليها وخاصة أنها كانت أقرب ملوك وثنية المذهب ، أضاف الى ذلك أن الضعف بدأ يذب في عظام هذه السلطنة السودانية الفتية بعد بلوغها أوج عزها وقوتها الاقتصادية والعسكرية ، وبالقضاء على هذه السلطنة العظيمة - التي وصفها ابن خلدون بقوله : " كانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك " -

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ١٩٠ .

(٢) المعبر ج ٦ ص ٤١٢ ، ابن خلدون طبعة دار الكتاب اللبناني .

يصبح الطريق سهدا لفتح الممالك السودانية الأخرى ليسرى الاسلام بين قبائلها الوثنيين .. فجهزت صنهاجة جيشا جرارا لغزو المملكة فتوجه الجيش صوب مدينة "أودغست" عاصمة غانة ، وما أن سمع ملك غانة خبر الجيش الصنهاجي حتى جهز جيشا ماثلا لقتاله دفاعا عن مدينته الحيوية تجاريا والتي تمثل مصدرا اقتصاديا هاما لا يمكن للمملكة الاستغناء عنه .. فتقابل الجيشان في معركة أسفرت عن انتصار الجيش الصنهاجي .. ولم يكن لينتصر على غانة مستوليا على مدينة أودغست لولا ما وقع لغانه من سوء حظ ، إذ أغار عليه شعب " صومو " الذي تقع دياره الى الجنوب من ديار " غانة " ، فطمعنها من الخلف طعنة غير متوقعة فكان على المملكة أن تحارب عدوين شرسين في آن واحد .. فقد أغار عليها صوصو من الجنوب في الوقت الذي أغار عليها الطلمثون من الشمال ^(١) ، فسقطت مدينة أودغست أمام الطلمثين بفضل ما قام به شعب " صوصو " من دعم لهم اما ميلا الى الاسلام أو كراهية لغانة لسيطرتها على الممالك السودانية الأخرى أو على مدينة أودغست التي تمثل مركزا تجاريا هاما تمر به صادرات أفريقيا الغربية و وارداتها عبر الصحراء الكبرى .. واتخذت صنهاجة مدينة أودغست عاصمة لمملكتهم ، ومنها أخذوا ينشرون الاسلام في المنطقة الواقعة شمالي نهر النيجر .. ووصف ابن خلدون هذه المملكة بأنها كانت صيرة شهرين في ثلها . كما وصف ملكها " تبولتان " بأنه كان يركب في مائة ألف نجيب . ^(٢)

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢٠ .

(٢) العبر ج ٦ ص ٣٧٢ .

وبعد وفاة الزعيم اللمتوني استمر الطك في اعقابه حتى عام ٣٠٦ هـ حين تبدد شمل الحلف وتفرقت قبائل البربر (١) وانتهزت غانه فرصة هذا التفرق ليهبط نفوذها من جديد على أودغست ، إلا أنها لم تقدر على استرداد جميع أملاكها السابقة ، بعد أن استقر قبائل الطلمين فيها فاكثفت بالسيطرة على المدينة التجارية الهامة ، ولا شك أن ذلك يكفل لها التحكم في طريق التجارة بين المغرب والسودان وهو ما يدر عليها أرباحا طائلة وذلك هو المبتغى .

ولم يدم عامل الفرقة بين الطلمين طويلا ، فقد استطاعت لمتونة بفضل جهود الأمير بروتان وبسنو* أن تظم شعث الطلمين مرة أخرى للهجوم على أودغست لتتصق عنها سلطة غانة وتحولها الى فاصمة لها مرة أخرى ، وتم لها ذلك عام ٣٥٠ هـ .

غير أن لهيب الصراع ظل يتطاول شرره بين غانة وبين الطلمين فما كانت غانة لتهدأ ثائرتها ما لم تسترد مدينة أودغست التي تعتبر قضيتها قضية حياة أو موت ، وما لبثت أن استردت المدينة مرة أخرى وتفرقت قبائل الطلمين ..

وهكذا ظلت مدينة أودغست تحت سيطرة غانة حتى استولى عليها المرابطون في القرن الخامس الهجرى " الحادى عشر الميلادى " فردوها الى الطلمين ..

فقد قدر ليحيى بن ابراهيم شيخ قبيلة جدالة أن يؤدى فريضة الحج مع بعض الصنهاجيين عام ٤٥٦ هـ / ١٠٣٥ م اثر رحلته تلك التي أراد من ورائها أن يستنير ويستزيد من تحصيل العلم بعد أن ضساق

(١) المعبر ج ٦ ص ٣٧٢ .

ذرعا بما تعترف به قومه من الجهالة وسوء الفهم لمبادئ الاسلام ، فعهد بأمور القبيلة الى ابنه وأخذ يتجول في بلاد المغرب طلبا للمعرفة حيث وقف على أصول الاسلام القويمة فعقد العزم على أن يذيعها بين المسلمين . وبعد عودته من رحلة الحج أدرك أنه لا يستطيع مباشرة هذه المهمة الشاقة بحفره لانشغاله بأمور القبيلة .

ومن هنا رأى ضرورة البحث عن فقيه يعلم قومه الاسلام ليخلصهم من الاعتقادات الخاطئة ، فتوجه صوب القيروان المركز الاسلامي العام . حيث أحس باليون الشاسع بين البيهتين ببيئة المغرب الأقصى الزاخرة بالحياة العقلية الرفيعة وبيئة الصحراء التي ترتضخ في الجهل غاتصل بشيخ المالكية في القيروان أبو عمران الفاسي ملتصا منه انتداب طمئذ له يرجعون اليه في نوازلهم وقضاياهم الدينية . . وحرصا من الشيخ على اصال الخير المهم وجههم الى طمئذه " وجاج بن زلو اللطفي " وانتدب لهم هذا الأخير طمئذه الفقيه الورع المجاهد المقدام " عبدالله بن ياسين بن مكو الجزولي " فاستجاب لهذه الدعوة وكرس جهده لهداية هؤلاء الناس بعلمهم القرآن ويقم لهم الدين . . (١) الا أن طابع التشديد الذي انطبع به منهج عبدالله بن ياسين قد نفر القوم عنه فقرروا أن يهجرهم الى جزيرة على ضفاف نهر السنغال بقصد الانقطاع لله والسياسة مستصحا يحيى بن ابراهيم وسبعة من رجال جدالة " (٢) . . غير أن البربر الذين أعرضوا عنه لعنفه قد

(١) المبرج ٦ ص ٣٧٤

(٢) تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ص ٢٢٧-٢٢٨ ، للوزير الفرناطي ، لسان الدين بن الخطيب ، طبعة دار الكتاب .

شعروا بوخزة الضمير فجاءوا اليه يلتسبون منه العفو مهددين استعدادهم التام لطقي تعاليمه الدينية وتنفيذ أوامره ومن ثم اجتمع حول عبدالله ابن ياسين في رباطه الذي اتخذ في تلك الجزيرة زهاء ألف شخص ساهم المرابطين^(١) وبعد أن اكتمل له هذا العدد الضخم من الرجال الاقوياء بايمانهم قال لهم عبدالله بن ياسين : " ان ألقا لن تغلب عن قلة وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه وحمل الكافة عليه فاخرجوا بنا لذلك فخرجوا وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل لمتونة وكدالة وسوفة حتى أنابوا الى الحق .. وأذن لهم في أخـذ الصدقات من أموال المسلمين وساهم المرابطين^(٢).

ولعل أهم ما قام به المرابطون خدمة للإسلام في السودان الغربي هو هجومهم على مدينة أودغست التي كانت غانة " قد استردتها من الملثمين . فقد استطاع المرابطون أن ينتصروا على " غانة " بعد معركة استبسل فيها الفريقان واستشهد فيها قائد المرابطين " يحيى بن عمر " وانتهت باستيلاء المرابطين على " أودغست " وكان ذلك سنة ٤٤٧ هـ . ١٠٢٦ م ، وقد علل بعض المؤرخين هزيمة غانة بأن ملك التكرور الذي شرح الله صدره للإسلام قد حالف المرابطين وخاض غمار الحرب الى جانبهم^(٣) أما " غانة " فمن المعروف أنها كانت أكبر إمبراطورية أفريقية قامت بغربي أفريقيا ، وكان أول سلطانها هو " تيمغ " و ان سلطة غانة قامت قبل البعثة المحمدية بزمان طويل ، تلك في أثناءه اثنان وعشرون ملكا ثم تلك بعدها اثنان وعشرون آخرون^(٤) .

(١) تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، ص ٣٢ ، د /

عبد الرحمن زكي ، المؤسسة العربية الحديثة .

(٢) العبر ج ٦ ، ص ٣١٨ .

(٣) راجع الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢٥ .

(٤) راجع تاريخ الغتاش ص ٤١ تحقيق هوداس وونوا - باريس ١٩٦٤ م .

وكان حكمها الاوائل بيضانا في الاصل^(١)، وان كانت الاصول التي يرجعون اليها لا زالت لغزا أعيا الباحثين حله ولا يزالون مختلفين .

واشتهرت هذه الامبراطورية بمعظمة قوتها العسكرية والاقتصادية
مرفاهة ملوكها وثرائهم هذخهم .

على أن دولة ملوكها البيض سقطت في نهاية القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) حيث قامت أسرة " السوننك " بثورة ضدها وتأسست دولتهم على أنقاضها .

وفي زوال دولة الحكام البيض يقول أحد المؤرخين " :

" ثم أفنى الله ملكهم وسلط أراذلهم على كبرائهم .. وقتلوا
جميع أولاد ملوكهم حتى يبقروا بطون نساءهم ويخرجوا الـأجنة ويقتلونهم"^(٢)

وبعد أن تبدد شمل الحكام البيض اتجه بعض فلولهم مع
أنصارهم الى بلاد " التكرور " فاخططوا هناك بالتكارة فلم يعودوا بيضا
كما كانوا بل أصبحوا أشبه بالزنوج منهم بالبيض .

ويروى أنهم نجحوا في التحكم السياسي في منطقة " تكرور " فظلوا هناك أصحاب النفوذ حتى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) عندما ثارت ثائرة " التكارة " فسحبوا بساط الحكم من تحتهم وطردوا هؤلاء المغتصبين الدخلاء .

(١) تاريخ السودان للسعدى ص ٩ نشر هوداس - باريس ١٨٩٨ م .

(٢) تاريخ الفتاش ص ٤٢ .

ويذكر أن هو^١ لا^٢ البيض هم الذين اشتهروا فيما بعد باسم
" الفلانيين " . وقد حكم خلفهم من الأسرة السوننكية امبراطورية
" غانة " حتى مطلع القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)
باستثناء الفترة التي استولى خلالها المرابطون على عاصمة " غانة " من
عام ٤٩٧ - ٤٩٩ هـ / ١٠٧٦ - ١٠٧٨ م . وفي عهد هذه الأسرة
بلغت الامبراطورية أوج قوتها وازدهارها واقتصادها
وعسكراها . (١)

وقد اشتملت هذه الامبراطورية على منطقة واسعة من الحدود
المتاخمة لجنوبي الصحراء الكبرى شمالا وامتدت جنوبا الى مناجم
الذهب في " بيوك " ومن نهر النيجر في الشرق الى المحيط الاطلنطي
غربا .

هذه المنطقة تشكل حاليا جزءا من جمهورية موريتانيا ، وكلا من
جمهورية السنغال ومالي . (٢)

وقد دان لهذه الامبراطورية بالولا^٣ عدد كبير من ملوك السودان
الغربي ابان عزها وقوة سلطانها ، ولا نبلغ حشد الشطط اذا قلنا
ان غالبية^{ملوك} هذه المنطقة كانوا يدينون لها بالولا^٤ التام ، ويؤيد ذلك
قول ابن خلدون : " كانوا أعظم أمة وأضخم ملك " . (٣)

(١) امبراطورية غانا الاسلامية ص ٢٧ .

(٢) P.B. Clarke, West Africa and Islam p.37.

(٣) العبر ج ٦ ص ١٤٩ .

ورغم المعارك العديدة التي خاضتها " غانة " مع دولة صنهاجة اللثام ودولة المرابطين الا أن هاتين الدولتين لم تستطعا أن تحملا ملوك " غانة " على الاسلام عنوة . والسبب في ذلك يرجع الى أنه لم تقدر أية واحدة منها على سحق قوة " غانة " العسكرية والاستيلاء على جميع أراضيها ، وقد رأينا فيما سلف عن الدولتين الصنهاجية والمرابطية كيف أن كل واحدة منها لم تزد على الاستيلاء على مدينة " أودغست " عاصمة " غانة " وكيف أن " غانة " لا تلبث أن تستردها وان كانت الدلائل تشير الى أن " غانة " لم تستطع أن تسترد عاصمتها الحيوية بعد استيلاء المرابطين عليها عام ٤٨٨ هـ / ١٠٦٢ م .

وهاهو ذا البكري يصف غانة وملكها في العصر الذهبي ،

فيقول :

" ان اسم ملك " غانة " في سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٣٩ م " تتكامينين " الذي ولي سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٣٤ م ، وكان اسم الملك قبله " بيسي " الذي ولي وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وكان محمود السيرة محبا للعدل مرشدا للمسلمين (١) .

أما عن عاصمتها ، وهي مدينة " أوكار " التي تحول اليها الملك بعد سقوط " أودغست " فيقول فيها " ومدينة " غانة " مدينتان احدهما المدينة التي يسكنها المسلمون ، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر سجدا ، أحدها يجتمعون فيه . ولها الأئمة والمؤذنون والراغبون ، وفيها فقهاء وحلقة علم . . ومدينة الملك على ستة أميال من ههنا وتسمى بالغابة والساكن بينها متصلة بمانبهم بالحجارة وخشب السنط (٢)

(١) المغرب ص ١٢٥ .

(٢) المصدر نفسه .

ورغم وثنية الملك إلا أنه كان يحترم المسلمين ويكرمهم ويتخذ منهم بعض خاصته ، وآية ذلك ابتناؤه مسجدا في مدينته صلى فيه من يفد عليه من المسلمين ، يقول البكري :

" وفي مدينة الملك مسجد صلى فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس الحكم " .

وفي تصوير البكري للحياة الاجتماعية ما لا يبقى مجالا للشك في أن الاسلام قد انتشر في ربوع الامبراطورية رغم تمسك الملك نفسه بالوثنية . ولمس أدل على ذلك من كون " تراجمة الملك من المسلمين وكذا صاحب بيت ماله وأكثر وزراءه " .

ويصور البكري الميزة التي كان يتمتع بها المسلمون تحت ملكته دون غيرهم . وتلك الميزة في التقاليد المرعية في السلام على الملك فيقول : " فإذا دنا أهل دينه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فترك تحيتهم له ، وأما المسلمون فانما سلامهم عليه تصفيق باليدين " . (١)

وهنا يجدر بنا الرد على المؤرخ الغربي في زعمه الكاذب بأن ملوك " غانة " قد حطوا على الاسلام عنوة عند استيلاء المرابطين على " أودغست " . (٢)

وهو زعم يفتقر الى دليل ويستند على أساس واه . . . إذ أنه لو كان

(١) مراجع كتاب المغرب ص ١٦ .

(٢) Hoben : The Mohammadan Emirates p.29.

خروج "أودغست" من أيديهم يحطهم على اعتناق الاسلام لاعتقدوه من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، حين استولى الزعيم اللمتوني "تبولتان بن تكلان" على المدينة للمرة الأولى ، ولكنهم لم يسلّموا بسل حلوا عاصمتهم الى "أوكار" التي تقع على مسافة خمسة عشر يوما في الجنوب ، فإذا كان المرابطون لم يزيدوا على الاستيلاء على "أودغست" فلمس هنالك ما يحمل ملوك "غانة" على اعتناق الاسلام لأنهم لم يفقدوا الا جزءا صغيرا من ملكتهم .. وان كان حيويها جدا من الناحية الاقتصادية للدولة ^(١) . ومن الصعوبة بحكان تحديد الوقت الذى اسلم فيه ملوك "غانة" وذلك لعدم تحديده في المراجع التي بأيدينا .

فالزهري الذى كان كتابه بعد كتاب البكرى يذكر أن ملوك "غانة" كانوا مسلمين في القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى ^(٢) .

والادريسي الذى كتب بعد أن أسلموا تحدث عن كونهم مسلمين فقط ولم يشر الى الوقت الذى أسلموا فيه ^(٣) .

وقد بدأ الضعف يسرى في أوامر ملوك "غانة" منذ هزيمتها على أيدي المرابطين ومنذ انفلت من يدها زمام مدينة "أودغست" ذات الحيوية الاقتصادية، والتي تربها صادرات وواردات السودان الغربي من ذهب وقطن وجلود وصمغ وفاج وعسل وذرة الى أقطار شمالي أفريقيا .

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٠ .

(٢) نقلا عن كتاب : P.B. Clark West Africa and Islam p.18

(٣) الشريف الادريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس

ص ٦ (ليدن ١٨٩٤) .

وبفقد هذه المدينة فقدت " غانة " أكبر مورد من مواردها .. وتضاؤل اقتصاديات الدولة أخذ الضعف يدب في عظامها شيئا فشيئا حتى أنهى بها الحال إلى سقوطها عام ٦٦١ هـ / ١٢٤٠ م على يد ملك صوصو الذى أغار عليها عدة مرات وأخيرا تم له الاستيلاء على العاصمة " أوكار " .

ومع أن هذا الملك لم يستطع أن ينشئ " مملكة كبيرة بتحطم مملكة " غانة " فانه مهد الطريق لقيام دولة " مالي " التي قامت بدور بارز في نشر الاسلام في السودان (١) .

وهنا يتحتم علينا أن نؤكد حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل ، وهي أن أهمية هذه المملكة تتركز في أمرين اثنين ساعدا على انتشار الاسلام في كثير من بلاد أفريقيا الغربية وهما :

أولا : عدم صد هذه المملكة رعاياها عن اعتناق الاسلام وترك الحرية الكاملة لهم لممارسة شعائره الدينية ومنح المسلمين بعض الامتيازات التي لا يتمتع بها الوثنيون الذين هم على دين الملك .

ثانيا : ما يذهب اليه عدد كبير من المؤرخين من أن حكام هذه المملكة هم الأصل للشعب الفولاني الذى قام بدور كبير في نشر الاسلام والثقافة العربية في كثير من بلاد أفريقيا الغربية . (٢)

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٢ .

(٢) المصدر نفسه .

أما " مالي " أو " ملّ " كما تسمى أحيانا ، فهو الاسم
الذى أطلق على المملكة التي أسسها قبائل " السوننك " أو " المالنك "
في منحني النيجر .

وكانت قديما تحت حكم أسرة " كيتا " .

وبحيط الغموض تاريخ نشأتها لخلو المصادر المعتمدة في تاريخ
السودان الغربي منه .

وكانت ذات يوم جزءا من امبراطورية " غانة " ، وان كانت تتمتع
باستقلال ذاتي (١) .

وكان من بين ملوكها ، ملك أسلم على يد شيخ طيب اثر محنة
كادت تغني البلاد والعباد . . ولكنها انجلت بفضل دعاة هذا الشيخ
المسلم . . ولنترك السجال للبكرى كي يحدثنا عن هذا الحدث الجليل :
" عرف ملك " مالي " بالمسلماني لأن بلاده أجدهت عام بعد
عام ، فاستسقوا بقرابينهم من البقر كادوا يفتنونها ، وكان عندهم ضيف من
المسلمين يقرء القرآن ويعلم السنة . فشكا اليه الملك ما دهمهم من ذلك ،
فقال لهم :

أيها الملك ، لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد
عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالة واعتقدت شرائع الاسلام كلها ، لرجوت
لك الفرج مما أنت فيه وحل بك . وأن تعم الرحمة أهل بلدك وأن
يحسدك على ذلك من عاداك وناؤاك .

فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نية ، وأقرأه من كتاب الله ما تنصر عليه . وعلمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله ثم أمهله الى ليلة الجمعة فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا وألبسه ثوب قطن عنده ، وورثا الى ربوة من الأرض ، فقام يصلى والملك عن يمينه يأتى به . فصلها من الليل ما شاء الله ، و" الشيخ " يدعو والملك يؤمن ، فما انفجر الصباح الا والله قد أعصمهم بالسقي . فأمر الملك بكسر الدكاكير " أى الأضداد " وأخرج السحرة من بلاده . وضح اسلامه واسلام عقيقه وخصته ، وأهل مملكته شركون فوسدوا ملكهم منذ ذلك الوقت بالصلماني " .
تلك هي قصة اسلام أول من أسلم من ملوك " مالي " .

ومع أن البكرى لم يذكر لنا اسم هذا الملك ولا اسم العالم المسلم الذى كان له الفضل بعد الله في اسلام الملك ، الا أن وجود داعية مسلم ينهض بأعباء الدعوة الى الله ببلاد هذا الملك يؤيد لنا أن الاسلام لم يكن غريبا في " مالي " أثناء هذا الحدث .
ولكن القلقشندى يذكر اسم أول من أسلم من ملوك " مالي " ،
فيقول :

" وكان ملوك " مالي " قد دخلوا في الاسلام منذ زمن قديم وأول من أسلم منهم ملك اسمه " برمندانه " وحين بعد اسلامه فاقضى به في الحج من جاء بعده من الملوك " . (٢)

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٢٨ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ١٩٣ .

أما المقرئ فيقول : " ويقال ان أول من أسلم منهم ملك
اسمه " سرنده " ويقال " سرنده " (١).

وتميز ابن خلدون بالدقة القصوى عندما تحدث عن اسلام
أهل " مالي " وملكها فقال : " .. ودخلوا في دين الاسلام منذ
حين من السنين و حج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم " سرنده " وسمعت في ضبطه " سرنده " (٢).

ان لا يعني بالضرورة أن يكون أول من حج من ملوكها أول من
أسلم منهم . وخاصة أن هناك رواية شغوية مؤداها أن مؤسس أسرة
الترويين في حكم " مالي " واسمه " منسا نون تراورا " قد اعتنق
الاسلام . وربما كان هذا الملك أو غيره من سبقه أو من جاء بعده هو
المعني في عبارة البكري (٣).

ومهما يكن من أمر ، فان الاسلام في هذه المملكة قديم قدم تاريخ
دخوله في السودان الغربي . وتعد ملكة " مالي " أقوى وأغنى الممالك
السودانية التي ظهرت في السودان الغربي ، ويميزها عن غيرها ذلك
الدور الرائد الذي نهضت به من أجل توحيد القبائل الزنجية داخل
ولايات ، وكذا الدور البارز الذي اضطلعت به من أجل نشر الاسلام
والدعوة له في جميع بلاد المنطقة (٤).

(١) الذهب المسبوك ص ١١٠ للمقرئ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٢) العبر ج ٦ ص ٤١٣ .

(٣) راجع دولة " مالي " ص ٥٢ .

(٤) دولة " مالي " ص ٢٥ و The Development of Islam in West Africa, p.29.

وقد مرت هذه المملكة بمراحل متعددة بين مد وجزر ولكن تاريخها الذهبي يبدأ بتاريخ مؤسسها الحقيقي " سندياتا " أو " ماري جاطه " سنة ٦٥١ - ٦٧٦ هـ / ١٢٣٠ - ١٢٥٥ م . ومن جاء بعد هذا الملك " منسا موسى " ويعتبر موسى أعظم ملوكها ، وفي عهده بلغت المملكة أوج مجدها وعزها وامتدت حدودها من بلاد " التكرور " غربا ، الى " دندى " شرقا ، ومن " ولاته " شمالا ، الى مرتفعات " فوتاجالون " جنوبا ، و " ولاته " أو " ايولاتن " هو الاسم الذي أصبح يطلق على ما كان يعرف " بفغانه " (١) .

وكان أسلاف منسا موسى يحجون البيت الحرام كل عام ولكن زيارة منسا موسى للإراضي المقدسة سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٢٤ م كانت فريدة من نوعها من حيث الأبهة . .

وكتب التاريخ طليعة بذكر أحداث هذه الرحلة التي كانت من نتائجها أن انخفض سعر الذهب في أسواق القاهرة بسبب اغراقها بذهب السودان . وتسبب كثرة الذهب في أيدي الناس . ولم يرتفع سعر الذهب بعد ذلك لمدة سنوات طويلة . (٢)

ومن خلال هذه الرحلة اشترى السلطان موسى كتباً عديدة في الفقه على مذهب الامام مالك في مصر واستصحب معه كثيراً من العلماء والفقهاء الى بلاده ومن ضمنهم المهندس الاندلسي الشاعر أبو اسحاق الساحلي . (٣)

وقد شيد له المذكور عمائر وساجد أضفت على بلاده طابعاً

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٥ .

(٢) دولة مالي ص ٨٤ .

(٣) المعبر ج ٦ ص ٤١٥ .

اسلاميا متميزا في مجال فن العمارة .

ومن خلف هذا الطك " منسا سليمان " الذي ولى لمدة أربع وعشرين سنة ، وفي عهده زار ابن بطوطة سلطنة " مالي " .

وقد بنى " منسا سليمان " الساجد والمدارس وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك^(١) .

ولندع المجال لابن بطوطة كي يحدثنا عن " مالي " في تلك الحقبة وخاصة حياتها الدينية والاجتماعية فيقول :

" فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه ، وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه ، ومنها شمول الأمان في بلادهم فلا يخاف الصافر اليها ولا المقيم فيها سارقا أو غاصبا " .^(٢)

ومن محافظتهم على الصلوات وعنايتهم بتحفيظ القرآن يقول :

" ومنها مواظبتهم على الصلوات وملازمتهم لها في الجماعات ، وضربهم أولادهم عليها . وان كان يوم الجمعة ولم يهكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يهلي لكثرة الزحام . ومن عاداتهم أن يبعث كل انسان غلامه بسجادة ، فيبسطها له بموضع يستحقه حتى يذهب الى المسجد . . . ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه ، فلا يفك عنهم حتى يحفظوه . " .^(٣)

(١) تاريخ الدولة السودانية بأفريقية العربية ص ١١٣ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٦٩٠ طبعة دار صادر ودار بيروت .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠١ .

والجدير بالذكر أن دولة " مالي " لم تكتف باعتماد الاسلام
والحرص على مظاهره وعلومه فحسب ، وانما أخذت تدعو له بين الوثنيين
حتى ان الدور الذي قامت به في نشر الاسلام يعد من أهم مراحله في افريقيا
جنوبي الصحراء ، فقد اقترنت جميع فتوحاتها الحربية بالدعوة الاسلامية
والى ذلك أشار العمري بقوله :

وطك " مالي " في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار
السودان . (١)
وتسميزت الدعوة الاسلامية في " مالي " باتجاهين :

الأول : انتشار الدعوة في الامبراطورية نفسها ، ويوضح ذلك
في الوجود الاسلامي المتمثل في الدعاة والعلماء والفقهاء والتجار المسلمين
والحكام ، وان كانت الاغلبية على الوثنية . وكان هذا الوجود قديما
كما أشار اليه القلقشندي وابن خلدون فيما سبق . .

كما كان لهذا الوجود طابعه المميز الراقي والذي يجذب اليه
أنظار خاصة القوم فضلا عن عامتهم ما يدعو الى تقليده / عن امتزاجه
بالشعب بالمصاهرة والاختلاط وذوبانه في المجتمع بسلك مستسا
كان له تأثيره المبكر وخاصة في الطبقة العليا . ما اقتضى اسلام أول من
أسلم من الطوك فيها على يد داعية من هؤلاء فيما رواه البكري آنفا .

ومن مظاهر هذا الانتشار عناية الطوك بابتناء المساجد في
أرجاء الامبراطورية وبالمختهم في عمارتها ما أعطى للامبراطورية طابعا
حضاريا وثقافيا .

وقد قيل ان السلطان " منسا موسى " كان يهني مسجدا في كل
مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها . (٢)

(١) دولة مالي نقلا عن مالك الأهمار .

(٢) تاريخ السودان ص ٧٠ .

ومن مظاهر الانتشار هذه كثرة المدارس في " مالي " طحقة بالساجد
ومستقلة عنها ، وانتشرت بانتشارها لغة القرآن وعلومه وازداد الاقبال
والاهتمام بحفظه ودراسته وقد مريبك وصف ابن بطوطة لهذه الظاهرة
قبلا .

أما الاتجاه الثاني ، فقد تشل في قيام " مالي " بنشر الدعوة
الاسلامية فيما جاورها من الأمم الأفريقية السودانية بأسلوبين :

الأول : حركات جهاد في الوثنيين حولها ممثلة في انتشار
حاميات " مالي " العسكرية بين ساحل المحيط الأطلسي غربا الى
" كانوا " في أرض الهوسا شرقا والى قلب الأغال في الجنوب .
وأوغلت شمالا في الصحراء وأصبحت " مالي " أقوى دولة في السودان
الغربي لها بأس شديد وسيادة ونظم ورسالة هي رسالة الاسلام
تنشرها ، والى ذلك يشير العمري بقوله :

" ملك " مالي " في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من
كفار السودان " . (١)

وتشل الأسلوب الثاني في الحركة السلمية بإيجاد العلماء والدعاة
للدعوة الى الله . ومن تلك الوفود ، الوفد الذي وصل الى " كانوا " وكان
يضم أربعين رجلا من " الماندنغو " بقصد الدعوة الى الله وذلك في
فترة منتصف القرن الثامن الهجري ونهايته . (٢)

(١) الدعوة الاسلامية في غربي أفريقيا وقيام دولة الغلاني ص ١٠٤
د / حسن عيسى عبد الظاهر طبعة جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية .

(٢) لمزيد من التفصيل راجع الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٩ .

وبدأت أمور الدولة تضطرب وانتهت " مالي " كإمبراطورية اسلامية - سنة الله في خلقه - وكان العامل القوي في التعجيل بتقويضها ووراثتها دولة " صنفاي " التي كانت تحت حكمها واستقلت عنها وحاربتها فملكته ووسعت رقعتها (١).

وعلى الرغم من سقوط سلطنة " مالي " فان جهود أفراد شعبها في نشر الاسلام لم تتعثر ولم تتأثر بانهايار الدولة .

وفي عهد ملك " كانو " يعقوب الذي تولى الملك سنة ٨٧٣هـ / ١٤٥٢م الى سنة ٨٨٣هـ / ١٤٦٢م تقريبا ، وصل وفد آخر من " مالي " الى " كانو " ولكن هذا الوفد كان يخطف عن الاول ، حيث كان يتألف من " الفلانيين " .

وقد أحضروا معهم كتب التوحيد واللغة العربية ، وكانت الكتب الدينية المعروفة قبل ذلك غير القرآن هي كتب الفقه والحديث .

ولم يبق هذا الوفد في " كانو " كسابقه وانما واصل سفره شرقا الى " برنو " تاركا وراءه أفرادا منه في أرض الهوسا (٢).

ثم قامت سلطنة " صنفاي " على أنقاض " مالي " بعد أن كانت خاضعة لها . وكان أول من أسلم من ملوكها " زاكسي " وذلك في سنة (٤٠٠هـ) / القرن الحادي عشر الميلادي ، ويقال له " مسلم دم " ومعناه الذي أسلم طوعا . (٣)

(١) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١١١ .

(٢) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٩ و The Kano Chronicles in Palmer Sudanese Memoirs Vo. III p. 104-5

(٣) تاريخ السودان .

وقد مرت هذه المملكة بمراحل عديدة بين مدّ وجزر الى أن حكمها "الحاج أسكيا محمد" وكان عهده مفترق الطريق في تاريخ "صنغاي".
فقد اتجه بها وجهة أخرى أقامت لها وجهها الاسلامي ، وكان يدين بعقائد المذهب السني .

وتقلد حكم البلاد واستخدم طائفة من الموظفين الاكفاء ونظم الجيش واستغل ثروة سلفه في النهوض بالشئون الاسلامية ، واستردت "تيكتو" في عهده مكانتها كمركز للدراسات الاسلامية^(١).

وكان هذا السلطان قد انتزع الملك من آل "سن علي" بعد أن كان قائدا من قواد هذه الأسرة المالكة .

غير أنه لم يكن في ذلك بالخارج الباغي أو الطامع للسلطان ، وإنما تحسس طريقه الى ذلك على ضوء كلمة الاسلام وحالة المجتمع في عصره وما كان عليه "سن علي" من البغي والظفیان .

وشهادة ذلك تلك الأسئلة التي وجهها الى الامام "المغيلي التمساني" يطلب فيها حكم الاسلام في كثير من القضايا ومن بينها قضية انحراف المجتمع وحكامه .^(٢)

وكان له جهاد كبير في نشر الاسلام بين الوثنيين من جيرانه "الماندنجو" و"الغلاني" في الغرب ، والطوارق البربر في الشمال ، والهوسا في الجنوب ، وكذا بلاد "الموشي" الوثنية.^(٣)

(١) الاسلام والعروة فيما يلي الصحراء الكبرى ص ٦٧ - ٧٠ .

(٢) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الغلاني ص ١١٢-١١٣ .

(٣) المصدر السابق .

ثم قام برحلة الى الحج سنة ٩١٦ هـ / ١٤٩٥ م فافت ما عرف
عن " منسا موسى " في الأبهة والفكر ، التقى خلالها بالخليفة العباسي
فطلب منه أن يجعله نائبا عنه في " صنخاي " ، فأجاب الخليفة الى
ذلك وجعل على رأسه قلنسوة وعامة .

كما التقى في رحلته تلك بكثير من العلماء الصالحين ، منهم الامام
جلال الدين السيوطي . وما يسجل له ، أنه كان أول من عين القضاة
للفصل بين الناس وفق الشريعة الاسلامية .

وجاء " الاساكي " بعده يشجعون العلم ، وكان لبعضهم
مكتبات كبيرة يشتري لها دائما المخطوطات والكتب الجديدة التي تصل
الى السودان من مصر والمغرب . وشاعت هناك كتب للامام السيوطي ، وكان
لاتصاله بهرجال الدين البارزين في القاهرة كجلال الدين السيوطي وغيره
وما قدموه له من نصائح وارشادات دوربارز في تطوير التعليم في
السودان الغربي . (١)

ثم كانت نهاية هذه المملكة الاسلامية العظيمة على يد الجيش المغربي
الغازي الذي أرسله الملك " أحمد المنصور الذهبي " أواخر القرن العاشر
الهجري / السادس عشر الميلادي ففرض عليها ، وبهذا بدأ لم يبق بعدها
قوة ذات خطر في السودان الغربي .

واستقبلت المنطقة بقدوم الغزاة عهدا جديدا من حكم القواد
الغزاة والباشوات ، ظل حوالي قرنين أصيب فيهما البلاد بالفتك والانحلال

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٤٥ .

والخمول ، فكثرت الحروب الأهلية وتحطت الامارات الاسلامية الا ما كان من نشاط " الباجري " و " الوداي " في حوض تشاد فسي منتصف القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي .

ووجدت الدعوة الاسلامية نفسها أمام حالات من الاختناق والتعويق مثلة في انحرافات كثيرة من حلة الاسلام لبعدهم عن غاياته الدقيقة وحقائقه الوضیئة ، وانقسام سلوكهم عن تعاليمه الناجعة ، ولم يجد من يقوم بتصحيح سيرته لدى الناس ومد رواقه على الحياة واشاعة نوره في المجتمع ..

وهكذا ترك المغاربة مرارة وحسرة في صدور أهل السودان الغربي ما كان له أسوأ الأثر خلال الأعوام التالية ..

وبذلك أسدل الستار على أقصى ما تعرض له السودان الغربي من الغزو الذي جاء من الشمال .

ثم استعد لغزو أجنبي آخر ، قدم هذه المرة من سواحل المحيط الأطلسي ومن الجنوب .. هو الغزو الأوربي الذي كانت فيه الضربة القاضية على تقاليد هذه الشعوب وقسمها وعلى ثقافتهم العربية الاسلامية . (١)

وبعد حين من الزمان ، قامت عدة حركات اصلاحية لنشر الاسلام وثقافته بين الوثنيين وتصحيح غايمه لدى المسلمين المنحرفين .. وقامت هذه الحركات بالجهاد في سبيل ذلك بالسيف واللسان والقلم .

(١) لمزيد من التفصيل تراجع " تاريخ انتشار الاسلام في غرب أفريقيا " ص ٦١ - ٧٣ د / عبد الرحمن زكي ، دار الاتحاد العربي .

ومن أكبر هذه الحركات ، حركة الشيخ عثمان بن فودي في سالك
الهوسا الوثنية في نيجيريا .

وقد انتصر عليهم وأقام دولة اسلامية قوامها نشر العدل بين
الناس واعادتهم الى العقيدة الصحيحة النابعة من كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكان لهذه الحركة الجهادية أثر كبير في تقدم أحوال الاسلام
والمسلمين ليس في نيجيريا فحسب ، ولكن في غربي أفريقيا كلها .

كما كانت الحركة اعلاء للثقافة العربية الاسلامية في تلك البلاد ،
اذ لم تكن دعوة الى الدين منحصرة في التصوف وانما كانت مؤسسة على
حركة علمية وعلى دراسة أصيلة ذات أهداف مرسومة غير مرتجلة .

وآية ذلك ما صدر من المؤلفات العلمية القيمة في تلك الفترة
المبكرة من حركته ، وأولها مؤلفات الزعيم المجدد " عثمان بن فودي "
نفسه ، فقد ألف ما يربو على ثلاثين كتابا وبحثا في الفقه والسياسة
والجهاد .

وكان شقيقه " عبدالله بن فودي " فقيها مؤرخا ولغويا نحويا
وشاعرا أديبا ، له في كل هذه الميادين كل طريف رائع . . عرف من
مؤلفاته أكثر من ثلاثة وعشرين كتابا بعضها لا يزال مخطوطا وبعضها
ترجم ونشر في اللغات الأجنبية . . وكذا ابن الزعيم ، " محمد بلوين
عثمان " ، فقد كان أديبا وشاعرا ومؤلفا بارعا ، له أكثر من ستة مؤلفات
بين مخطوط ومطبوع .

والى جانب هؤلاء علماء آخرون حملوا رسالة الفكر وشعلة الحضارة
الاسلامية . (١)

(١) مراجع " الثقافة العربية في نيجيريا " ص ٢٤٦ - ٢٩٧ .

وقد أدرك علماء الغرب من بريطانيين وفرنسيين منذ وطئوا
الاستعمار الأوربي غربي أفريقيا قيمة وأهمية المخطوطات العربية
التي ألفها علماء السودان الغربي فنقلوا أكثرها إلى مكتبات بلادهم .
ودأبوا على بحثها ثم ترجمتها ونشرها بواسطة المعاهد العلمية
عندهم .

ومع ذلك فلا تزال هناك إلى اليوم مئات المخطوطات العربية
في ميادين العلوم والمعارف المختلفة في مدن نيجيريا الشمالية ، وفي
السنگال وبريطانيا وفرنسا لم تصل إليها يد التحقيق ، ومن هنا ندعو
الباحثين المسلمين إلى تكاتف الجهود - في العالم الإسلامي عامة والعالم
العربي على وجه الخصوص - على تحقيق هذا التراث الإسلامي السوداني الهام
ونشره لخدمة الدين والعلم ، وهو تراث يمثل عظمة الإسلام وتأثيره الإيجابي
الرائع فيمن اعتنقوه من الشعوب غير العربية ، كما يمثل إسهامات علماء
السودان الغربي في إثراء مكتبة التراث العربي الإسلامي . . وهي
جهود لا تقل عن مستوى جهود علماء المشرق والمغرب العربيين في
تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي . .

ولا شك أن الوقت قد حان للقيام بهذه الرسالة الجليلة ، والله
مع العاملين .

الباب الأول

حياة الشعر العربي في غرب إفريقيا

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : نشأة الشعر العربي في غرب إفريقيا .

الفصل الثاني : الجذور الفنية للشعر العربي في غرب إفريقيا .

الفصل الثالث : فنون الشعر العربي في غرب إفريقيا .

الفصل الأول :

نشأة الشعر العربي في غرب إفريقيا .

من مقتضيات الحديث عن نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا
الحديث عن حركة اللغة العربية ، ومدى انتشارها في ربوع المنطقة
قبل الاستعمار . فقد امتدت الثقافة العربية الاسلامية في المغرب الى
السودان الغربي ...

وكانت لهذه الثقافة منافذ أطلت منها على ربوع المنطقة ..

ونحن على ذكر بما كتبه المؤرخون عن طرق القوافل التجارية
التي كانت تصل السودان الغربي ومصر من جهة ، والتي تربط بينها
ومن شمالي أفريقية " تونس " من جهة أخرى ، ثم التي تربط بينها
وبين الغرب الأقصى من جهة ثالثة . كانت هذه العلاقة تجارية
في بدايتها ، وبظهور الاسلام ودخوله في السودان الغربي أصبحت
علاقة دينية ثقافية في الدرجة الأولى .

وجاءت هذه العلاقة الدينية لتجمل هذه الشعوب أمة واحدة .
تتمس نظم حياتها وقيمها الأخلاقية من مصدر واحد هو الاسلام بجوانبه
الشاملة للحياة .

وكان من الطبيعي ان أن يهرع أهل السودان الغربي الى

تعلم هذا الدين الذى وجدوا فيه صلاح أمورهم ، وأن ينشطوا إلى
تعلم لغته ليتمكنوا من أداء شعائره على أتم وجه .

وبتعلم اللغة العربية أصبح مسلمو السودان الغربي يمثلون
الطبقة المفكرة الراقية في تلك المنطقة حتى أن خبراء الإدارة والتخطيط
في الممالك الوثنية لم تجد بدا من الاستعانة بهم في أمور الدولة .

وقد مر فيما سبق كيف احتل المسلمون مناصب الترجمة والإدارة
في إمبراطورية " غانه " الوثنية قبل أن تصبح إمبراطورية مسلمة .

واستمر الحال على هذا الوضع حتى بعد إسلام الإمبراطورية
وسقوطها وقيام دولة " مالي " المسلمة على أنقاضها . . وقد مر بنا وصف
البكرى لهذه الإمبراطورية الإسلامية ومدى حرص أهلها حكومة وشعبا على
تعليم أولادهم الدين واللغة العربية وتحفيظهم القرآن الكريم . .

ونحن على ذكر بالزيارة التي قام بها " أسكيا محمد " إلى القاهرة
في طريقه للحج ، فقد كان من نتائج النصح والإرشادات التي أسداها
إليه رجال الدين البارزون في القاهرة ، مثل جلال الدين السيوطي وغيره -
أثر كبير على تطوير التعليم في المنطقة ، . . فقد تطور التعليم في جامع
" سنكوري " وأصبحت قبلة للطلبة في السودان الغربي ، وكانت العلوم
التي تدرس فيها هي :

الفقه المالكي واللغة والنحو والبلاغة والصرف والمنطق والتاريخ
والجغرافيا والفلك والحساب ، وليس من قبيل البالغة أو الشطط القول بأن
المراكز الإسلامية في السودان الغربي أصبحت صورة مصغرة للثقافة
الإسلامية في مصر والمغرب بفضل هذه الزيارة المشرفة التي قام بها

"أسكيا محمد" إلى القاهرة (١).

وكان على رأس حركة "أسكيا محمد" الإسلامية النشطة العالم الجليل "الامام المغيلي" الذي كان له دور بارز في نشر الاسلام وتدعيم مبادئه والدعوة اليها وتوجيه الحكام للعمل بها في طبع المجتمع بطابع اسلامي (٢).

أما مراكز الاشعاع الثقافي الاسلامي في السودان الغربي فتتشل في التالي :

أ - تمبكتو :

وهي مدينة اسلامية منذ نشأتها " وما دنستها عبادة الاوثان ولا سجد على أديتها لغير الرحمن " (٣).

وكانت في بداية أمرها مركزا يقصدها الطوارق للانتجاع بمواشيهم في فصل الجفاف . . . وقد حفروا فيها بئرا ثم توالى الابار فيما بعد وأصبحت ملتقى للتجار يقيمون حولها للراحة . .

وبمرور الزمن أصبحت سوقا للتبادل التجاري بين تجار الشمال والجنوب ، فبنيت فيها المساجد وقصدها كثير من العلماء وتحلق حولها العديد من طلاب العلم فأصبحت " تمبكتو " مركزا ثقافيا الى جانب كونها مركزا تجاريا هاما ، (٤) وكان لسان سكانها فيها لغة صنهاي . .

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٤٦ .

(٢) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص

(٣) تاريخ السودان ص ٢١٨ .

(٤) سلطنة صنهاي في عهد الاسفين ص ١٠٠ .

أما العربية فكانت لغة الثقافة والإدارة معا ، كما تحدث بها الناس
كلغة شائع استعمالها. (١)

واشتهرت " تهكتو " بحركتها الثقافية على النمط الاسلامي
في السودان الغربي كله طيلة أيام " مالي " و " سنغاي " ..
وقد خلفت لنا كثيرا من العلماء النجباء النحارير ، وكان من أشهرهم
أحمد بابا التهكتي صاحب كتاب نيل الابتهايم بتطريز الديباج ..
والسعدى ، صاحب " تاريخ السودان " ، والقاضي " ألقع محمود كمت " ،
صاحب " تاريخ الفتاش " .

ب - جنس :

وهي تأتي في الدرجة الثانية بعد " تهكتو " وكان بها
كثير من العلماء وطلاب العلم ، ولذا كانت أهميتها تجبر " الاساكي "
على احترامها ، فكلما مر جيشهم بها فانهم يلاقون قاضيها ويقدمون له
الهدايا أو يساعده على بناء مأوى لطلاب العلم أو بناء مسجد من
المساجد .. ونعرف من علمائها الشهيرين أيام " الاساكي " " موري
جانا " الذي كان يباشر التعليم بمساجدها في القرن التاسع الهجري
/ الخامس عشر الميلادي ، ثم القاضي " سانو " وكذلك " العباس
كهي " و " محمد بارها يورو " . (٢)

(١) ليون الأفريقي ص ١٠٩ .

(٢) ملكة سنغاي ص ١٠٨ .

ومن هذه المراكز أيضا " غاو " و " ولات " و " كانو " و " كاتسنا " ..

وطك هي مراكز الاشعاع الثقافي الاسلامي الكبرى في السودان
الغربي في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المنطقة الاسلامي ، والى جانبها
مصادر أخرى للاشعاع منها :

المساجد ، والمدارس ، والعرائش المبنية في ربوع المنطقة ،
والمدارس الأخرى التي تأخذ مكانها تحت الأشجار ، ودهاليز العلماء
وغيرها كالأفنية التي تتخذ للكتابات والخلوات والزوايا ..

وهكذا أخذ التعليم العربي الاسلامي يخطو خطوات حثيثة
نحو التقدم والازدهار الى أن وصل الى أوج قته وازدهاره في ملكة
" صنفای " أيام " الأساکی " .

ولعل أكبر دليل على ما وصلت اليه اللغة العربية من النضج
والازدهار في تلك الوقت الأسئلة السبعة التي كان قد بحث بها
الحاج " أسکيا محمد " الأول الى الامام المغيلي حوالي سنة
٩٢٣هـ / ١٥٠٢م ، فكل سؤال منها يحتوي على أكثر من سطرين .
أما عبارتها فشديدة القوة والتماسك ، ولاشك أن كاتبها من نوع الكتاب
البارعين . (١)

وقد أثنى الباحثون على أسلوب أحد كتاب هذه الفترة وهو
(" أحمد بابا التبهكتي " ووصفه بأنه أسلوب امتاز بالجزالة والموضوعية

(١) دولة صنفای في عهد الأسفین ص ١٥٦ .

العلمية والتكن من المفردات ، وكتابة الجمل متناسقة وقصيرة (١) شأن
المتكن من اللغة .

أما المتانة فنلسمها في أن الرجل أُلغظه على قدر معانيه ، أما
عباراته فهي شديدة الدلالة على ما يقصد . . .

نعم ان القبائل التي دخلت الاسلام قد اتخذت اللغة العربية
لغة حياة كاملة ، ومن ثمّ فانها تذوقت قسما هاما من الثقافة العربية
وانتجت فيه . . .

أما نتاجها الفكري فقد طغت عليه الصبغة الاسلامية ، وطبيعي
أن يكون الامر كذلك ، فالذين كانوا ينتجون في هذا الميدان انما كانت
تشملهم النخبة التي تمكنت من الدين الاسلامي بواسطة اللغة العربية .

واضطهفت حركة الفكر بصبغة جديدة هي التي كان يمثلها الانسجام
الكلي مع الاسلام ، فنحن نجد في المدن الكبيرة التي كانت تتركز حولها
ميادين النشاط الانتاجي والتعامل التجاري مثل " تمكثو " و " ولاته " و
" كانوا " و " كاتسها " . . . وغيرها علماء وفكرين وقضاة ، قد تمكنوا
من دراسة اللغة العربية والفكر الاسلامي ، حتى أصبحوا ينتجون في
ميادينها مختلف مؤلفاتهم بالشروح والكتابات التاريخية والفقهية واللغوية
على النمط الذي كان عند العرب في المشرق والمغرب على السواء (٢) .

وهكذا ازدهرت اللغة العربية وتمكن منها السودانيون وأنجبوا
فيها طرائف رائعة الى أن بدأ الجيش المغربي الغازي في اقتلاع

(١) دولة سنغاي ص ١٥٦ مع تصرف .

(٢) دولة سنغاي ص ١٥٦ .

جذورها ، فبدأت تذبل شيئا فشيئا حتى وصف بعض المؤرخين
نتاج تلك الفترة الراكدة بأنه يتسم بالركاكة لبعده عن المتانة والجزالة ،
ولكثرة الحشو واستعمال تعابير غير فصيحة (١) .

ومهما يكن من أمر فإن الكتابات التي وصلت إلينا من ذلك الوقت
هي كتابات قليلة ولكنها باللغة العربية ، ومن الاطلاع على مجموعها يستطيع
الدارس أن ينتهي الى القول بأن الكتابة العربية قد بلغت مستوى
مقبولا لدى كتاب تلك الفترة من السودانين .

وبعد فترة الركود هذه ، انتعشت الثقافة العربية الاسلامية
مرة أخرى في دولة " الشيخ عثمان بن فودي " المصلح المجدد ، وذلك
في كتاباته وكتابات أخيه الوزير عبدالله بن فودي وابنه " محمد بلو " ،
وغیرهم من كتاب تلك الفترة . أضف الى ذلك أن الشيخ المجدد قد
وضع لدولته نظاما اداريا دقيقا خاضعا للنظم الاسلامية وجعل اللغة
العربية اللغة الرسمية والثقافية فيها ، وتشهد الرسائل التي تبودلت
بين الشيخ المجدد والشيخ " الكاشي " على ما وصلت اليه اللغة
العربية من ازدهار وتطور في تلك الفترة .

على أنه يجدر بنا الاشارة هنا الى الكتب التي أثرت في الثقافة
العربية الاسلامية لهذه المنطقة لنتمكن من الحكم على الشعراء الذين
سندرسهم في الفصول القادمة على ضوء الظروف والامكانات الابداعية
المتاحة لهم . .

(١) دولة سنغاي ص ١٥٢ .

ومن المستحسن أن نسرد هذه الكتب حسب فنونها وهي كالتالي :

الفقه وأصوله :

- ١ - المدونة الكبرى .
- ٢ - مختصر الخليل .
- ٣ - المنتقى للباجي .
- ٤ - تحفة الأحكام لابن قاصم .
- ٥ - جامع معيار الوشريسي .
- ٦ - جمع الجوامع للسبكي .
- ٧ - التوضيح .
- ٨ - رسالة ابن أبي زيد القيرواني .
- ٩ - الأخرية .
- ١٠ - العشماوية .
- ١١ - العزيرة .
- ١٢ - منظومة القرطبي .
- ١٣ - ابن رشد .
- ١٤ - ابن عاشر .
- ١٥ - الورقات لآمام الحرمين .
- ١٦ - أصول السبكي .
- ١٧ - القرافي .
- ١٨ - الكوكب الساطع .

الحديث وعلومه :

- ١ - كتب الصحاح الستة.
- ٢ - الموطأ للإمام مالك.
- ٣ - ألفية العراقي .

السيرة النبوية :

- ١ - ألفية العراقي في الشاغل النبوية.
- ٢ - الشفا للقاضي عياض .
- ٣ - سيرة ابن هشام .

القرائات :

- ١ - منظومة ابن البرى .
- ٢ - القصيدة الشاطبية .

التوحيد :

- ١ - السنوسية وشرحها .

التتجيم :

- ١ - الهاشمية في التتجيم .

المنطق :

- ١ - رجز المغلبي .
- ٢ - مقدمة التاجورى .

النحو :

- ١ - الأجر ومية .
- ٢ - ملحة الاعراب للحريري .
- ٣ - قطر الندى لابن هشام .
- ٤ - شذور الذهب .
- ٥ - بلوغ الأرب .
- ٦ - خلاصة ابن مالك .
- ٧ - البهجة المرضية للسيوطي .
- ٨ - المنهج السالك للأشعوني .
- ٩ - شرح قطر الندى للمارديني .
- ١٠ - الفريدة للسيوطي .
- ١١ - التحفة الوردية وشرحها .
- ١٢ - مختصر ابن الحاجب .
- ١٣ - تسهيل ابن مالك .
- ١٤ - فرعا ابن الحاجب .

اللغة والأدب :

- ١ - العشرينات .
- ٢ - الوتریات .
- ٣ - الشعراء الستة .
- ٤ - مقصورة ابن دريد .
- ٥ - المقامات للحريري .
- ٦ - الحكم العطائية .

العروض والقوافي :

- ١ - الراسزة .
- ٢ - الدرر اللوامع .
- ٣ - الخزرجية .

البلاغة :

- ١ - تلخيص المعاني .
- ٢ - ألفية المعاني .
- ٣ - الجواهر المكنون .
- ٤ - شرح النقاية للسيوطي .
- ٥ - تلخيص المفتاح .
- ٦ - مختصر السعدى .
- ٧ - صفري السنوسي .
- ٨ - نظم ابن مقرة .
- ٩ - شرح الجزائرية . (١)

تلك هي الكتب المتداولة في هذه المنطقة وجدير بالذكر
الإشارة إلى أن كتاب الشعراء الستة الجاهليين من أقدم النصوص التي
كانت متداولة في هذه المنطقة وعليه ، وعلى الاستشهادات الشعرية
المبثوثة في كتب البلاغة والنحو والتاريخ وغيرها اعتمدوا في تكوين ملكاتهم
الفنية بعامة والشعرية بخاصة .

(١) - ايداع النسوخ ص ٦٠٣ .

في هذه التربة الثقافية ، نشأ الشعر العربي في غربي أفريقيا . .

ولكن متى حدث ذلك . . ؟

ليس من السهل على الباحث أن يهتدى الى تاريخ صحيح لنشأة

الشعر العربي في هذه البلاد أو أوليته . .

ذلك أن الشعر السابق للقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي

يحيط به شيء من الغموض والضبابية ما يصعب معه الاهتداء الى أعمار

تلك الحقبة . . على أن هناك حقائق تاريخية تشير الى وجود شعر

عربي اللسان في المنطقة في تلك الفترة التاريخية .

فالمؤرخ الأفريقي السعدي يشير في كتابه الى نهو شعراء

سودانيين والأغراض التي تناولوها^(١) ، غير أنه لا يسعفنا بذكر نماذج من

تلك الأشعار .

ولعل آثار تلك المجهود وأشعارها قد انطوت عليها حجب الزمان

وأسدلت عليها أستار النسيان ، فلم يصل إلينا منها شيء ، ولم نهتد

فيها الا على خبر .

ونخلص من ذلك كله الى أن الشعر العربي بغربي أفريقيا قد

تهذبت حواشيه في زمن لا نعرفه ولا يمكن أن نهتدى اليه .

ومن هنا فإن الجزم بأولية الشعر أو تحديد الزمن الذي هذبت

فيه حواشيه وأطبلت قصائده يصبح ضربا من المستحيل .

(١) تاريخ السودان ص ٢١٨ .

ولعل أقدم النصوص الشعرية التي وصلتنا حتى الآن لشعراء غربي
أفريقيا السودانيين هي ما عثر لبعض الفقهاء السودانيين أمثال " أحمد
بابا التمبكتي " والطالب بن محمد بن الطالب عمر الخطاط بن محمد
نـــــفّ ، والشيخ يحيى التادلسي ، وعبدالله بن محمد القاضي
والفقيه أميننا مينخن بن الفقيه مالك .

وهي تاذج يوم رخ لا قدمها بالقرن العاشر أو الحادي عشر
الهجري ...

فمثلا نجد لا أحمد بابا التمبكتي مقطوعة في الحنين الى بلده ،
عندما كان في منفاه " براكش " ، يقول فيها :

أيا قاصدا " كاغوا " فعج نحو بلدتي

وزمزم لهم باسمي وبلغ أحتسبي

سلاما عظيما من غريب وشائـــــق

الى وطن الأحباب رهطي وجيرتي

وعندى أقارب هناك أعـــــزة

علي السادة الا لى دفنت بغربتي

أبي زيدهم شيخ الفضائل والهدى

وصنوا أبي عمي ولأقرب أسرتي

وسيفي فسيف البين سل لفقدهم

علي وهل الموت ركني وعمدتي

ولا تنس عبدالله ذا المجد والندى

فقد مد حزني فقد قوتي وعشرتي

وشباب بيتي سارعوا من أخيرهم

الى ملك الا ملك في وقت غربتي

فوالأسفا منهم وحزني عليهم —

(١) فيا رب فارحمهم بواسع رحمتي

ويبدو في هذا الشعرلين وضعف في النظم ما لا يخفى على
أحد درس أبسط القواعد العروضية ، فالبيت الثالث من المقطوعة منكسر
وكذا الشطر الثاني من البيت الخامس ، والبيتان من الطويل ..

وللطالب بن محمد بن الطالب بن نـفى المتوفى ١١٦٥ هـ
مقطوعة في زجر النفس ، يقول فيها :

مالي على اللهو واللذات واللعب

عكفت ويحيى فما يكون منقلبى

ولى الشباب وأقبل المشيب ولم

أفنى ولست بذى علم ولا أدب

قد ينقضى اليوم ثم اليوم يتبعه

شهر وعام بل أعوام ولم أتعب

مرهفى العنان بروضه الهوى ولقد

سودت في نيلها وقرا من الكتب

أظل خلف الأمانى والهوى حكى

(٢) وللمحال من الأيام في الطلب

(١) بسداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٥٤٤ .

ومطبعة سنغاي ص ١٥٨ .

(٢) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص ١٢٩ دار الغرب

الاسلامي ، بيروت .

والأبيات من البسيط غير أنها تتسم برداءة النظم ، فالشطر
الثاني من البيت الأول مكسور والبيت الثاني كله كذلك ، وكذا الشطر
الأول من البيت الرابع .

وواضح أن هذه الأبيات تمثل المرحلة البدائية في النظم ،
وتلح إلى غيره من الشعر المفقود . .

أما الشيخ " التاديسي " فله رثاء جميل في أحد العلماء
المدرسين في زمانه وهو محمد سميدع يقول فيه :

أطلاب علم الفقه تدرّون ما الذى
يشير هموم القلب من كل واقـد
يشير هموم القلب فقر سميدع
فقيه حليم حامل للفرائـد
محسن تعليم مقرب فهمه
وفتاق تهذيب بحسن القواعد
محمد الأستاذ مؤدب ذى النهى
رباطا صبارا أمره فى التزايـد
فيا عجباً هل بعده من مـيـن

(١) ويا عجباً هل بعده من مجالـد

والأبيات السابقة سليمة من حيث نظمها وجيدة من حيث معانيها . .

وقد ذكر صاحب كتاب فتح الشكور مساجلة شعرية بين الفقيه " أميننا مينخن "

صين عبدالله بن محمد القاضي العلوي ، يمازحه الأخير في برذونة له
قائلا :

لسيدنا مينخن ، برذونة اذا
خطت أخطأت سير المراضى الأمالج
تباشر الأعراف منها ذوابية
على نافع ابن التونسي بن صالح
فأجابه مينخن :

لئن كان عبدالله قد عاب عرفها
وأخطأها سير المراضى الأمالج
فقد زانها تبليغها واصطلاؤها
اذا ارتكبت يوما أمام الملا لـج
عليها فتى لا ينثنى لكريهية
وليس يذى سيف وليس برامح^(١)

وقد تمت هذه الساجلة في حدود سنة الأربعين بعد المائة
والألف من الهجرة . . .

والنماذج السابقة لا تعدو أن تكون محاولات من فقهاء وعلماء
كبار لم يهرعوا في قضايتهم براءتهم في علومهم ، ان يغلب على

(١) فتح الشكور ص ٦٣ .

أشعارهم شي* من الضعف والركسة ، وتخلوا من الخيال والتصوير ،
وتتجاوز في كثير من الأحيان أبسط قواعد العروض وعمود القصيد ..
على أنها تشل المرحلة التي تسبق الأشعار التي سنتناولها
بالدراسة وهي المرحلة التي يؤرخ لها بما بين القرن الثالث
عشر الهجري الى القرن الخامس عشر .

الفصل الثاني :

المجذور الفنية للشعر العربي في غرب إفريقيا .

لعل ما يشير الدهشة للوهلة الأولى قراءة هذا العنوان :

" الشعر العربي في غربي أفريقيا " ، وتزداد الدهشة عندما يظهر أن هذا الشعر قد جادت به قرائح أبناء هذه المنطقة وهم أبعد ما يكونون عن جزيرة العرب ، فكيف تأتي لهم قرض الشعر بلسان عربي مبین ؟

ولكن لا تلبث الدهشة أن تزول شيئا فشيئا عندما يظهر أن هؤلاء الشعراء الذين نطلق عليهم " شعراء العربية بغربي أفريقيا " كانوا من المسلمين .

وغني عن البيان أن الاسلام هو الذي أسلمهم الى هذا الاتصال الوطيد باللغة العربية . . كيف لا . . ؟ وقد كانت معجزته الخالدة هي القرآن المجيد الذي شرف الله لغة العرب أن يكون بلسانها .

وبهذا اللسان تتأتى للمسلم اقامة شعائر دينه في كل مكان .

ومن هنا كان التعريب غالبا ما يواكب الاسلام في خطواته جنبا الى جنب في كل شبر تطأ فيه أقدام المسلمين في أرجاء المعمورة .

وكان شعراء العربية في غربي أفريقيا ممن أقبلوا على العربية رغبة في معرفة شرائع الاسلام وآدابه أولا ، ومن ثم بثها في بني جلدتهم .

ومن خلال تحقيق هذه الرغبة الملحة تآقت نفوسهم الى معرفة وجوه اعجاز القرآن البيانية وتذوق جمال أساليبه . . فاقتضت هذه الرغبة الأكيدة منهم الانكباب على العربية شعرها ونثرها وعلى دراسة علومها، نحوا وصرفا وبلاغة وفقه لغة كما سبق أن أشرنا .

وهكذا استطاعوا أن يتذوقوا من خلال النصوص الأدبية الرائعة التي أدمنوا الانكباب عليها الجمال الفني والبيان الساحر لهذه اللغة الثرية الخالدة ، فألفوا أنفسهم مدفوعين الى الاحتذاء على هذا البيان الخلاب ، فراحوا ينسجون على منواله ويطبعون على غرار ، فاتجهوا أول ما اتجهوا الى الأصول الفنية الأولى التي تمثل التقاليد العربية (الكلاسيكية) للشعر العربي ممثلا في التراث الجاهلي بمطولاته ومعلقاته ومذهباته .

وقد تتلمذوا أول ما تتلمذوا على امرئ القيس والناطقة وزهير وطرفة والأعشى وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعبيد ولبيد وأضرابهم ممن رسخوا التقاليد الفنية للشعر العربي القديم . . ثم تتلمذوا على المخضرمين والاسلاميين ممن ساروا على عمود الشعر العربي وأكدوا طرقه ومذاهبه ، ووسعوا مجالاته ومقاصده ، من أمثال كعب بن زهير والخنساء وحسان وأضرابهم . .

ثم استوعبوا الأنغام الجديدة التي تميز بها المحدثون من أمثال أبي نواس وأبي تمام والمتنبي وطبقتهم . . بل انهم ليستوعبون الأصدا الفنية لشعراء الدول المتتابعة من أمثال التهامي والبيها زهير وأضرابهم . . ولا يجدون حرجا من ترديد بعض الأصدا الفنية في عصور الضعف . . شعورا منهم بأن عليهم أن يمثلوا الشعر العربي كله بكل ألحانه وأنغامه

وقواله حتى يؤكّدوا في فهم الشعرى عطية الانتقاء تأكيداً لا يلحقه ريب ..

وهكذا نجد ملامح الشعر الجاهلي تتراءى قسماً واضحة خلال أشعارهم كما نلاحظها مثلاً في هذه القصيدة التي يمدح بها الشاعر "محمد بن بلو" بعض شيوخه فيقول :

يا دار سلمى بقو أوبخيف منى
أقوت كأن لم تكن صارت لهاوطنا
خطت بها شعبها عن جمع أقتنها (١)
يبغون دارا بذى قارلها أقتنا
خلت كأن بها خيط النعام ضحى (٢)
كوم تروت وآتت في الضحى عطنا
وحين لم ألف الفا في معاهدها
سليت نفسي بصعب ان جرى أرنا (٣)
فحل سبحل أنيق عوهن ثقف
كأنه قارب أمواجه السفنا (٤)
كأن رحلي بذى ضال ودارتها
على أقب بجزع يبتغى أتنا

(١) الأقتنة : الحفرة في الأرض - ومن بيوت العرب : أقتنة من حجر

والجمع " أقتن " .

(٢) العطن : مأوى الابل ومراحها وقد غلب على مركبها حول الحوض .

والكوم : الطعة من الابل .

(٣) أرن : نشط .

(٤) السبحل : البعير الضخم .

مسجج فارع ستأنس وحسد

(١) ما تعاورة الكلاب في ضجننا

فأفردوه فأضحى لا يوالفـــــــــــــــــه

(٢) عمن ولا مسحل البهمن لذا مزنا

وواضح أن شاعرنا يستلهم النابغة في مطلع معلقته :

يا دار مية بالعليا فالسندى

(٣) أقوت وطال عليها سالف الأمد

ولكنه لم يقف في ذلك عند أبي أمامة فحسب ، بل انه يستلهم النهج الجاهلي صوما من حيث المعجم اللفظي والقالب الفني ، فهو يذكر الديار والأماكن التي ذكرها شعراء الجاهلية ووقفوا عليها مثل " قو " " وحيف منى " وذى قار وذى ضال وأقب .. وما الى ذلك .

أما محبوبته التي يقف على ديارها " فسلمى " التي طالما تغنى بحبها الشاعر العربي القديم ويظهر المعجم اللفظي للشعر الجاهلي في مثل " أقوت " أقنتها ، خبط النعام ، عطنا ، معاهدها ، بصعب ، أرنا وفحل سبحل عوهن تقف ، أتنا ، مسجج ، فارع ، ضجنا مسحل البهمن .. الى آخر هذه الكلمات الغريبة الجزلة .

(١) مسجج : معضض مكدم ، فارع : المستفل ، الضجن : جبل .

(٢) المسحل : الحمار الوحشي ، البهمن : نبت ، مزن : ذهب لوجهه .

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٢١ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

طبعة الشركة التونسية للتوزيع .

وأخيرا يسلى نفسه عندما لم يجد أليفا في معاهد محبوبته
بركوبه الفحل ، وتسلية النفس عن همومها بالمطية الذلول تقليد فنسي
جاهلي ، فيها هو ذا طرفة بن العبد يقول :
وراني لأضى السهم عند احتضاره

(١)
بموجاء مرقال تروح وتفتدى

ثم ينظر شاعرنا الى قصيدة النابغة التي يرد فيها على بدر بن
حذار والتي يقول فيها :

ألا من بلغ عني حريما

وزيان الذى لم يرع صهري

.. فلم يك نولكم أن تقذعوني

ودوني عازب وبلاد حجبـ (٢)

فيقول شاعرنا في انتصار جيش المسلمين على التوارك الوثنيين :

ألا أبلغ توارك أهل "أزبن"

علانية فقد ذهب السرار

.. فلم يك نولكم أن تشتموننا

وتفتخروا اذا جد الفخار

فاستلهاه لقصيدة أبي أمانة المذكورة شديد الوضوح تدل عليه هذه الألفاظ :

"ألا أبلغ" "فلم يك نولكم أن تشتموننا" ، وهذا الشطريكا يكون

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ١٢ شرح الأعلام الشنترى ، مطبوعات

مجمع اللغة العربية * بدمشق .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٨٥ تحقيق الدكتور شكرى فيصل ،

طبعة دار الفكر .

مأخوذا حرفيا من أبي أمامة في قوله " فلم يك نولكم أن تقذعوني " لولا أن
الشاعر بدل كلمة " تشتمونا " بـ " تقذعوني " التي تحمل نفس المدلول .
ويضرب شاعرنا أيضا على أوتار النابغة في وصف المتجردة حيث
يقول :

لا مرحبا بغد ولا أهلا به

ان كان تغريق الأُحبة في غد

جاء الرحيل ولم تودع مهردا

والصبح والاساء منها موعدي

في اثر غانية رمتك بسهمها

فأصاب قلبك غير أن لم تقصدي

(١) .. القصيدة

فينسحب شاعرنا على أن ياله متحمسا على فراق العلماء النحارير
الكرام الذين أرسوا قواعد الاسلام برُبوع البلاد ، فهو يصفهم ويتألم
على فراقهم فيستعير في ذلك من مطلع قصيدة النابغة المذكورة شطره الأول
فيقول :

لا مرحبا بغد ولا أهلا به

ان كان بعد غد يكون بعد

والبين موت للقلوب فيا له

موتا وان بقيت به الأجساد ..

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج ١ ص ٢٢٩ للأعلام الشنتري ،
طبعة دار الفكر .

وبمضرب عبدالله بن فودي الوزير على قيثارة أبي أمانة أيضا
ستلها بائيته في مدح عمرو بن الحارث الأصغر . فيقول شاكيا حال أهل
زمانه الذين انحرفوا عن الجادة ولم يستقيموا على الطريقة بل استبدلوا الذي
هو أدنى بالذي هو خير ، فمزعل نفسه الأبية أن يرى بني جلدته في
هذه الارتكاسة الأخلاقية ولا يملك لهم سوى التحسر والهجران ، وهو موقف
جد حزين كان صداه هذه القصيدة ذات اللحن الدامع :

فلما مضى صبحي وضاعت مآربي
وخلفت في الأخلاق أهل الأكاذب
يقولون ما لا يفعلون وتابعوا
هواهم وطاعوا الشح في كل واجب
ولم لهم علم ولا سألونــه
وأعجب كلا رأيه في المذاهب
وقطع أرحاما وأزرى معارفنا
وآثر عن قرباء جمع الاشائب
وما همهم أمر المساجد بسبل ولا
مدارس علم بله أمر الكتائب
وهمتهم طك البلاد وأهلها
لتحصيل لذات ونيل المراتب
بمعدات كفار وأسداء ملكهم
وتولية الجهال أعلى المناصب
وأكل هدايا الجاه والفقء والرشا
وعود ومزمار وضرب الدباب

وان قرين السوء يعدى قرينه
بما فيه اعداء الصحاح الاجارب
وقد طار قلبي للمدينة ثاويا
سنين بها شوقا وليس بآيب
صرفت عناني عنهم متوجها
الى خير خلق الله معطي الرغائب
وكم ليلة بتنا بها نابغية
ولا نار الا نارنا في السباب
وسارنا جيرانا اقربا ونا
بموض وحيات وجمع العقارب
أوانسنا أقواسنا وحابنا
رماح وأساف رفاق المضارب
.. القصيدة (١)

أما قصيدة أبي أمانة فهي التي يقول فيها :
كديني لهم يا أمية ناصب
وليل أقاسيه بطي الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقص
وليس الذي يرى النجوم بآيب
وصدر أراح الليل عازب همه
تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(١) تزيين الأوراق ص ٤٦ مخطوط .

.. علي لعمرؤ نعمة بعد نعمة
لوالده ليست بذات عقارب
وللحارث الجلني سيد قومسه
ليلتمن بالجيش دار المحسارب
وثقتله بالنصر ان قيل قد غدت
كتائب من غسان غير أشائب
بنوعه دنيا وعمرؤ بن عامر
أولئك قوم بأسهم غير كاذب
تراهن خلف القوم خزرا عيونها
جلوس الشيوخ في ثياب المراتب
فهم يتساقون النعمة بينهم
بأيديهم يعض رقاق المضارب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من فزاع الكتائب
رقاق النعال طيب حجزاتهم
يحيون بالريحان يوم الساسب
.. المعلقة (١)

ولعل في وصفه ليلته بأنها نابغية إشارة الى ليلة النابغة الذبياني
وليس الى مجرد وصفها بالطول ومرارة التسهيد ، وخاصة أننا نلاحظ في قصيدة
عبدالله بن فودي تأثرا واضحا بالبائية النابغية ..

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٠ - ٤٨ .

وتظهر ملامح هذا التأثير في وصفه الأسياف برقعة المضرب وهو
وصف مأخوذ من شطربيت النابغة الذي يقول فيه : " بأيديهم بهض رقاق
المضارب " .

كما نلاحظ أخذه كلمات من المعجم اللفظي لأبي أمانة ، ويظهر ذلك
في الكلمات : " الأكاذب " ، " المذاهب " ، " الأشائب " ، " الكتائب " ، " المراتب " ،
" المحارب " ، " بآيب " ، " السباسب " ، " العقارب " ، " المضارب " ..
وهذا الصنيع الى التأثير أقرب منه الى توارد الخواطر . فشاعرنا قد تيم
بفن النابغة في هذه القصيدة فنظر اليها نظرة اجلال واكبار ، ومن ثم
نسج على منواله معجما وقالبا ، وان كان قد استطاع أن يتسلل من
ال قالب الفني والمعجم اللفظي الجاهليين ، ليضمن قصيدته روحا اسلامية
تعمق بمعاناة رجل الدين الذي يرى المجتمع حوله قد ارتكس في حماة
المعاصي وشتى الانحرافات الأخلاقية التي بأبأها الدين ، فينصح لهم
فلا يجد منهم اصفا ، لأنهم لا يحبون الناصحين . ويلقى نفسه كالذى
ينفخ في الرماد فلا يملك سوى الهجران فرارا بدينه ..

وما دام الحديث يدور في فلك أبي أمانة ومن استلهموه من شعراء
المربية في غربي أفريقيا ، فمن الحق علينا أن نذكر الشاعر الأندلسي الوزير
الجنيد ان استلهم هائية النابغة المذكورة سلفا ، فقال :

تطاول ليلى واستمرت وساوسى

وفاضت على صدرى بحور المدامع

وبت أراعى النجم في غيب الدجا

أشير اليه تارة بالأصابع

.. القصيدة (١)

فان ليلته التي بات يراعى فيها النجوم ويتقلب فيها على الجمر
هي نفس ليلة النابغة التي بات هو الآخر يراعى فيها النجوم ويقاسى
مرارة التسهيد . .

وقد تأثر الوزير الجنيد أيضا في احدى قصائده بمعلقة امرئ
القيس المشهورة . فيضرب الجنيد على أوتار الملك الضليل قائلا :

ألا أبلغن عني " لا قدس " (١) تحية

تفوح بعرف المسك أوعرف صندل
ولمغلا هليها سلا ما مباركسا

يعم شذاه من تحيت ومن علل
وفيحاهها حيث الظباء تروى في

خمائل تأتي من جنوب وشمائل
وأحسن بهاتيك الظلال فانها

سارح جاد الغيث فيها بمسيل
بلاد عريضات وأرض أريضة

منازه عين الناظر المتأمل
ومنها بطاح واسمعات تزينت

" بتاجام " (٢) دوم والنخيل المكلل
ومنها جبال شامخات يزينها

طرائق من آثار حاف ومنعسل

(١) مدينة .

(٢) موضع .

أعد ذكر يوم في "تفادك" (١) قضيت
تجول به بين الأراك المظلل
وليل بواديها تهب به الصبـا
على شاطيء وسط الكشيب المعنقل
وركضك في وعت الكشيب بخيبة
من النوق في أكناف ساحة منزل
وكم ذكرتني بيت شعر خيامها
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وأطريني منها غناء حمامها
قفا نيك من ذكرى هبيب ومنزل
وعولت مفتما على عرصاتهم
وهل عند رسم دارس من معول
فسليت عنها ثم قلت تأسيسا
فسلي شياهي من شيايك تنسل
سلام على ظك البقاع وأهلها
نسيم الصبا جاءت بر يا القرنفل
.. القصيدة (٢)

وواضح في هذه القصيدة اقتفاء شاعرنا خطى امرئ القيس في
معلته المشهورة ..

(١) موضع .

(٢) ديوان الوزير الجنيد ص ٢٨

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضع فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمال
ترى بعمر الآرام في عرصاتها
وقيعانها كأنها حب فلفل
وقوفا بها صبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك أسي وتجميل
وان شفائي عبرة مهراقصة
فهل عند رسم دارس من معول
إذا قامتا تزوع المسك منهما
نسيم الصبا جاء تبرايا القرنفل
وان تك قد ساء تك منى خليقة
فسلي ثيابي من ثيابك تتسلل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتهى
بنا بطن جنب ذى قفاف عتقفل
.. المعلقة (١)

فشاعرنا يستعير تعبيرات امرىء القيس ، ويستعمل بعض أشطار
أبياته ومعجمه اللفظي مثل : من عل ، جنوب وشمال ، المكلل ، الكشيب ،
المعتقل ، ساحة ومنزل ، فكل هذه الكلمات من معجم مطولة امرىء القيس ..

(١) شرح القصائد السبع الطوال ص ١٩ - ٢٩ لابي بكر محمد بن القاسم
الانباري طبعة دار المعارف بمصر .

أما استعماله بعض أشطار أبيات الطك الضليل فوضوحه في القصيدة
يفني عن ذكره ..

ومن ضربوا على ألحان الطك الضليل الشاعر محمد بللو وهو
مستلي* بلغة الجاهليين بعامة .

ويظهر ذلك في قصيدته التي أنشأها في الرد على الشيخ محمد
الأمين الكامي في اتهامه لحركة والده الجهادية ضد الوشنيين
والمبتدعة في ختام رسالته :

ألا عم صباحا واحضر الذهن انني

حريص على من يقبل القول بالفهم ..

فلا يكاد المرء ينتهي من قراءة المقطوعة حتى تذكره ألفاظها بلغسة
الجاهليين عموما وبمطولة امرئ القيس التي يقول فيها :

ألا عم صباحا أيها الطفل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي

.. القصيدة (١)

ويقول شاعرنا أيضا مخاطبا الكانس في جواب آخر :

ألا من بلغ عني الأمين

رسالة ناصح يبدي اليقين

أتعلم أنا ما رمين

به برآء فاوف العذر فينا

(١) شرح ديوان امرئ القيس ص ١٣٩ دار صادر ودار بيروت.

وأنا ما تغلبنا عليهم
علوا أوفسادا قاصدين
ولكن حين أخرجنا اعتدنا
وبغيا صاح قننا دافعين
تبين أمرنا هذا أخانا
(١)
وفتشه ولا تعجل علينا..
وهو هنا مستلي، الخاطر بواحدة عمرو بن كثوم في بحرها وقافيتها
وبعض ألفاظها في مثل قول عمرو :
أبا هند فلا تعجل علينا
وأنظرنا نخبرك اليقين
إذا ما الملك سام الناس خسفا
أبينا أن نقر الذل فينا
.. المعلقة (٢)
فشا عرنا يستعير تعبيرات عمرو في مثل قوله : " فلا تعجل علينا"
نخبرك اليقين ، وناهيك في أن كذا القصيدة من بحر الوافر ومن قافية
النون المطلقة .

-
- (١) انفاق الميسور في تاريخ التكرور ص ١٨٨ .
(٢) مختار الشعر الجاهلي ص ٣٦٤ ج ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر .

وقد تغنى شاعرنا هذا بألحان زهير بن أبي سلمى في رثاء سناء
ابن أبي حارثة وقيل حصن بن حذيفة الغزاري حيث يقول :

ان الرزية لا رزية مثلها

ما تبتغي غطفان يوم أضلت

.. القصيدة (١)

فيقول شاعرنا راثيا أستاذه وعمه عبدالله بن فودي مستعيرا
مطلع زهير أو شطر مطلعته :

ان الرزية لا رزية مثلها

رزء غدا الاسلام مثلها

وهي قصيدة طويلة ضمنها شاعرنا روحا اسلامية جيدة ، ولنا معها
وقفة متأملة عندما نتناول المراثي في الفصول القادمة .. على أن شاعرنا
هذا شديد التشبث بأنعام الجاهليين ، فها هو ذا هذه المرة يضرب
قيثارة على أنعام عنزة في احدى حربياته مستعيرا مطلعته في يوم
عراعر (٢) حيث يقول :

ألا هل أتاها أن يوم عراعر

شغى سقما لو كانت النفس تشتغي

.. القصيدة (٣)

(١) أثمار الشعراء الستة الجاهليين ج ١ ص ٢٤١ .

(٢) عراعر: ماء لكب أو موضع في ديارها .

(٣) ديوان عنزة ص ٢٢٨ تحقيق محمد سعيد مولوى طبعة المكتب

الاسلامي .

فيقول شاعرنا في انتصار جيش المسلمين في موقعة " فافرا " (١) :

ألا هل أتاها أن غزوة " فافرا "

شغى سقما في القلب من حين أخبرا

.. القصيدة (٢)

فهو يستعمل تعبيرات عنثرة مع تصرف طفيف في بعض الألفاظ

المؤدية لنفس المعنى الذي قصده عنثرة أو ما يقاربه ، فعنثرة يقول :

شغى سقما في النفس ، ويقول شاعرنا شغى سقما في القلب ، وفي قصيدة

شاعرنا استعملات أخرى لمعجم عنثرة اللفظي كقوله : " فغادرن

سمودا " وقول شاعرنا : فغادر خيل الله للنصر هامهم .. ورغم

أن شاعرنا حاول أن يقلد عنثرة في حماسيته واستعمل بعض تعبيراته ،

فإن الأصل الفنية لم تخالفه في ذلك ، حيث أنه قد استطاع أن يضمن

قالبه الجاهلي القديم محتوى إسلاميا أضفى على قصيدته رونقا وبها

وأكد لها طابعها الإسلامي المميز ، وسنقف طويلا عند هذه القصيدة

عندما نتناول شعر الجهاد في الفصول القادمة ..

ولنتجاوز محمد بللو لنميط اللثام عن عمه الوزير الشاعر عبد الله

ابن فودي لنكشف القناع عن مدى تمثل شعره للتقاليد الفنية للشعر

القديم ، وهو الذي كان خير مثال على من حذوا حذو الشعراء الجاهليين

(١) فافرا : موضع بشمال نيجيريا .

(٢) اتفاق المصور ص ١٤١ .

في المعجم والقالب . وها هو ذا يتغنى على أوتار حائية عنثرة فيقول :

طربت فأشجاني الطيور الكوالج

وفرهني منها الغيوث الروائج

وخوفني منها ذياب بـــــــــــــــــواح

و أمني منها الظباء السوانج

لقول النبي لا تزال جماعــــــــــــــــة

(١)

على الحق منا أو تجي المقارح ..

وشاعرنا في هذه القصيدة يستعمل بعض تعبيراته من حائية عنثرة

التي يقول فيها :

طربك وهاجتك الظباء السوانج

غداة غدت منها سنج وبارح

فمالت بك الالهواء حتى كأنما

بزندين في جوفي من الوجد قاح

(٢) .. القصيدة

ف فكرة التشاؤم والتفاؤل من الطيور أو الظباء السائمة والبارحة

مأخوذة من الشعر الجاهلي بعامة وإن ظهر تأثره هنا بقصيدة عنثرة.

(١) تزيين الأوراق ص ١٨٠

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج ٢ ص ١٥٨

ولم يتوقف أخذ شاعرنا من عنثرة عند فكرة التشاؤم والتفاؤل
بحسب ، وإنما تجاوزها الى البحر والقافية وبعض الألفاظ مثل
"الظباء السوانج" و"سنيح وبارح" "طربت" منها .. ومع ذلك
فقد نجح شاعرنا في الاتجاه بقصيدته وجهة اسلامية رائعة برغم أنه
استلهمها بفكرة أقرب ما تكون الى الجاهلية منها الى الاسلام .. ومن
بواعث الاستغراب أن تكون هذه القصيدة التي بدأت بفكرة غريبة عن
منطق الاسلام نداً اسلامياً وجهه صاحبها الى قومه "الفلانيين" (١)
يدعوهم الى الانضمام الى سلك المجاهدين تحت قيادة أخيه المجدد الشيخ
عثمان بن فودي .

وقد فعلت القصيدة فعلها في القوم فأقبلوا اليه رجالاً وركباناً
حتى قال أحد الباحثين ان هذه القصيدة قد ألهمت الفلانيين عن كل
شيء كما ألهمت بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة عمرو بن كلثوم .. وللحديث
بقية عن هذه القصيدة فيما سنتناول من الجهاديات في الفصول القادمة ..

على أن شاعرنا قد نسج تراكيبها من معجم عنثرة اللفظي وطعمها
على قالبه الفني وان كان مضمونها اسلامي المعاني والمقاصد ..

وقد استلهم شعراً غربي أفريقيا أيضاً تراث المخضرمين الشعري :
فهذه خنساء نيجيريا "أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي" تتأثر بتماضر بنت
عمرو بن الشريد في بكائياتها ، وخاصة مراثيها لأخيها صخر التي تقول
فيها :

(١) قبيلة اشتهرت بالرعي في غربي أفريقيا ولها تاريخ مجيد في نشر
الاسلام بالمنطقة .

أعيني جودا ولا تجمدا

(١) ألا تهكمان لصخر الندى ..

فتندفع أساء في رثاء بعض صديقاتها قائلة :

أعيني جودا وابكيا لي حبيبتي

وسلوة أحزاني وأنسا لوحشتي

على أنها لم تتأثر بتماضر إلا في كلمة " أعيني جودا " وكأنها

تريد أن توجه إلى السامع بأنها تنطلق في فنّها من أساس متين ، وأن

نسبها الفني في الرثاء تتصل حلقاته لتصل إلى ربة هذا الفن في

الشعر العربي ، وهذا نذير بأصالتها الفنية ..

ومن عاشوا في جوار الخنساء الحزين واستلهموا قوالها الفنية

الشاعر السنغالي أحمد عيان سه في مرثاته لا يسه فيقول :

ما بال عينك تشكو شدة الكمد

كأن جفنك مكحول من الرمد

والقلب محترق والدمع منسكب

(٢)

لما يقطع في الأحناء وفي كبدي

فهذه المعاني الحزينة مستوحاة من قول الخنساء في صخر:

ما بال عينك منها دمعها سرب

أراعها حزن أم عادها طرب

(١) ديوان الخنساء ص ٣٠ طبعة دار صادر ودار بيروت.

(٢) الأدب السنغالي العربي ج ١ ص ١٢٣ د / عامر صاحب طبعة

الشركة الوطنية للنشر والوزيع الجزائر.

أم ذكر صخر يعمد النوم هيجهما

فالدمع منها عليه الدهر ينسكب

.. القصيدة (١)

ولعل فكرة اكتحال العين من الرمد من شدة الحزن مأخوذة من قول

حسان بن ثابت في رثاء خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

ما بال عينك لا تنام كأنهـما

كحلت مآقيهما بكحل الأرمـد

وكانني بآبن زهير السنغالي يضرب على أوتار تماضر ويستعير نفستها

الحزينة حيث تبكي صخرا فتقول :

يا عين جودي بدمع منك مسكوب

كلو لو جاء في الأساط مثقوب

.. القصيدة (٢)

أوربحا استهواه اللحن الحزين لحسان بن ثابت في إحدى بكائياته

على النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

يا عين جودي بدمع منك أسبال

ولاتلن من سـج وأعوال

.. القصيدة (٣)

(١) ديوان الخنساء ص ١٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية ص ٣٩٥ عبدالله بن حامد الحامد .

فيقول شاعرنا راثيا الشيخ محمد البكي :

يا عين جودي بدمع منك هتسان

تبكي على فقد جار خير جيران

واستلهم كثير منهم بردة كعب بن زهير وكانوا في ذلك ما بين

مضمن وشطر ومخمس ومعارض ، وسنبين ذلك كله عند تناول المدائح

النبوية .. ونذكر هنا على سبيل المثال تضمن الشاعر السنغالي محمد

أنياس للبردة فيقول :

هريم رامة قلبي اليوم متبول

متيم اثرها لم يفد مكبول

ترنوباتن جفن لیس يشبهها

الا أغن غضيض الطرف مكبول

ترك قامة غصن البان مائسة

لا يشتكي قصر منها ولا طول

لعل عفو رسول الله يدركني

والعفو عند رسول الله مأبول

.. القصيدة (١)

فيقول كعب بن زهير :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم اثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا أغن غضيض الطرف مكحول
أنبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
.. القصيدة (١)

ثم تتلمذ شعراؤه نا على الاسلاميين فنجد محمد بللو يضرب على
أوتار علي بن أبي طالب في قصيدته في يوم بدر فيقول شاعرنا :

ألم تر أن الله أهلك عباده
بلاء عزيز والحروب تسعمر
بما أنزل الكفار دار بوارهم
فلاقوا هوانا والحوادث تخطر
وهوفي هذه يستلهم قصيدة علي بن أبي طالب التي يقول فيها :

ألم تر أن الله أهلك عباده
بلاء عزيز ذي اقتدار وذو فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة
فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل
.. القصيدة (٢)

(١) شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ص ٢٣ تحقيق د/ محمود

حسن أبو ناجي الوكالة العامة للتوزيع .

(٢) اتفاق الميسور ص ١٣٢ .

وواضح جدا مدى تأثر شاعرنا بقصيدة علي بن أبي طالب وتظهر
ملاحظ هذا التأثر في قوله : " ألم تر أن الله أبلى عباده " بلاء عزيز ..
وقوله في البيت الثاني : " بما أنزل الكفار دار .. فلا قوا هوانا .. " يضاف
الى ذلك تأثره ببحر القصيدة إذ أن كلا القصيدتين من بحر الطويل ، أما
قافيتيهما فمختلفة ..

وعارض شاعرنا من الاسلاميين كعب بن مالك في مقطوعته ليسوم
" أحد " حيث يقول :

أبلغ قريش وخير القول أصدقـــــــــــــــــه
والصدق عند ذوى الألباب مقبول
لقد قتلنا بقتلنا سراتكم
أهل اللوا ففيم يكسر القيل
ويوم بدر لقينناكم لنا مدد
فيه مع النصر ميكال وجبريــــــــــــــــل
.. المقطوعة (١)

فيقول شاعرنا :

أبلغ بلادى وخير القول أصدقـــــــــــــــــه
أنا رجعنا بحمد الله بالسول
إذ قد نصرنا على الأعداء كلهم
وقد بلغنا به من كل مأـــــــــــــــــول
إذ قد سمونا بحمد الله في مدد
من دعوة الشيخ يدعو خير مسئول
.. القصيدة (٢)

(١) شعر الدعوة الاسلامية ص ٢٨٦ .

(٢) افادة الطالبين ص ٦٠ .

وواضح استعارته تعبيرات كعب بن مالك في الشطر الأول من البيت الأول ، فهو قد أخذ الشطر ولم يزد فيه إلا أن غير كلمة " قريشا " " بيلادي " ، وكلتا القصيدتين تتحدان في المناسبة ، فشاعرنا في قصيدته يفتخر على أعداء الاسلام ويتباهى عليهم بانتصارات جيش الايمان على جيش الكفر : وكعب بن مالك " أيضا كان يرد على المشركين تهجهم بيوم أحد ويذكرهم بالويل الذي أصابهم والتكيل الذي نالهم من المسلمين يوم بدر . وهو ما لو تأملوا فيه لما سمحت لهم " أنفسهم أن يتجحوا ويفتخروا بيوم أحد . . . ولنا حديث طويل مع جهادمية صاحبنا هذه في الفصول التالية .

وقد استهوت نغمات صغية بنت عبد المطلب الحزينة وكأيتها في النبي صلى الله عليه وسلم فراح يتدب بالحنانها على شيخه المختار الكنتي حيث يقول :

عين جودي بدمعة وصبيب
واسكبي الدمع بعد فقد الحبيب
واذرفي أدمع الجفون انسكابا
واهلمي واهظلي وسحي وصبي
عل بذلك الدموع يشفى غراما
ستكنا وفرط وجد مذهب
.. القصيدة (١)

وهذه النغمة الحزينة تذكر بنغمة صفة التي قلنا ان الشاعر
يندب بألحانها وهي قولها :

عين جودي بدمعة وسهـود

واندبي خير هالك فقـود

.. القصيدة (١)

وليس أدل على نظرتة اليها حين كان يكتب شعره من استعارته
قولها : " عين جودي بدمعة .. " ..

ومن استلهموا الاسلاميين عبدالله بن فودي في حائته التي
ألهمت الفلانيين عن كل شي* وشجعتهم على حمل السيف للجهاد في سبيل
الله ، ففيها يقول :

ألا أبلفن عني لحى رسالة

تعيها رجال أونسا* صوالج

وهذا البيت يذكرني بقول كعب بن زهير في زجر بجير :

ألا أبلفن عني بجيرا رسالة

فهل لك فيما قلت ويحك هل لك* (٢)

ثم يستوعبون الأنغام الجديدة التي تميز بها المحدثون من أشال
أبي نواس وأضرابه فنجد الشاعر السنفالي محمد أنياس يضرب على أوتاره

(١) شعر الدعوة الاسلامية ص ٤٠٤

(٢) شرح قصيدة كعب بن زهير ص ٣٤

في احدى خمريات التي يقول فيها :

دع عنك لومي فان اللوم اغـزا*

(١)

وداوني بالتي كانت هي الداء*..

فاستلهم شاعرنا هذه النغمة وانسحب على أذيال الحسن بن
هاني* ، غير أن خمر شاعرنا خمر روحية احتسى كأسها حتى الثمالة
فتخضت عن حالة الانتشاء* عنده هذه الأبيات :

باتت تعاطيك من خمر الوصال بما

أشقى به كبد بالشوق حـرا*

ثم انثنت فكأننا كان يرقبنا

صبح له في نواحي الأرض اسرا*

فأوقدت لها في الأرض ليس له

الا يوصل مد الخلق أطفا*

شمس الهدى من سقانا من طريقته

بفيضة ينجلي من شربها الداء*

كم فيضة منه للأرواح جاذبة

الى الاله لها بشر وسـسـرا*

يا لائي في هوى شيخي يحذرني

قصر عن اللوم فالتحذير اغـرا*

(١) ديوان أبي نواس ص ٧ دار صادر دار بيروت .

وواضح أن القالب الفني والمعجم اللفظي للقصيدة نواسيسية
اذ يستعير شاعرنا ألفاظ أبي نواس مثل " اسراء ، الداء ، سراء ، اغراء .
والشطر الثاني من البيت الاخير مأخوذ من معنى قول أبي نواس :

* دع عنك لومي فان اللوم اغراء *

وتأثر عبدالله بن فودي بأبي الطيب في قوله :

هذا قضت الايام من بين أهلها

مصائب قوم عند قوم فوائد^(١)

فيقول شاعرنا :

وان قد أضعناه استفاد بغيرنا

مصائب قوم عند قوم مصالح

فهو قد أخذ الشطر الثاني من البيت لفظا ومعنى من قول

المتنبي السابق ، وكل ما فعله هو أنه غير كلمة القافية بما يتناسب مع قوافي

قصيدته ويؤدى ذات المعنى والفرض ... على أن ما اشتغلت عليه قصيدة
شاعرنا من الحكم تدل على تأثره بالمتنبي في القصيدة أكثر من غيره كقوله :

وما ضر شمساً أن نفس العمى ضوءها

وما ضر حوضاً أن أبتته القوامح

(١) ديوان المتنبي ج ١ ص ٢٧٦ شرح أبي البقاء العكبري ، مطبعة مصطفى
الباهي الحلبي وأولاده بمصر .

وقد تأثر الشيخ عبدالله بن فودي بأبي الحسن التهامي من شعراء الدول المتتابعة ، فتغنى بألحانه الحزينة في رثاء صديقه مصطفى حيث يقول :

آن ارعواؤك از أرتك الدار
بفعالها من أنها غدار
دار يموت بها حبيبك لا ترم
فرحا بدار صفوها كسدار
ما ترتجي من هذه الدنيا التسي
ما تأتلي تزكو بها الأخطار
فهو في هذه الأبيات يعيش في جو التهامي الحزين في بكائيه على فلذة كبده حيث يقول :

حكم العنة في البرية جـار
ما هذه الدنيا بدار قرار
.. والهون في ظل الهويني كامن
وجلالة الأخطار في الأخطار
طبعست على كدر وأنت تريدها
صفوا من الاقتداء والأكسدار
.. القصيدة (١)

(١) أبو الحسن التهامي حياته وشعره ص ١٣٦ د / محمد الربيع
مكتبة المعارف - الرياض .

وواضح أن شاعرنا يستلهم التهامي أو يعارضه ويستعير منه بعض
ألفاظه وتعبيراته كقول شاعرنا : " لا ترم فرحا بدار صفوها كدار " فهو
يستلهم من قول التهامي :

طبعت على كدر وأنت ترومها

صفوا من الأقداء والأكـدار
أما الألفاظ فتبدو في استعمال شاعرنا للكلمات الآتية : " كدار ، أخطار ،
وهكذا دواليك .. وسنورد الموشية كاملة عندما نترجم للشاعر ..

ومن استلهموا هذه القصيدة التهامية الحزينة الشاعر اسماعيل
ابن محمد في رثاء شيخه الحاج شعيب ابن الأمير محمد فيقول :

الله أكبر ذى الدُّنا لفناء

خلقت وما خلقت أخي لبقاء

دار كثير حزنها وهمومها

ما أضحكت حتى أتت بهكـاء

كانت على كدر ونحن نرومها

تبقى لنا بمسرة وصفاء ..

ويظهر أثر التهامي في قصيدة شاعرنا هذا في قوله :

كانت على كدر ونحن نرومها

تبقى لنا بمسرة وصفاء

فهذا البيت مأخوذ من قول التهامي :

طبعت على كدر وأنت تريد هـا

صفوا من الأقداء والأكـدار

يتلاعب بمصطلحات العلوم ويؤرخ لشعره صنيع الشعراء في المشرق
والمغرب فيقول :

ولهم ككان ومبتدا في جارهم

عمل لغيرهم كلم أوفي يـج

وهذا البيت يذكرني بقول ابن الفارض :

نصبا أكسبني الشوق كـ

تـكسب الأفعال نصبا لام كي^(١)

أقول التلعفري :

وإذا الشنية أشرقت وشممت من

أرجائها أرجا كنشر عبير

سل هضبتها المنصوب أين حديثها

(٢)

المرفوع من ذيل الصبا المجرور

ويقول شاعرنا مؤرخا لقصيدته :

قد يسر التخميس لي في مدحه

قد تم نظم قصيدتي في مدحه

أبياتها جمل كسن محمد

(١) الأديب في العصر المملوكي ج ٢ ص ١٠٩ / د . محمد زغلول سلام

ط دار المعارف .

(٢) المصدر السابق .

ومن نحو هذا المضحى من الشعراء السنغاليين ذوالنون حيث
يقول :

أفنانى الشوق حتى لم يدع خبـرا
لمبتدا لا ولا حالا ولا بدلا
وكان منفصلا ما كان متصلا
فهاج لي علا قد قرئت أجلا
قد عنعن الشوق عن نفسي وعن نفسي
هذا حديث صحيح ثابت نقلا
فهو في هذه الأبيات يتلاعب بمصطلحات النحوم نحو المبتدا
والخير والحال والبدل والمتصل والمنفصل ومصطلحات المحدثين من
عننة ونقل متواتر وصحة في الرواية ..
وقد نسج شعراء غربي أفريقيل على منوال البوصيري في البردة
والهمزية وذلك في مدائحهم النبوية فيها هو ذا الحاج مأجور سياسة
ينسج على منواله شكلا ومضمونا فيقول :
بديع مطلعكم يا جيرة العلم
سنا براعته نار على علم
ان جئت سلما فسل عن ريم رامة هل
بالبان مذ بان عني أوبذى سلم
أحبة أرخوا يوم الوداع على
خدى خطا بلارق ولا قلم
صدوا فلم يبق لي جلد ولا جلد
والفصن يذوى لفقد البار والشيم

قد هددوني الجوى ركنا وثقت به

مذ هددوني بسيف من بعادهم

وجردون النوى ذيل الفراق ولم

أبال ان جردوني من بعادهم

.. القصيدة

وكانوا في محاكاة البردة ما بين مشطرومخمس ومن بين

من شطروها الشيخ محمد محي الدين كشمه فقال :

أمن تذكر جيران بذي سلم

قد بت ترعى نجوم الأفق لم تتم

أم من ظلمين نأت والخوض تحملها

مزجت دما جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة

فهاج شوقك هوج الريح للعلم

أم جاورت أضما سلقى وجيرتها

وأومض البرق في الظلما من اضم

.. القصيدة

ويضرب الحاج محمد أنياس على أوتار البوصيرى في الهزبة فيقول :

أنست للكون بهجة وبهـ

وتجلت بنورك الأنبيـ

أنت لولاك لم يكن كل كـ

ولما زال عن ذويه الشقـ

.. القصيدة

وهناك شعراء آخرون استلهموا البوصري في مدائحهم
النبوية تذكر منهم على سبيل المثال ، الحاج مالك سه الذي يكاد
يتخصص شعره في هذا المجال فيقول :

أبدا هروق تحت جنح ظلام
أم وجه مئة أم ربوع شمام
ان الربوع بشارتي وأمانتي
وربيع قلبي وهي خير شمام
والدمع ان بعدت ربوع ربوعنا
جار وجارج منحري بسهم
مه عاذلي لوحزت علالم ظم
هل عدل مثلي لم يكن بحرام
.. القصيدة

وله في ذلك أيضا :

ألا يا دعد ويحك نهينني
بذكر البان تهتان العيون
أفي بيت حبالك أم ببين
بعشاق برامة خيرينني
ففي نيك الأحبة كي نداوى
ضنى فينا باجرا الشئون
دعي عنك التفنج ذات دل
به يزداد قلبي من فتونني
ألا حبل المودة جدديهـ
ففي التجديد نحي كل حين

وغنوا بي الظنون وحال بيني
وبينهم جنان غير خال
فيأترون بي أليقتلونني
لامر ما وعندي بنت خال
فقلت لها أفاط اليك عنني
فاني في الامور يريد خال
.. القصيدة

ونلاحظ أن الشاعر قد استطاع أن يستر تكلفه لهذه القافية
التي التزمها ، بجودة تراكييب التي تتسم بالعفوية والتلقائية والانسباب
القصصي ..

واستلهم الشيخ الهادي توري أحمد بن ونان الشاعر المغربي
المشهور بأبي الشمق في مدحته للسلطان محمد العلوي والتي يقول فيها :

مهلا على رسلك حادي الأبنق
ولا تكلفها بحالم تطسق
فطالما كلفتها وسققتها
سوق فتى من حالها لم يشفق
.. والله لو حلت ديار قومها
واحتجبت عني بيباب مغلقة
لنزتها والليل جون حالك
وجفنها لم يكتحل بأرق^(١)

(١) النبوغ المغربي في الأدب العربي ج ٣ ص ١٧٨ عبد الله كنون
دار الكتب للملايين .

فضرب شاعرنا على أوتاره قائلا :

لعمان برق الليل نحو الشـرق
أهدى هوى قلبي بنور مشـرق
وأنا رلي خفقان قلب رائـم الـ
أفكار في بحر الخيال مفرق
آه على أطلال دار أحبـة
لي البرق خيلها كروء يا المخفق
.. لونال نوسقم بفيها قلـة
كان الشفاء له بدون ترنـق
فلرب ليل شل ابهام القطـا
بتناه فوق سريرها في عيهـق ..

وقصيدة شاعرنا طويلة جدا سنورد لها كاملة عندما نترجم له في
الفصول القادمة .. على أنه قد سار فيها على نوال أبي الشمق المغربي
في قصيدته السلطانية من حيث بدأ بالتشبيب فذكر مغامراته الغرامية
ثم اختتم بالزهد والتوبة ..

وبعد . فقد رأينا كيف أن شعراء العربية في غربي أفريقيا
قد صدروا في شعرهم عن أصالة تعتد جذورها الى العصر الجاهلي حيث
انهم قد استلهموا الشعر الجاهلي في معجمه اللفظي وقالبه الفني ..
فاستلهموه امراً القيس والنايفة الذبياني وعمر بن كثوم وزهير بن أبي
سلمى وعنترة العبدى و صرفة بن العبد وغيرهم .. ولم ينفلوا عن شعراء
الخنزرة ، فقد تأثروا بحسان بن ثابت ، وترنموا بأنغام الخنساء الحزينة ،
كما ضربوا على أوتار كعب بن زهير ..

ولم يفتهم التغني بالحن الاسلاميين ، فراحوا ينسجون على
منوال كعب بن مالك وعلي بن أبي طالب وصفية بنت عبد المطلب وغيرهم ..

كما استوعبوا الألحان الجديدة التي تميز بها المحدثون ،
فهدوا بضربون على قيثارة أبي نواس والمتنبي .. كما ردوا أصداً
من شعراء الدول المتتابعة والعصور المتأخرة ، فظهرت في أشعارهم ملامح
من شعر أبي الحسن التهامي .. ونسجوا على منوال هديعيات ابن الفارض ،
وضربوا على أوتار البوصيري ، كما أرخوا لأشعارهم وشفقوا بالمحسنات اللفظية
وتلاعبوا بمصطلحات العلوم الى غير ذلك من أمور وتقاليد فنية سنتبينها
أكثر في الفصول التالية .. على أنهم لم يتخلوا تلك الأصداً الفنية
لضعف أولمجرد حب التقليد فحسب ، وانما كان ذلك شعوراً منهم بأن
عليهم أن يمثلوا الشعر العربي كله بكل ألحانه وأنغامه وقوالبه حتى
يؤكدوا في فئهم الشعرى عطية الانتماء العربي الاسلامي تأكيداً قوياً لا
يلحقه مرا ، وقد حصل ذلك في الشعر العربي في الاندلس والشعر
العربي في المغرب حيث كان شعراء هذه البلاد يعتمدون متابعة شعراء
الشرق ليؤكدوا انتماءاتهم العربية وذلك لبعد مواطنهم عن جزيرة
العرب . موطن الشعر ومعدن أصوله ..

وتجدر الملاحظة أنه بناء على ما وقع تحت أيدينا من أشعار نستطيع
أن نقرر أن تأثير القوم بالجاهليين أقوى وأوضح من تأثيرهم بغيرهم ، ولعل
السبب في ذلك يرجع الى تشابه البيئتين وطبيعة الحياة فيهما .. كما
نلاحظ عدم تأثيرهم بشعراء العصر الأموي وشعراء النهضة في العصر
الحديث .

الفصل الثالث :

فنون شعر العربي في غرب أفريقيا .

يمكن القول ان فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا تدخل تحت مفهوم جنسين من أجناس الشعر ، وهما الشعر الغنائي والشعر التعليمي .
أما الجنس الأول وهو الشعر الغنائي فقد أكثر القوم فيه اكثارا شديدا ، فمن مديح الى رثاء الى فخر الى وصف الى غزل الى حاسة الى شكوى الى حنين الى مدائح نبوية . .

طرق شعراء العربية في غربي أفريقيا فن المديح ضمن أغراضهم الشعرية ، وكان عندهم على مذهب زهير بن أبي سلمى الذى قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " كان لا يحاظر بين الكلام . . ولا يمدح الرجل الا بما فيه " (١) . . أى أنهم مدحوا لأن مدوحهم يستحقون المدح ولم يمدحوا لملأوا جرابهم بالذهب والفضة - صنع شعراء المديح التكسبي - وانما كان ذلك صدى لوجدان الانسان في أعماقهم . .

ومجمل القول أن المديح عندهم حب للمثالية المجردة وتعشق للقيم الطاهرة . .

وكان أغلب المدوحين من العلماء وقادة الفكر ورجال الدعوة الذين كانت لهم أياد بيضاء على الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٥٢ لمحمد بن سلام الجمحي : تحقيق محمود محمد شاكر ط / دار المعارف .

والسياسية في المجتمعات الاسلامية يربوع المنطقة . . أضاف الى ذلك أن الشعراء المادحين أنفسهم كانوا من نفس طبقات المدوحين ، ومن هنا قل المدح التكسبي في شعرهم ، إذ أن الشعراء المحليين الذين يشمرون باللهجات القومية قد كفوهم مؤنة التكسب بالمدح . .

هذا ولم تختلف القيم والمثل العليا التي مدح بها شعراء العربية بهذه البلاد عن المثل والقيم التي مدح بها شعراء العربية في الشرق والمغرب ، كالعدل والوفاء والشجاعة والجلود والكرم والابسا وحماية الجار وما الى ذلك من القيم التي كان يتغنى بها الشعراء في مدوحهم . .

أما منهج القصيدة فقد ساروا على نهج القصيدة العربية من حيث البدء بالنسب والوقوف على الاطلال ووصف الرحلة أو ما شاكل ذلك من الامور التي أكد عليها النقاد القدامى كابن قتيبة الدينوري وابن رشيح القيرواني في كتابيهما . . (١)

وها هو ذا الشيخ أحمد عيان سه يمدح الحاج سعيد النور
تال سبط المجاهد المشهور الشيخ عمر الفتوح فيقول :

أمن تذكر من في البان والبان
أم من تذكر غزلان بغزلان
تأتي الى طلل تكي لساكنه
وحي عنى تحايا الخير أوطاني

-
- (١) الشعر والشعراء ص ٢٢ ابن قتيبة الدينوري طبعة دار الكتب العلمية .
(٢) العمدة ج ١ ص ٢٢٥ ابن رشيح القيرواني ط / دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء .

أرقت ليلي ويلي لا يزال اذا
غنى الحمام على غصن فأشجانى
دع عنك سلمى وسلمى لا تجودلنا
بالوصل الا بطيف عند سنان
(١)
ماهيبي "سانلوى" المحروس ربح صبا
الا على الخد أبكاني فأبكاني
يلوح قومى ومثلنى لا ينوح على
تلك التصاوير الا بعد أزمان
قلبي أسير بربيع الراحلين فلم
يجد سوى الجأت أو آثار حد شان
يا حسرتي من خطوب لا تزال على
دهرى وتسهرني بالدمع عينان
لا والذي قد أنار الكون طلعتنه
فرد الجلالة سيف الله ألهماني
وبعد هذه المقدمة يبدأ الشاعر في مدح مدوحه بالعلم والتنوير
والارشاد والجهاد في سبيل الله وكثرة التأليف وأنه النبراس الذي أنار
الله به "السنغال" ، ثم يصفه بأنه سيد صديد يلوذ به الخائف
والمحتاج فهو يذل جواد كريم وهو علامة الدهر في علمه ، فيقول :
أعنى الامام سعيد النور من كشفت
به الجهالة من أهلي وأوطاني

مجيد مغزلة وساق خدلسة

وترائب كالدرد والمرجسان

وبعد هذا التشبيب الذي وصف فيه الشاعر محبوبته بصفات حسنة
استهلكت من قبل الشعراء القدامى ، يبدأ في غرضه الأساسي وهو المدح
فيمدح المدوح بالشجاعة وشدة البأس في الهجاء وحلاوة الشرائع ولين
الجانب للصديق ومرارة المذاق للعدو ، فالجود وكثرة الكرم والاحسان
والعدل وأنه امتلك البلاد بعد سيفه البتار وخصاله الحميدة ..

وتلك صفات في المدح مطروقة ، إذ كانت من قبل القيم الاجتماعية
التي كان الشعراء القدامى يحرصون على خلصها على مدوحهم لأنها
تشير أريحياتهم ، وجاء الاسلام فأقرها وحض الناس على التحلي بها على
ضوء تعليماته .. ولنستمع الآن الى ألحان الشاعر :

دع ذا وعد القول في رغم العدى

حامي الزمار مجدل الشجعان

حلوا الشرائع لين لخليه

مر مذاقته لذى الأضغان

بطل أخي ثقة يجود بنفسه

يوم الهياج وملتحق الأقران

ما في القبائل كلها في الجود وال

هيجاء مثل محمد الجيلاني

ملك القبائل والأموار بسيفه

وسخائه والعدل والاحسان

واذا نزلت به غريبها عافيه

(١)

أصبحت رب حرافد وحصان

وهناك شاعر نيجيري آخر هو الوزير الجديد ، قد سار على نهج القصيدة العربية في مدحه للأمير حسن بن المعاذ ناظر إلى بائية النابغة الذبياني في عمرو بن الأضر ، فبدأ الشاعر بشكوى طول الليل ومرارة التسويد وقد سبق أن أشرنا إلى هذه المقدمة واستلهاه النابغة الذبياني فيها (١).

وبعد هذه المقدمة التقليدية أحسن التخلص إلى غرضه حيث يقول :

على أن بدا وجه الصباح كأنه
محيا أمير ذي الأيادي الهوامع
أمير له في كل فعل محامد
وأخلاقه فاقت عسولا لراضع
سخي يحاكيه السحاب وخيمره
صميم لجمع الناس دان وشاسع
حيي حلهم ليس فيه نخوة
عطوف أمين القلب ليس بخادع

فهو في هذه الأبيات يصف المدوح بالجوود والكرم ودماثة الأخلاق وان السحاب تحاكيه في العطاء والفزارة ، وهو في هذا الجود وذاك الكرم لا يميز بين العافين . . وهذه المعاني كلها قديمة قدم الشعر العربي أما الشمولية التي يتصف بها سخاء المدوح فصفة قديمة سبق الشاعر إليها النابغة في قوله :

(١) راجع في ذلك الفصل الثاني ، ص :

فتك تهللني الثعمان ان له

(١)

فضلا على الناس في الأروى وفي البعد

كما وصف مدوحه بالحياة والحلم والعطف وحفظ الأسرار مع
عدم الخيانة وتلك قيم عليا حرص عليها الاسلام كل الحرص لأنها من
صميم مقاصده السامية فالحياة شعبة من شعب الإيمان والحلم سيد الأخلاق
والعطف ريدن المسلمين في التعامل فيما بينهم والوفاء والأمانة من
الصفات الثلاث التي تميز المسلم من المنافق .. وشاعرنا قد خلع كل
هذه الصفات الاسلامية على مدوحه مضيفا اليها العدل والحزم اللذين
بهما استطاع المدوح أن يشيع الأمن والطمأنينة في البلاد حتى ان
الشيء قد أسنت على نفسها من فتك الذئاب ، ولنستمع الى قيثارتـه
في ذلك ..

أيا حسن السامى الحسين فعالة

(٢)

ويا سيدى السجبر يا خير طائس

لقد فرحت هذى البلاد جميعها

بأخذكها يا خير راع ودافع

وزادت حلاها واطمئنت كأنهـا

عروس الى كفوف تزف وشافـع

وأمنتها من كل ظلم يشينهمـا

بعدلك حتى فرذئب البلاقع

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٢ .

(٢) السجبر : الصديق وجمعه سجرا .

وفي الختام يدعوا للمدح بدعوات صالحات / ثم يختم القصيدة بالصلاة والسلام على خير البرية محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ..
ورغم كون معاني شاعرنا مطروقة إلا أنها جاءت موافقة لما يستحسنه المدح ويرتاح له ..

وها هو ذا ذوالنون السنغالي يمدح الشيخ الخديم أحمد بمبه ، فيبدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال ويرسم لنا لوحة فنية للأطلال ليؤكّد قدرته على مجازاة الشعراء القدامى في المدح ثم يعرض عنها بعد أن أجاد وصفها وصفا استوفى فيه كثيرا من عناصرها القديمة من نحو ذكره لما يبدل معالمها من رياح عواصف وأمطار غزيرة ، وما حل بها بعد رحيل أهلها من قطعان البقر الوحشي والغزلان وأسراب النعام إلى غير ذلك .. ولنستمع إليه :

مغنى سعاد عفته هوج العشير (١)

وسقته واكفة الغمام المطر
والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أصور
وترى مهاها البيض ترعى روضة

مطلولة نمصت هيطن محسّر (٢)
أطفالها يمر حن في أطلالها

فكأنها في الشعب شعب المرعر

(١) العشير : المجاج الساطع ، وهوج العشير أى الرياح المتربة .

(٢) نمصت : أى رعتها الماشية فجردتها ثم نبثت .

- أوعالها تستن في أوعارها —
 (١) ترعى خزامها وغض الا زهر
 وترى قلائص في تياثر آلها —
 (٢) فكأنهن سفائن في أبحر
 غزلانها تقومدى ظلماتها —
 ان راعها صبحا زئير غضنفر —
 فالشوق لوزار الخلي أتل —
 نالته منه كسرة لم تجبر —
 وبعد هذه المقدمة التقليدية يبدأ في مدح الشيخ فيقول :
- أعرض فوادي الهيف عن طلل عفا
 (٣) لم يبق فيه سوى المها والجوذر
 وذر الربوع ومن بها قد حل من
 غيد عليها كل ثوب أخضر —
 مها شدا شاد أطن قدودها
 (٤) كفصون بان غب ربح صرصر
 .. فالحد من يستهل غيومه
 من يومنا هذا ليوم المحشر —

-
- (١) أوعال جمع وعل وهو تيمس الجبل تستن : أى تجس* دفعة دفعة ،
 أوعار : جمع وعر .
 (٢) تياثر جمع تيار وآلها أى سرايها .
 (٣) الهيف : اللين المنكسر ، الجوذر : ولد البقر الوحشي .
 (٤) غب ربح صرصر : أى عقب ربح صرصر .

أهل الهوى شرق البلاد وغربها
 اني أناديكم بصوت جهـوـرى
 كونوا معي في مدح هذا المرتضى
 شمس الفضائل ذى المقام الأكبر
 وله مآثر كالجواهر حسنـها
 تنسى مآثر تبع أوحـيـر
 ان شئت ذكره وأنث غيره
 شتان بين مؤنث ومذكر
 تلقى الورى ان جئت ساحة داره
 والقوم بين مهلل ومكـبـر
 فالما دحون على جلالة قدرهم
 لم يدركوا مضار هذا الأشهر
 طولت في مدحى وهم قد قصروا
 شتان بين مطول ومقـصـر
 . . فمينه قد عمت في الجود حر
 حتى لم يميز بعرا من جعفر
 أأاتم عند هذا الشيخ لم
 يقهر وسائل جوده لم ينـهـر
 محنى غدت منحا اذا عاينته
 أحـبـب به من عارف متبحر
 ما مثله كسرى علا ومهابة
 بل دون ماواه جلالة قـهـر
 (١)

(١) كسرى : عظيم الفرس ، وقيصر : عظيم الروم .

فبنات نعش دون شمع نعاله

هل دون رتبته السهى والشترى

هل لم ينج حبر بأدنى فضله

ان راح يزهى رقه من محبر

في الأبيات السابقة يمدح الشاعر هذا الزعيم الروحي في السنغال بالكرم والفضل والتقوى وكثرة الذكر والتبحر في العلم وعلو الكعب والمهابة اللذين دونهما علو ومهابة كسرى وجلال دونه جلالة قيصر ، وهو يمنح معتفيه عطاءً ، ولا ينهر سائله واليتيم عنده غير مقهور . . وهذه الصفات التي خلجها الشاعر على المدح بعضها مطروقة مكررة كالجود وعلو الشأن والمهابة والجلال ، وبعضها الآخر مستقاة ما تشبع به من مبادئ الاسلام السامية وقيمة النبيلة من أشال التقوى وكثرة الأذكار والتبحر في العلم وعدم نهز السائل وقهر اليتيم ، فأبياته في هذه المعاني تعبق بمحبر الدين متأثراً بالآيتين الكريمتين من آيات " الضحى " كقوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (١)

وفي ختام القصيدة يزهو بنفسه على طريقة المتنبي ثم يعود الى المدح فيمدح مدوحه بفزارة العلم ومعرفة أوامد اللغة العربية وشواردها وأنه يزاحم من مضوا من كبار العلماء والمفكرين المسلمين في علومهم . . فيقول :

يا ناسجا ثوب المديح وناظما

فقر الشنا فانظم لقلبي وانشر

(١) سورة الضحى الآية ٩ ، ١٠ .

وأنخ قلوبك في فنائي واستفسد
مني وراقب سر قلبي ألا زهر
.. فتريك أقللني بقاعا روضها
بمفتر بين مدرهم ومدنصر
نظما ونثرا بمحبان لمن غدا
يتلوها في مورد أو مصدر
ما حاك مثل ثياب مدحي حائك
في رقة المعنى وحسن المنظر
هل ما حكى حاك بديعا مثله
هل لم يمنعن في سر الأعرص
.. وهكذا يستمر في الزهو والخيلاء حتى يرضي نفسه ويشبعها
زهوا ثم يعرج بعد ذلك على المدوح مرة أخرى فيقول :
فلسان حال الشيخ أعلن أنه
(١) يهوى لها لعائل ولموسر
فالدهر يعلم أنه هو فسرده
وعلى حقائقه النهى لم تعثر
وفيوضه وهيبته ولغاتسه
(٢) ما جابها القاموس ثم الجسوهري
وبسكب ضخم يزاحم من مضوا
وهم وفود جمعهم لم يكسر

(١) العائل : الفقير.

(٢) يشير هنا الى القاموس المحيط للفيروزبادي والصاحح للجوهري .

.. ويستمر الشاعر على هذه الوثيرة من المدح وذكر المآثر حتى
يختم القصيدة بالصلاة والسلام على رسول الله ..

ولنعرج الآن على واحدة شقيق ذى النون وهو الشيخ ابن العربي
له في مدحه الشيخ سعد أبيه حيث سار فيه على الطريقة التقليدية فسي
المدح من حيث البدء بالتشبيب فيقول :

بعد المزار دعى الى التذكـار
(١) وأفاض غربي دمعي المسـدرار
صبا أهاب به الشجون فاغتدى
شبحاً أرق من الخيال السار
ان الأُحبة صبروني في الهوى
كرة تقلبها يد الأخطـار
والربع من بعد التناهي يزدهي
(٢) بالياسمين الغض والمرعـار
قد كان قبل البين مغنى آهـلا
بالشيبات البيض والأبـكار
.. مغنى عهدت بها حسانا كالدمى
نجل العيون حوالك الأـشعار
كم عابد ألـهاء عـن أوراءه
صوت القيان وغنة الأوكـار

(١) الغرب : الراوية التي يحمل عليها الماء .

(٢) المرعار أو المرعر : شجر السرو .

.. ولقد رأيت الشوق يكمن في حشا
صب كمن النار في الأحجار
.. جن الفؤاد الى سعاد وبيننا
أفلاء ذات معالم وقفار
حلف السهاد كأن في أجفانه
خرط القتاد وهزة المنشار
ان رمت أن أجنس مجاني خدها
قالت لواظها حذار حذار
وبعد هذه المقدمة الغزلية الرائعة يبدأ الشاعر في فرضه
الأساسي فيمدح الشيخ سعد أبيه بأنه غوث الورى سعد السعود
ملتقى الأنوار جامع العرفان سدره منتهى الأخيار ذكار لله بالتلاوة
والأوراد والأذكار ، وهي صفات يهيم بها المتصوفة فهي منتقاة من
معجمهم اللفظي .. ثم يصفه بالجود والكرم والأخلاق الحميدة فيقول :
ان لم أنل منها الوصال لعلة
دقت مداركها عن الأبصار
أعرضت عنها ثم عن جاراتها
من كل ذات خلاخل وسوار
متوسلا بامامنا غوث الورى
سعد السعود وملتقى الأنوار
الشيخ سعد أبيه جمع جوامع ال
عرفان سدره منتهى الأخيار

(١) خرط القتاد : قشر شجره شوك كالابر وفي المثل : دونه
خرط القتاد .

حضراته محفوفة بتلاوة الـ
القرآن والأوراد والأذكار
سهل خلائقه وتحت ثيابه
جود يحى سوايك الأقطار

وعلى هذا النوال جرى شاعرنا في مطولته الرائعة .

وبلاحظ أن الشاعر قد اتكأ في بعض الصفات التي خلعتها
على المدوح على الشعر القديم كوصفه له بالجود والكرم ودائنة الأخلاق . .
ثم أضاف إليه صفات أخرى تفوح بنكهة التصوف السلوكي ، كتعميمه
مجلسه بتلاوة القرآن وأوراد الصوفية ووصفه له بأنه غوث الورى وسدرة
منتهى الأختار وملتقى الأنوار وصاحب الحقيقة والشرعية وشيخ الشيوخ
الى غير ذلك من صفات تشر أريحية الزاهد وتهز لها نفسه . .

وبعد ، فإن المديح عند شعراء العربية في غربي أفريقيا كان
منبعثا عن فكرة الإعجاب وحب الفضائل والاشادة بالخصال والسجايا الحميدة ،
فهو إذن مديح مثالي مجرد عن أى غاية الا غاية التغني بالجمال المثالي
الخلقي ، فلم يكن ، كما قلنا من قبل ، لرفد المدوح أونيل عطاياه ، كيف
يكون ذلك والشعراء المادحون أنفسهم كانوا من نفس طبقات المدوحين
أى أنهم من طبقات العلماء والفكرين ورجال السياسة . . ولذا كان المديح عندهم
حبا للمثالية المجردة وتعشق للقيم الطاهرة والتغني بالأخلاق المحسودة . .

وقد عبر هذا المديح عن مضامين وقيم يمكن أن تلخصها فسي

الآتي :

أ - قيمة الكرم والجود .

ب - قيمة القوة والشجاعة .

- ج - قيمة العفة والعدل والمساواة .
- د - قيمة حسن الشيم والا^لخلاق والوفاء وشرف المحتد .
- هـ - قيمة العطف والساحبة .

وهذه القيم المذكورة هي نفس القيم التي تخفى بها الشعراء القدامى منذ العصر الجاهلي ما جعل الناس جميعا يودون أن يتدحوا بها . .
غير ان شعراء العربية بخرابي أفريقيا قد أضافوا أو أكدوا على قيم ومضامين جديدة أضفت على مديحهم الطابع الديني ما جعل صدى الدين ملازما لشعرهم في جميع أغراضه كما كانت الطبيعة ملازمة للشعر العربي
الأندلسي في جميع أغراضه . . ومن هذه القيم والمضامين الجديدة :

- أ - قيمة العلم والتعليم .
- ب - قيمة التقوى والزهد .
- ج - قيمة تمسك المجالس بالذكر وتلاوة القرآن .
- د - قيمة الجهاد لنشر الدعوة الاسلامية والذود عن حسي الدين .

ونسجل هنا بعض الا^لئلة على هذه القيم الجديدة . .

فعن قيمة العلم والتعليم وما يتبعهما يقول أحمد عيان سه :

أعنى الامام سعيد النور من كشفت

به الجهالة عن قومي وأوطاني

له تواليف غرلىس يشبهها

شي* ويمزدان منها كل مزدان

وعن التدوين ونشر الدعوة بالجهاد يقول محمد البخارى :

اني لا^لخشى أن يحمل بداركم

من بغض هذا العالم الرباني

وعن التمدح بالتقوى والزهد والورع يقول أحمد عيان سه :

عناية الله في الروحان قد سبقـت

مقرونة بالتقى في السر والعلـن

فاعجب لهمة شيخ وهي عاليـة

بالليل تمنعه من لذة الوسـن

لم تلهه بهجة الدنيا وزينتها

ولا التفاخر بالاتباع والبيـدن

ومن الجدير بالملاحظة الإشارة بأنهم قد وظفوا ثقافتهم الواسعة

في الغريب والمنطق وبعض العلوم الإسلامية في أشعارهم وجمعوا في ذلك

بين سهولة النظم وعمورة الألفاظ ، وستظهر هذه الظاهرة بصفة أوضح عندما

نتناول تراجم الشعراء وذكر نماذج من أشعارهم ..

أما الرثاء فيعد من أكثر الأغراض الشعرية تناولاً عند شعراء

العربية في غربي أفريقيا .. فما أن يتوفى عالم من العلماء أو قائد من

قادة المسلمين حتى يهرع الشعراء إلى رثائه بقصائد حريصة بكـاء

على موت هذا الركن من أركان المجتمع الإسلامي في المنطقة ..

أما أنواع الرثاء التي تناولوها فهي رثاء العلماء والطلوك والوزراء

والآباء والأخوان والأصدقاء والأزواج ورثاء المدن .. غير أن أكثر

الأنواع تناولاً لديهم هو رثاء العلماء والأصدقاء ..

وتناولوا من حيث مضمون الرثاء كلا من الندب والتأبين والعزاء ،

ويعد الرثاء بحق من أصدق التجارب الشعرية لسانه جانباً مهماً

وخطيراً من حياة هذا الإنسان الضعيف ، وهو الموت الذي يعتبر نهايته

من هذه البسيطة لملحق بحياة أخرى أبدية هو فيها بين أمرين ، أما
سعادة أبدية وأما شقاء مقيم ..

وها هو ذا الشاعر السنغالي أحمد عيان سه يرثي الشيخ
زين الحامدين الشهير بحامدكن فيقول :

أيا مدير كؤوس الشاي لا تنـدر

فقد سقيت بكأس جالب الكـدر
لما نعى حامدا الناعي سهرت له

ولوم من لام لا يشفى من السهر
فليبك حامد منا كل ذي رحم

فانني عن بكاء عز مصطفى
وليبك العلم والتعلم مجتهدا

وليبك النحو والفقه الصحيح كما
وليبك كتب التفسير والآثر

يبكي عليه بيان جاء في الزبير
بأهل " فوت " (١) نعي الناعون سيدنا

فلتصبروا فعظيم الأجر للصبر
ليس البكاء بمجد فيه خردلية

والصبر أجمل للمقدور والقدر
لو كان يفدى فدينا بآفسنا

والموت لم تنج منه شدة الحذر
قد كان في خدمة الأشياخ مجتهدا

بنفسه ومال غير مدخـر

فأذهب عليك من الرحمن رحمته
مشيها بين جنات على سرر
ان كنت سافرت محمودا الى أجل
فنحن بعدك في الدنيا على سفر
ليك نحن على ما كنت تعهد
من المودة بما ستحسن السمر
يكفيك من ولد ما كنت تعمل
من صالح العمل الباقي على الأثر
سقى ضريحك غيث بارد شيم
من رحمة الله يهيئ مدة العصر
فالشاعر قد أظهر حزنه وتفجعه لما نعى اليه المرنى ، هذا الشيخ
المصلح الديني ، وبين أن مصابه جليل ولذا يعز عليه الاصطبار .
ثم ذكر صفات الميت الحسنة فهو عالم فقيه ناشر للعلم في ربوع
البلاد ولذا يطلب الراي من كتب التفسير والحديث والفقه والبيان والنحو
أن تهكي على فقيدها وهو هذا الشيخ الجليل ، ثم يطلب من قوم المرنى
أن يستمعينوا بالصبر على مصابهم الفاجع ففي ذلك سلوان لهم وأجر
عظيم ، إذ " أن البكاء لا يجدي فيه لأنه لا يعيده الى الحياة ، وأن
الصبر والرضى بقضاء الله وقدره هو الأجدى والأففع . ثم يعزى نفسه
بأن الموت حق ولا يتخذ له تقية من حذر ، ثم يعود الى ذكر محاسن
الميت فهو خادم للعلم ورجالاته بنفسه وماله ، ثم يدعو له بأن يسكنه
الله فسيح جناته يتبوا منها حيث يشاء ، لأنه في الدنيا كان محمود السيرة
ملتزما لنهج الشريعة الى أن وافته منيته ، وهم بعده سائرون على الدرب

ولاحقون به ان شاء الله .. ويبعدون المرثى لم يرزق بولد ولذا يطحنه
الشاعر بأن حسبته من ولد عطه الصالح الباقي الاثر، وكأنني به يشير
الى الحديث المشهور : " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاثة،
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " . (١)

وأخيرا يدعو له بسقيا رحمة دائمة من الله على قبره ..

وللوزير الجنيد ألحان حزينة يرثى بها شيخه أبا بكر الملقب
بـ " بوي " فيقول مظهرها التفجع والحسرة والاسى :

أثار هموم القلب بعد هدوئها

مصائب كادت أن تحل عرى الصبر

نعم هد ركن الدين ان عظم البلا

وضاقت صدور الخلق من شدة الذعر

وطارت عقول عن صدور كأنهم

طيور أطارتها الصقور عن الوكر

وسالت رموع عن عيون كأنهم

على النحر ميزاب يصب على النهر

وزابت قلوب من لظى الهم والاسى

كما ذاب من جمر اللظى قطعة التبر

وأظلمت الافاق واشتد خوفنا

وضاقت علينا الارض في البر والبحر

وعزاضطبار واستمرت وسساوس

وليس يفيد الصبر والقلب في الجمر

ولا بد أن تعشو العيون تحيسرا

لقد غربت شمس الفضائل بالسحر

ومعد هذا التفجع والحزن الشديد اللذين شارك الشاعر فيهما

كل الوجود من حوله ، يطلب الشاعر من عينه أن تجود بالدموع الهواطل

نائحة على شيخ الشيوخ أبي بكر بحر العلوم وشمسها وخذن التقى

والحلم والجود والخير وعنوان الوقار والمصباح الوهاج في انارة دجى الجهل

بالوعظ والارشاد ، والكوكب الساطع في العلم والتعليم ، فلتتح العيون

عليه كما ناحت الورقاء تدعو هديلها وكما ناحت أم عمرو على عمرو . . .

وفي الختام يصف غدارة الدنيا فهي دنيا غرور كثيرة المصائب لا يؤمن

جانبها ومن أعظم بلائها ومصائبها فقد هذا السيد الكريم السخي ، ثم

يعلن رضاهم بقضاء الله وحكمه فهم عبيد شيعاته فيقول :

أيما عمن جودى بالدموع هواطسلا

ونوحى على شيخ الشيوخ أبي بكر

ونوحى على بحر العلوم وشمسها

وخذن التقى والحلم والجود والخير

كما ناحت الورقاء تدعو هديلها

على أيكة أو أم عمرو على عمرو

مصائب دنيانا الغرور كشيرة

وأعظمها فقد السميع ذى الهر

رضينا بحكم الله فينا لا ننننا

عبيد شيعات نسير مع القسندر

وقد وصف الشاعر المرثي بصفات منها الجود والحلم والوقار والكرم وهي صفات شائعة ذائعة في الرثاء ، غير أنه أضاف إليها صفات أخرى تعمق بنفحات الدين من نحو وصفه له بأنه خدن التقى وبحر العلوم وأنه مرشد للناس الى طريق الهداية وسبل السلام ومعلمهم دين الله ، وأخيرا نجد أثر الاسلام على الشاعر في غير هذه الصفات فهي رضاء بقضاء الله وقدره والانقياد التام لمشيئته تبارك وتعالى ، وكذا وصفه الدنيا بالغرور ناظرا الى قوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ﴾ . (١)

ولاسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي مرثية في صديقتها عائشة تقول فيها :

الى الله أشكو من صنوف البلاء
ثوت في سويداء قلبي داخل
لفقد شيوخ قادة الدين سادة
واخواتنا أخدان خير ونائل
وذكرني موت الحبيبة من مضى
من الاخوات الصالحات العقائل
من الصالحات القانتات لربهم
من الحافظات الغيب ذات النوافل
فزادت همومي وانفرادي ووحشتي
وسكب دموع فوق خدي هواطل

لفقدى لعائشة الكريمة بالهــا
من امرأة حازت صنوف الفضائل
من الذكر والصدقات ثم تلاوة
وذب لظلم وحمل الشاغل
كفيلة أيتام غياث أرامــــل
ومدة حي بالحبا والتواصل (١)
توحشت من فقدى لها وهي صفوتي

وبوضع سرى من عصور أوائــــل
فالأوصاف التي خلعتها الأسماء على عائشة هي الصلاح والتقوى
والقنوت لله وحفظ زوجها في الغيب وكثرة النوافل وأنها حازت الفضائل
بكثرة الذكر والصدقة وتلاوة القرآن والدفاع عن المظلوم وحمل الأثقال
وكفالة اليتيم واغاثة الأرمال مع كثرة العطاء للمحاسب في الحي . . .
وبوضح في هذه المراثية الاتجاه الديني لدى الشاعرة مثلا في الصفات
الحميدة التي خلعتها على المراثية ، وإن كان بعض هذه الصفات قد
تناولها الشعراء القدماء من قبل ، كالكرم والدفاع عن المظلوم وحمل الأثقال . .
وهذا الاتجاه الديني لدى الشاعرة ينجلي أكثر في مراثية أخرى لها
في ذات الصديقة والتي تقول في مطلعها :

أعيناي جورا وابكيا لي حبيبتي
وسلوة أحزاني وأنا لو حششتي

(١) الحبا : السحاب المتراكم القريب من الأرض والمقصود هنا العطاء
الكثير .

وفيها تقول بعد أن أذرفت الدموع وأظهرت الضجع :

واني لحكم الله راض وانما

أراعي بما قد قلت حق الأخوة

ولا اثم حقا في الرثاء وقد رثى

النبي أبوسفیان يوم الوقعة

فهي بعد الحزن طجأ الى الله راضية بقضائه في صديقتها ، وأن

هذه الدموع وهذا البكاء في الرثاء لا يأثم المرء به ، فقد رثى أبوسفیان

النبي عليه الصلاة والسلام يوم انتقل الى الرفيق الأعلى صلى صلوات الله

وسلامه عليه .. ثم بينت ممنوع النذب على

الميت بقولها :

وأبكي عليها بالدموع ترحما

وشوقا وتحنانا لصدق المودة

ولم ينه عن هذا النسي وانما

نهى عن صراخات بآه وآهية

ولأخيها محمد البخاري مرثية في زوجته يقول فيها :

يا أخت أحمد ان رزك هاج لي دما بدم

ونف الرقاد فمذ نعت الي طرفي لم ينم

نعم الفتاة هبت مع حسن التعل والكسرم

خلقا جميلا ذاتام زانه حسن الشيم

غادرتني متحيرا مستوحشا بين الأمم

وهواك مالي حاجة لسواك يا بنت الخضم
بل مذ فقدتك لأرى النسوان الا كالغنم
تالله تفتاً مقلتي عبرى وقلبي ذالأم
لكن رضيت بحكم جبار الخلائق ذى القدم
فسقاك رب العرش من رحماء غمها ذاشهم

فشاعرنا قد بلغ به الحزن مبلغه فأظهر الأسى والتفجع
حيث ظل يقاسي مرارة التسبيد فهو دوما يذرف الدموع قد حيره
مصابه الألم في أعز الناس وأقربهم اليه ، وهي زوجته التي يسكن اليها .
واذا نظرنا الى الصفات التي يرثى بها الشاعر زوجته نجد أنها
هي :

حسن المعاشرة الزوجية والكرم والاخلاق الحميدة والشيم الكريمة
ما جعله لا يجد وطرا في النساء بعدها فهو يتخيلهن كالأغنام وبالتالي
لا يجد له بهن حاجة . . وأخيرا يلجأ الى الله الذى لا منجى ولا ملجأ
الا اليه بعد أن أظهر التفجع ولوعة الأسى ليسجل رضاه بحكم المحيى
الميت الذى لا معقب لحكمه فهو جبار لا يسأل عما يفعل . . . ثم يدعو
لها بسقيا رحمة من الله رب العرش العظيم . . وهذا من قبيل الاتجاه
الدينى الذى يلازم الشعر العربى في هذه الهلار ولا ينفك عنه فسي
جميع أغراضه . .

ويرثى الشيخ عمر ابراهيم استاذة ماجى اسحاق فيقول :

مراني من الهم ما قد كفانسي

لموت الأديب فريد الزمان

امام تغرد في كل فــــــــــــن
فصار كشمس الضحى في العيان
ففي الفقه فرد كذا في الحديث
وفي النحو والصرف أوفي المعاني
إذا قيل من فاق للدرس شرحا
أشارت أكف له بينــــــــــــان
إذا العلم أشكل أبوابــــــــــــه
له عند حل العقود هــــــــــــدان
وهكذا استمر الشاعر يمدد أفضاله العلمية وتفوقه على الأقران
الى أن يقول :

ففي العلم بحر وفي الجود بحر
هناك اذن التقى البحران
لقد كان كالنمل في مصرنا
وفاض فأكثر في الفيضــــــــــــان
فأحس القلوب التي يهــــــــــــت
بماء تقطر في تــــــــــــــــسان
أاسحاق علم أاسحاق فضل

أاسحاق جود فداك جناني
فالشاعر هنا يرثى أستاذة فيذكر تفوقه في العلوم
الاسلامية وراعته في الشرح والتدريس وحل المعضلات العلمية ، فهو
في العلم بحر وفي الجود خضم وهو فريد نسجه وقلته زمانه ، وهو
في شهرته العلمية كالشمس في رابعة النهار وهو يفيض من غرابة علمه

كفيضان النيل ، وهو يحسنى القلوب اليابسة والعقول المتحجرة القاسية
التي لا تخاف ربها بعلمه وإرشاده .

وللاستاذ اسماعيل بن محمد مرثمة في شيخه الحاج شعيب
ابن الأمير محمد نسج فيها على منوال التهامي في رائيته المشهورة
التي يقول في مطلعها :

حكم المنمة في البرية جـار
ما هذه الدنيا بدار قرار
فيقول اسماعيل واصفا حال الدنيا الغدارة :

الله أكبر ذى الدنيا لفناء
خلقت وما خلقت أخى لبقاء
دار كثير حزنها وهمومها
ما أضحكت إلا أتت ببكاء
كانت على كدر ونحن نرومها
تبقى لما يسرة وصفاء
ترمى نبال خصوصها لفراقه
يا صباح في نحرى صباح مساء
وبعد هذا الوصف للدنيا وتبدل أحوالها يبدأ الشاعر فى
البكاء على شيخه فيقول :

واحسرتي واحسرتي من فقدته
انى أصبت بمن يداوى دائسى
أبكي لموت أبى وشيخى سيدى
أكرم به من عالم معطأ

تهكي العيون لفقده فدموعها
تهسى كما سحابة وطفاء
.. ما زال يحمل كنا ويميننا
جازاه خالقه بخير جزاء
بحر العلوم نعم وبحر الجود من
في بابها العلما مع الفقهاء
أكرم به شيئا وقورا صابرا
متعففا متزينا مسرعا
أعظم بمن يغضى ويعفو دائما
عن كل من يأتى بكل جفأ
طابت شمائله بخشية ربه
وتزينت وتجلت بحياء
حامي الذمار خصاله محمودا
لمحبة العلماء والشرفاء
ما زال متعبا لسنة سيد ال
ككونين عالي همة وذكاء
متخشعا متواضعا متخلقها
بخلائق النجباء والملحاء
.. حاز العلوم أجادها متبحرا
فيها باتقان ولمس برائسى
فسقى الله ضريحه ديم الرضا
وغوث رحمة بلا احصاء ..

فالشاعر في هذه المراثية يرثى شيخه بصفات مستحسنة وأغلب هذه الصفات مصبوغة بصيغة دينية كعادة شعراء العربية في هذه المنطقة ..

والاتجاه الديني في هذه المراثية شديد الوضوح ، فالشاعر يبدأ المراثية بدم الدنيا والزجر عن الاغترار بها وأنها خادعة متلونة وأنها في النهاية فانية ، ما يجعل العاقل غير متعلق بها ..

ويظهر تأثير الدين أضافي الصفات التي حلق بها الشاعر مرثاه فهو طبيب السريرة جمع الى حسن النظر طبيب المخبر ، وهو يحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وهو بحر في العلوم والجود والكرم وقور صابر متعفف .. سمح يفضي ويمفو عن الجناة دمث الاُخلاق حسي حاسي الذمار جم الرماد ، محيي سنة سيد الكونين والثقلين خاشع متواضع متخلق بأخلاق الصالحين وخصال النجباء حائز للعلوم متبحر فيها ومتقن لها ، مجتنب للرياء في أعماله الخيرية .. وهذه صفات وقيم تعبىق بعبير الاسلام وأريجته ..

وأخيرا يدعوا للميت بسقيا من رضوان الله وغيوث من رحمته .. والدعاء بالسقيا على أضرحة الموتى تقليد قديم ولكن الشاعر صبغه بالصيغة الاسلامية حين ربطه برضا الله ورحمته .

ومن قبل رثاء المدن والندب على أمجاد المسلمين في هذه المنطقة السودانية قصيدة الشاعر أحمد عيان سه التي سداها بـ " دعة الباكي " ذكر فيها الدول التي تنعمت بالاسلام وحضارته قديما راثيا على ما آل اليه امرها بعد دخول الأعداء المستعمرين فذكر هذه الدول وهي مالي وفوت وكجور وسيغ وجلف وكسب وبند وأنجور

وغانا وظهر وتسبكتو وجرما وهوصا وقاسن وكانو ، كما ذكر مجد
ملوك الزنوج مثل " لتجور " وأوليا مجاهدين مثل الحاج عمر
تال فيقول : (١)

يا جامع الناس في عز وفي شرف
وموقظ الناس من هون ومن تلف
فقف بسنغال والسودان مشتكيا
ما دار بينهما من خالص الصلف (٢)
جملان جمعت الأشياخ بينهما
في الشرق والغرب جمع اللام والألف
اليوم فرقت الأعداء بينهما
وليس جمعها يوما بمو تلف
أين الشيوخ الألى حازوا لدينهم
دنيا وما شرفا أبقوا لذى شرف
أين الملوك التي كانت تهابهم
أسد الشرى وأطوا الاحسان والظرف
أين العطايا التي كانت تجود بها
وفاة عهد علوا من فوق كل وفي
أين الفحول الألى ما زال عندهم
وان تنع خافي العلم غير خفي

(١) الأديب السنغالي العربي ج ١ ص ١١٢ .

(٢) الصلف : قلة الخير .

أما تراها خلت من كل ذي شقوة
وكل حبر يحد البحر متصف
بعد ذلك يبدأ في ذكر المدن الإسلامية التي لم تعد لها
مكانتها الإسلامية السابقة لتفرق المسلمين وتنازعهم نتيجة مؤامرات
المستعمرين وكيدهم ضد الإسلام والمسلمين فيقول :

من آل فاروق أمست " فوت " مقبرة
ومن بنية بناة المجد والشرف
وتلك " كجور " من " لتجور " خالصة
جرت عليها السواقي ذيل ملتحف
" فسيخ " فيها لنا من قبل ذا وطن
ولي مواطن في الأرجاء من " جلف " و
" كسب " أسلافنا حلوا بها وكذا
في " بند " لي سلف ناهيك من سلف
لي اخوة في قصور " انجور " منزلهم
ولي يمدن اخوان ذوو ظسرف
ولي " بطور " جدود طالما رفعت
(١)
راياتهم وأضاءت ظلمة السدف
يا أهل " ماسن " كونوا وفق اخوتكم
ولا تملوا الى بغض ولا جنسف

(١) السدف : الليل المظلم .

قولوا لتجنبك أوللجرم ليس لكم
الا تجنب أهل الزيف والسخف
يا أهل هوص وأهل الخان فاعفوا
ولا يكن عنكم أمر الوفاق خفي
وان غرقكم بالقول السـنة
فالدين يجمعكم في البيت ذى الغرف
أوفرقتكم طريق وهي واحدة
في الأصل مرجعها للبيت ذى الشرف
فالكل صار لدين الله متبعـا
ولم يزل أبدا عن دينه الحنفـي
مواطن كلها في الأصل متحد
وأهلها طالما مالوا الى التسرف
قد زين الله بالاسلام بهجتهـا
والدين قوى بها ما كان من ضعف
وكل من كان في البلدان ذا شغف
بموطن فأنا بطور ذوشغف
فكم ظلمت بها ألهو بغائصة
ما شئت من حور فيها ومن هيف
تشي الهوينا فترتاح القلوب لهـا
مشي النزيف بكأس الخمرة الأنف
آوى الى فتية شم قياسهـم
بالناس مثل قياس التبر بالخزف

وكلهم بالحيا والجور متصف
 باللوم ما أحد منهم بمتصف
 وكلهم من ثمار المجد مقتطف
 ولم يكن للخنا يوما بمقتطف
 يا سنغال علوت الأرض منزلة
 (١)
 بالحاج فالحاج للعليا كالشف
 فمن مواهب مثل السحب واكفة
 ومن قريش كمثل الدر في الصدف
 من في البرية كالفاروق مجتهدا
 (٢)
 ضاءت بأسيافه الدنيا من السدف
 له محاسن في الدنيا غدت مثلا
 (٣)
 فيها الشفاء لداء الجهل والسنف
 امن مبارى الفتى البكي^(٤) في حكم
 أمن يشابهه في الزهد والتعفف
 ومن علوم خفيات بحررها
 ما بين متفق فيه ومختلف
 ثلاثة ضنت الدنيا برابعهم
 (٥)
 طابوا كما طاب طعم الماء بالرضف

-
- (١) الشنف : الذى يلبس في أعلى الأذن .
 (٢) الشيخ عمر الفسوتي هو المقصود بالفاروق والسدف الليل أو الظلام .
 (٣) السنف
 (٤) يعني به الشيخ الخديم أحد بجا البكر .
 (٥) الرضف : حجارة يوقد عليها فيلحق في الماء اذا برد الزمان .

يشفق بريقهم من كان ذا وصب
فكونهم مرهم العاهات غير خفي
يا ليت قومهم ينضم جمعهم
حتى يروا نهضة السودان في الشرف
وأخيرا يختم القصيدة بالابتهال الى الله أن يحسن ختام
المسلمين كما أحسن بدأتهم وان ينهضهم من عثرتهم وأن يكثرهم في
الأرض ويرجع اليهم حقوقهم المفضوبة وحريتهم المملوكة وان ينصرهم
على أعدائهم فيقول :

يا رب أحسن ختام المسلمين كما
أحسنّت بدأتهم في سابق السلف
وبالتمدن مع تمكن نهضتهم
والأمن من كل عاد مائل الطرف
أدم تراقيهم وارجع حقوقهم
وانصرهم زلفا تأتي الى زلف^(١)
ولتمض حرية منهم لتطفي^٢ ما
في القلب من لافحات الهم والأسف
ألطف بجاء رسول العالمين بنينا
ونجنا رب من هون ومن ظف

ولا شك أن مراشي المدن في غربي أفريقيا متصلة بالنسب بمراشي
المدن في المشرق الاسلامي اثر حملات التتار ومراشي المدن في الأندلس

(١) الزلف : التقدم .

اثر سقوطها في يد النصارى الاسبان .

وهناك مراث أخرى كثيرة لا تخرج عن النماذج التي ذكرنا
في شكلها ومضمونها ، ولذا نكتفي بهذا القدر خوف التطويل على أن
القارىء لمراثي شعراء غربي أفريقيا يلاحظ أنها تتسم بالسمة التالية :

١ - أن عاطفة الحزن موجودة كأصل من أصول الرثاء الذى يعد
الحزن جوهره فنجد الشاعر كثيرا ما يذرف الدموع ويظهر الحزن والتفجع
الشديدين لفقد الميت غير أننا نلاحظ مع ذلك عدم الخروج عن
التعاليم الاسلامية في رثاء الميت بل انه رثاء اسلامي يلتزم بأوامر الله
تعالى ، ويلتجئ الشاعر أخيرا الى الله ويرضى بقضائه وقدره فعبدا لله
ابن فودي يقول في رثاء صديقه مصطفى :

٢ - ان الرزايا فقدن أمثالها

لكن رضينا ما قضى الجبار

وتقول أسماء بنت الشيخ عثمان في رثاء صديقتها عائشة :

واني لحكم الله راضى وانما

أراعي بما قد قلت حق الأخوة

ولا اثم حقا للرثاء وقد رثى

النبي أبوسفیان يوم الوقعة

أما طريقتهم في الرثاء فهو لا يختلف كثيرا عما هو عليه لدى

شعراء المراثي في الشعر العربي من حيث أنهم وصفوا المرثى بصفات

ستحسنة لدى الناس في المجتمع الاسلامي والأخلاق الحميدة والخصال

المحمودة كالجود والكرم والحلم والصبر والشجاعة وما الى ذلك ، ثم ان

المزايا العلمية من أهم السمات البارزة في رثائهم للعلماء بحيث اذا
قرأ المرء رثاء هم لآى عالم من العلماء سهل عليه أن يفهم الفنون العلمية
التي طرقها المرثى وهرع فيها ، فمثلا يقول أحمد عيان مه في رثاء
حامد كن :

ولمبكه العلم والتعليم مجتهدا
ولتبكه كتب التفسير والأشعر
ولمبكه النحو والفقه الصحيح كما
يبكى عليه بمان جاء في الزهير
وأخيرا يذكرون أن هذه المزايا العلمية والصفات الحميدة قد ماتت
بموت المرثى ودفنت معه في قبره فمثلا يقول الوزير الجنيد في رثاء
شيخه :

ولا بد أن تعشو العميون تحييرا
لقد غربت شمس الفضائل بالسحر
وأخيرا نلاحظ أنهم مهدوا لقصائدهم في الرثاء غالبا بالشناء على
الله وذم الدنيا في أكثر الأحيان وخير مثال على ذلك قصيدة الشاعر
اسماعيل بن محمد في رثاء شيخه شعيب بن الأسير محمد التي يقول
في مطلعها :

الله أكبر ذى الدنيا لفنا
خلقت وما خلقت أخي لبقنا
ونجد كثيرا منهم لا يمهدون لقصائدهم في الرثاء وانما
يدخلون في موضوعاتهم مباشرة مثل قصيدة الوزير الجنيد السابقة وقصيدة

أحمد عيان سه وغيرهما . وما يلاحظ أيضا في الرثاء عند هؤلاء الشعراء أنهم يجمعون في قصيدة واحدة أو في الرثاء الواحد بين الندب والتأبين والعزاء على غير ما ترتب في ذلك ، ولا أجدي بحاجة الى التمثيل لذلك فبادنى نظرة في رثاء القوم يتبين للقارئ مصداق ما قلت .

وأخيرا يلاحظ أن صور الرثاء كانت مستزجة بالمدح حيث يمدحون الهيت باظهاره دين الله واقامته الواجبات وتعليم المسلمين وارشادهم الى سبل السلام هذا ان كان من العلماء وان كان من غير العلماء فانهم يمدحونه بالصفات المستحسنة والخصال الحميدة ولا غرابة في ذلك فقد يما قال ابن رشيق القيرواني: (وليس بين الرثاء والمدح فرق ، الا أنه يخلط بالرثاء شي* يدل على أن المقصود به ميت مثل* كان* أو* عندما به كيت وكيت* وما يشاكل هذا يعلم أنه ميت*) (١)

أما الغزل ، فلم يكثر شعراء العربية في غربي أفريقيا القول في هذا المجال الخصب الذي يمثل العاطفة الانسانية والشاعر الوجدانية أصدق تمثيل . . فكثير من الشعراء قد استنكف القول في هذا الفن وقليل من أطلق العنان لعاطفته لتجود بمشاعرها الفياضة في هذا الباب . . .

أما الذين تخرجوا القول في الغزل فربما كان الرادع في ذلك حرصهم على الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية كرجال الدين وصونا لأعراضهم من أن يسلقها الناس بالسنة حداد . . ومن هنا لم نجد عند هؤلاء

(١) العدد ٢ ص ١٤٧ دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء .

ما يست الى الغزل بصلة ، اللهم الا ما كان افتتاحا لمقدمات قصائدهم
في أغراضها المختلفة جريا على عادة الشعراء القدامى في الشرق والمغرب
العربيين . . وحتى هذا القليل الذى قصد به المحاكاة والتقليد غاننا
نجد أكرهم يختتمه بالزجر عن تعاطيه واثبات عدم جدواه وذلك قبيل
بدئه في غرضه الاساسى من القصيدة . . وكأنه بذلك يقرر مقدراته
على مجارة الشعراء القدامى في نسجهم وان لم يشعر بشموخهم . .

أما الفريق الآخر الذى لم يجد في صدره حرجا من البوح
بعاطفته الجياشة وصياسته الدافقة عن طريق الغزل ، فينقسم الى
صنفين :

صنف كان صادق الشعور في تجاربه الغزلية فوصف مشاعره ولواعجه
وما يقاسيه من تهاريج الهوى وصفا لم يخرج فيه عن البارى الاسلاميه
السامية وتعاليمه الحكيمه فلم يفحش في شعره ولم يتبذل . .

وصنف آخر تغزل ووصف محبوبته بدافع التقليد والمحاكاة
ونشك في صدق تجاربه ، وان كان هو الآخر لم يخرج عن التقاليد
الاخلاقية في المجتمع الاسلامي في شعره . . ونعتقد أن الشاعر
السنغالي المجيد يونس ذا النون في غزلياته من هذا القبيل ، ولنستمع
الى قيثارتة في التغزل بفتاة من " سانلوى " المدينة التي كان يدرس فيها ،
فيذكر في غزله بعض أحيائها مثل " لور " و " سندوس " و " كرجان " ،
فيقول :

يا ربة الحسن يا جنة الرانى

فأنت انسان عيى كل انسان

انا نرى فيك أوصافا يقارنهم

نهد وقد كرمان ومــــران

انسانة ما رأت عيني ماسمها
الا وشيطانها للحاج أنساني
فوالذى خلق الانسان من حمأ
ان ابنة الاندري جنى وشيطاني
دموعها درة بيضاء ناصعة
وأدمعي كالعقيق الأحمر القاني
نونان في حاجب قوسان في وتر
رمتها تحت صبح الوجه عينان
عينان فوقهما نونان تحتهم
تفاحتان على مبيض كشبان
الماء والنار في خدي وفي خلدي
لم يجتمع قبل هذا اليوم ضدان
نيسان دمي عند البحر درته
(١)
هل صار سما بفكي كل شعبان
نفسى فدا لسرا برهره
(٢)
أفرغت في حبيها كيسى وكيسانى
له غدت أوجه الفادات ساجدة
ما بين " لود " و " سندوس وكرجان "

-
- (١) نيسان : بالفتح ما بيع الا شهر الرومية ومن خواصه المطر الكثير .
(٢) كيسى : اكياس دراهمي ، كيسانى : عقلي ، برهره : حسن
بصيص لون البشرة .

.. ان كنت في سفر فالقلب في حضر
وذاك أوقد أشجاني فأشجاني
عرفت دهرى أحوالي فنكرها
يا ضيعة بمن عرفان ونكران
أوطار نفسي عن الأوطان قاصية
فشقني بعد أوطاري عن أوطاني
ذوالنون يكتب ذا فورا ويسرده
وشوقه ليس يبليه الجد يدان
بلغ سعاد وان شط المزاربها
بأنني في هواها جد حيران
كم رام دهرى أن أسلو وهددني
بجوهرى صارمي صد وهجران
صددت عنه ولم تتجح مقاصده
فبعد ذلك صافاني وواغانسي
كان الهوى قبل هذا ساعدي ويدي
فما أهبت به الا ولبانسي
ان صادفتني خطوب من أماكنها
فلا أخاف وعين الله ترعاني
بعد وصف صابته وكلفه بسعاد ، تلك التي تفتن بها بعض
الشمراء القدامى في غزلهم ، يتوجه ذوالنون بالرجاء الى الله المؤلف
لما بين القلوب أن يجمع شمله مع سعاد لينعما بالوصال في أمن ودعة
وطول عمر ..

ولعل القارىء بعد هذه الأبيات يتهم حكمتنا على الشاعر بهزيف
التجربة بالتسرع والاحفاف ولكنه سرعان ما يغير رأيه عندما يقرأ
الأبيات الباقية من القصيدة ، ولنستمع إليها :

لعل رحمة رب المرش تجمعنا
فلا شماتة نخشاها لدى الشان
في ضمن أمن وبين صاحب دعوة
وطول عمر بخلان واخوان
من قبل قد كانت الاشواق جعلتها
أحكامها تحت تصرفي وسلطاني
لم يلقني عاشق ينص له مكن
في الشوق الا وحياني وبياني
سبقت بالشوق أهل الشوق فاستبقوا
الى حماي وجابوا كل ميدان
وقد أقروا بأنني مفرد علم
فالدهر يخدمني والنصر يلقاني
بعد الفناء بقاء للعلم به
فاعجب فديتك من باق لدى فان
اني أقول لمن يبغني مكاتبتني
ذوالنون سلطان أهل الشوق عنواني
فالشوق يخفض من قد كان ذا شرف
عدلا ويرفع هيان بن بيمان
فكن مجدا مجيدا اني وصفت ولا
تقنع بباكورتني نحو وأوزان

الا اذا كانتا في جنب غادية

تفض زهر المعاني البيض للرائي

فللمعاني بديع راق منظره

يمبدي فنون بيان تحت تبيان

أرأيت من ذا الذي تسبح له دواعي الحب ووجيب الفؤاد

ولوعة النوى ومقاساة تباريح الجوى أن يثني العنان الى المطالبة

بسلطة العاشقين وقصب السبق في سباق المحبين ، ذلك لعمري لم

يجرب لواجع الحب وعذاب الفؤاد .

هذا رأينا في ذى النون . . ويؤكد ذلك استمرارية الشاعر

على هذا النمط في جميع غزلياته من ذكر الصباية وما جرعه البين من حزن
وأسى حتى غدا عدوله يرثى لحاله ويذرف الدموع شفقة عليه ، ولا يتناول

من أوصاف محبوبته الا صفاتها الحسية والتي هو فيها مسبوق وعالة على

من سبقه من الشعراء فمحبوبته بدر في خدر ورشا غزال ان شئت أرت

غصن بان ، ولعل أشمل المقطوعات الغزلية التي تمثل مذهب الشاعر في

هذا الفن المقطوعة التالية :

فلم تر عيني قبل حواء ما شيا

غزالا بدا بدراً على الأرض ما شيا

فأسنانها كالعاج حسنا وكم شج

ولما رآها قال يا ليتها لي

ولا تتجلى لأمري في صلاته

ولو صالح الا وأصبح ساھيما

هي الغادة الهيفاء كالروض بهجة

ويخجل رباها الا ربيع الغواليما

فقلبي لا^١جل الحزن أصبح حائرا
ودمعي لا^٢جل الشوق يملا^٣ واديا
فيالك من ريانة الساق ان هدت
وريحانة الساقى اذا بات شاديا
لها شنب يلهى الهنود وقامة
ترك قضيبي البان لم يك زاويا
فديتك يا روح الجمال وذاتــــه
بنفسي وأهلي ثم مالي وماليــــا
فسلم عليها يا نسيم وقل لــــها
الى اليوم حبل الشوق لم يك باليا
وغير خاف أن هذه الصفات الحسية الغزلية قديمة قدردها
الشعراء القدامى من قبل ، وأغلب الظن أن ذا النون قد اقتحم حمسى
الغزل ليشبت مقدرته على النظم في معانيه ، فمحبوبته نجدها تارة " سلمى "
وحينا " سعاد " وهو منغم بالتفوق في سباق العاشقين متم بالامارة
عليهم كما رأينا في الأبيات السابقة وفي اللاحقة يقول :
تقيسون بي قيسا ضللا وبيننا
مراحل شتى عزم كل قطاة
وأيام قيس في زمانى ساءــــة
فكم بين بحر زاخر وأضــــاة
لقد علم الأيام والحال شاهــــد
بأن جميع العاشقين عفاة
غدت أمرا^٤ الشوق تحت أواــــرى
ويرجو وعيدى كلهم وعداــــتى

لقد جنحوا للسلم حين بدا لهم

تجلى جلال القهر من سطواتي

وإذا تجاوزنا ذا النون وأثنينا العنان على محمد البخاري

التمجيري نجد في غزلياته سائرا على منوال القدامى في وصف المحبوبة

سواء في مقدمات الغزلية لأغراض مختلفة من مدح وفخر وما إلى ذلك ..

أو في قصائده التي خصصها لهذا الغرض .. وما مهد به للممدوح

قوله :

فجمعتك أم الفضل بالهجران

فبقيت بين الناس كالسكران

وكأن في قلبي وجوفي جمرة

مذ بعدتني من جناها الدانى

قامت تراءى في القصور بفاحم

رجل ومقلة شادن ظمآن

وبعيد مغزلة وساق خدلسة

وترائب كالدرد والمرجان

وقد سبق الحديث عن هذه الأوصاف الحسية للمرأة عندما

تناولنا هذه القصيدة في المدح حيث نظرنا لهذه الأوصاف في الشعر

العربي القديم.

ومن قبيل المقدمات الغزلية لهذا الشاعر الأبيات التالية :

وبعضاء عجزاء مكسورة

مبتلة كمهابة الرمال

بذلت لها مهجتي وفؤادي

وما كان لي من عيال ومسال

فلا تعذلوني بما قد صنعت
فذاك قديما صنع الرجال
سبتني بأسود مفردون
وحف أثيث سحاح جفاسال
وعمني مهابة وثفرشتيت
وذى أشر مثل شوك السيسال
وخد أسيل وخصر بتيسل
وردف ثقيل وسوق خدال
وخلق عسيم وخلق كريم
وقول رخيم وحسن السدلال
لقد قدمت بين حقف وغصن
وبين المهابة وأم الغزال
سلا القلب عن كل رعبوبة
سواها وما القلب عنها بسال
أأسلو وأنت رشوق أسوف
أنوف ونحرك مثل الهلال
وثفرك در وريتك خمير
ووجهك بدر تحيت اللبالي
لك الفضل في الناس يا أم عمرو
حويت مع الحسن كل المعال
فالشاعر يصف محبوبته العجزة المكورة بمهابة الرمال قد سبته
بمعينها الحورائين الدجاوين وشعرها الفاحم الأثيث وثفرها
الشتيت ذى الأشر وخدها الأسيل وخصرها البتيل وردفها المكتنز

وساقها المعتدل وهكذا دواليك ..

وكل هذه الأوصاف الحسية للمرأة قد استهلكها الشعراء القدامى
وان كان الشاعر قد اهتم بصفات المعنوية حيث أشار بخلقها الكريم
وأنها حوت بجانب الحسن كل المعالي وبعدت عن سفاسف الأمور
فهي تجمع بين حسن المظهر وحسن المخبر .. ولنخرج الآن على
قصائد الغزلية حيث يقول :

أخيال آمنة التـــــــبي

من دونها جوب القفار

قد هجت أحزاننا لقلــــ

بي المستهام المســــتطار

وسلبت عن نفسي القــــرا

ر ومطت ما بي من وقــــار

وتصارم الأوجــــان منــــ

مذ نأت ديارك عن ديار

ما تلتقى الاعمــــى

دمع على الخدين جــــار

حييت يا أخت الزهــــر جد

والزبــــارج والــــدردار

ووقيت من حــــوب يشــــ

نك والملمعات الكبــــار

وحياة حبي فيك مــــا

للقلب دونك من قــــرار

وهوفي الأبيات السابقة يصف عمل الغرام والعشق به
وكيف هاج خيال محبوبته حزنه الدفين وهواه الجامح
فслиه العقل والوقار ، فهو منذ نأت عن دياره لم يذق طعم
الكرى ولم تفتض عيناه بل ظلت تذرف الدموع تولها صباة وشوقا
اليها ، كيف لا وهي التي تشبه في الحسن والجمال الزهرجسد
والدرر .. ثم يدعو الله لها بالوقاية من كل ما يشينها ويدنس
شرفها و يقض مضجعها .. وأخيرا يقسم لها بالحب بأن قلبه ليس
له قرار بعدها .. وله في قصيدة أخرى :

هاج لعيني مع دمع دما
طيف أتى من رشيا آدما
يا أيها الطيف الذي زارني
لو كنت حقا لشفيت الظما
يا لائي في حب رعبوبة
كلوا لوه الخواص أو كالدما
لطيفة الكشحين مكمورة
ترسى الورى عن لحظها أسهما
أقصر فما أنصفت حقا ومسا
نلت من الرشد نصيباً ومسا
ما نظرت عيني الى مثلهما
حسننا واحسانا ورب السما
قامت تريني يوم ودعتها
كشها لطيفا طيه أهضمها

الى أن يقول :

ذكرتها وهنا وكم دونها

جوب قفار ليس فيهن ما

فهذه الأوصاف التي خلعتها على المحبة كلها أوصاف قديمة
قدم الشعر العربي فهي تشبه لو لو الفواص وهي كالدمى ، لطيفة
الكشحين مكورة غترس الناس بلحظها .. وان كان يستاز شعره
بالتدفق والسهولة ..

ولعل غزل هذا الشاعر لم يقع تحت ضغط الحب ودواعيه ،
وانما كان في غزله مجاريا للشعراء القدامى ومقلدا لهم ، ويدل على ذلك
ما تصدر به مجموعة أشعاره حيث كتب على المخطوطة الموسومة بـ " المصنوع
على حب النساء " ما يلي : " هذا من بعض قصائد محمد البخاري
ابن الشيخ عثمان ابن قودي تغمدهم الله بالرحمة والرضوان .. واعلم
أنه لما كانت القلوب مجبولة على حب النساء والميل اليهن افتتح جمل
قصائد ، بذكرشي من محاسنهن وخالص صفاتهن تبعاً لأكثر الشعراء
ليكون أدعى الى الانصات عند السماع فتصفي اليها الاسماع وتميل الى
معانيها الطباع .. "

ولكن يجب أن لا يخدعنا مثل هذا ، إذ نشم في ثنايا بعض
الآيات صدق التجربة وحرارة العاطفة ..

هذا ويقاس على الشاعرين : يونس ذى النون السنغالي ومحمد
البخاري النيجيري بقية الشعراء الذين اتخذوا الغزل تهيداً لا غراضهم
الشعرية المختلفة ، وهو لا يختلفون كثيراً عنهما من حيث السير على
نهج الشعراء القدامى في وصف الصباية ووصف المحبات ، فقد استعاروا

صورهم وألفاظهم بل وحتى أسداء المحبهات من الشعر القديم ، كسعاد
وسلمى وسليمى ومية وما أشبه ذلك ..

ويسبدو أن هو "لا" الشعراء تخرجوا من البحر بأسرار قلوبهم
خوفا على مكانتهم الاجتماعية والدينية ، ان نشم من وراء بعض أبياتهم
صدق التجربة وحرارة العاطفة وذلك عندما يفلت من أيديهم زمام
المحافظة فيطلقون العنان لعواطفهم الجياشة غير أنهم لا يلبثون في
هذه الحالة أن يردوا جناح عواطفهم ليمود الى التقليد مرة أخرى حتى
لا يفتضح أمرهم ..

ولعل هذا التحرج هو الذى دعى محمد البخارى فـي
قصائده التي أفرد لها للغزل أن يستعمل الطيف أو الخيال حتى لا
يظن به الظنون ، كما حدا ذلك أيضا بعضهم الى الدعا للمحبوبة
بالوقاية من الله من كل ما من شأنه أن يدنس شرفها وطهرها .. ولكن
تدقق أسلوبهم يفضحهم ، نعم انهم محافظون ولكنهم بشر ..

وهناك ظاهرة قديمة شاعت في غزل هذا الصنف من الشعراء
وهي ظاهرة " العذول " فها هو ذا ذوالنون يقول في احدى غزلياته :

يقول عذولي هل تموت من الأسى

رأيت سكوتي عنه عين جوابسي

وفيها يقول أيضا :

وأهل الهوى عدوا الشكاية في الهوى

نباح كلاب أو ظنين نهاب

ولاح رأني ما أصبت وانسي

مصاب واني في أشد عذاب

فقلت له من كان يمشى على الثرى
ولم يك صبا فهو عين مصاب
فليس امروء قد مات شوقا كغيره
وما طعم شهديا أخي كمصاب
ويعد الشاعر السنخالي محمد الصطفى آن من أولئك الذين
لم يتخرجوا من البوح بطوايا قلوبهم من الحب .. غير أنهم في ذلك
لم يخرجوا عن السبيل الا "خلاقية والتقاليد الاسلامية في هذا المضمار..
فها هو ذا يشكو صبايته وفرط وجده وشدة كلفه بفتاة اسمها
"ياسمين" فيقول :

صادت فؤادك ياسمين وأثخنت
فيه الجراح ولم تجد بعلاج
قد حركت منك الكمين فأهملت
بعد الحراك وآثرت بهيـاج
هضما ليس بها في وجهها شحب
والشبي منها على غنج ورجراج
رحماك رحماك يا أختي ولي وطر
فاقضي ولا تهملني يا نشوتي حاجي
وافيتها ليلة يعلو بهائمها
رمز الجمال ونعم الخاطب الراجي
وقد علا الصدر رمانان زانها
مواقع النصب في زهو كذى تاج
يا رب قدر لها لي زوجة صلحت
حالي وحالتها في خير منهاج

حقا ان شاعرنا كان جد كلف بهذه الفتاة الفاتنة ولكنه فسي
هيامه وولمه بها ذو قصد شريف - كما يقولون - ولذا فقد ختم
المقطوعة بالتضرع الى عالم أسرار القلوب أن يقدرها له زوجة على سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وشاعرنا مولع بختم قصائده الغزلية بمثل هذا التضرع فله
قصيدة أخرى نظمها ليلة أن أظهرت له باسمين ما أضمرت وأظهر
لها نياته فختم القصيدة بقوله :

يا رب هاذي يسرن ما أبتغني

بزواجها ان راعني اكرامها . . .

هذا ويعد أيضا من تغزلوا استجابة لوجدانهم وحيا فسي
تسجيل تجاربهم العاطفية الأديب النيجيري الشاعر عمر ابراهيم فسي
قصيدته التي سماها : " الكون موات لولا الحب " وهذه القصيدة تحتوى
على ستة وستين بيتا جاءت في شكل موشحة في رقعة ألفاظها وعذوبة
موسيقاها ونظام أبياتها : (١)

يقول فيها :

يا حبيبى يا حبيبى

اصغ سمعا للحبيب

هل أذاك اليوم أنسى صرت عظما في الشعار

ذهب اللحم بخسارا صاعدا من حرنار

ماثلا فوقى سحابا لا أرى ضوء النهار

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ٩٤ .

يا حبيبي يا حبيبي

هل تبالي بنحبيبي

ان يطل صدك عنني يذهب الحر عظامي
أختفي عنك ولا تسـ مع من بعد كلامي
ان تشأ ذاك وأخشى عل ترمي بمسلام
لو ينادى (غرشى *) قلت أنعم بمسلام

يا حبيبي يا حبيبي

طيفك اليوم طيببي

كنت أرجو السرور لما بان شغرا لا يتسام
ورأيت النور حولي قربه باب السلام
ذلك الرضوان يأتي فاتحاً باب مرامي
فاذا به صرت آدم آه لاشجر أمامي
يا حبيبي يا حبيبي

جئت بالأمير العجيب

يا حبيبي لم يطنني عنك شر الوسواس
زال اندهز وأقـ أنت في القلب فراس
يفرح الناس بخمر وأنا شغرك كاسي
لذة ان نهض السقل حب بها قرت برأسي
يا حبيبي يا حبيبي

هل أنادي من مجيب

لذة تتشي* في جسـ حي ما تهواه نفسي
فبأرى الكون بشكل غير ما بان بأمس
كله منك وزهر كمروس قرب عرس

وأراني الحب مالم يرنه نور شمس
يا حبيبي يا حبيبي
ريكم خمري وطيبني
انما الحب بأمر السر رب فلتأت نعانق
لوأبى ذاك لصار ال قلب وقت العشق آبق
بل تراه وفق صوغ السر رب للأحباب عاشق
فأبر الناس معطي ال محب حقا ثم فائق
يا حبيبي يا حبيبي
نقصه شر الذنوب
انما الكون بأقصا ه موات في موات
فحياة زينت ذا ك بهتى الحسنات
ثم راقى هي بالحب ب حياة للحياة
يا حبيبي يا حبيبي
اسقنيه بذنوب
واسأل الا شجار من أز هارها من فوق غصن
واسأل الا طيار عما هاجها حين تغني
وارقب الوحش ولا تخف ش تر العشق بعين
واسأل المنكر في الجذ نة معنى حور عين
يا حبيبي يا حبيبي
اعطني فوق نصيبي
يا حبيبي طيفك المحب بوب لي خير مرادى
بعد جرم لك لا يمد خع فوزى في رقادى
سل فؤادى ما يقاسى لحظة حين انفرادى

انفرادى لى ضلال وتلاقينا رشادى
يا حبيبى يا حبيبى
أنت سقى وطبيبى
قالت الأنجم لما شعرت من حرماهى
انما الحب عذاب دونه كل العذاب
قد سكنا مطمئنا ت على رغم انجذاب
لوعرفنا الحب تل حقنا على حال اضطراب
يا حبيبى يا حبيبى
جئت بالقول العجيب
يا ذوات النور ما قو لك هذا يسداد
ان يكن هذا عذابا فهو عذب فى فؤادى
فيك نار ثم لا جسد ب اخمدى مثل الرماد
اللعلى ثوب بياض والبسى ثوب سواد
.....
اتركى الحب بنا ين زل فى مغنى رحيب
قربن فاك خليلي ماؤه كالسلسيل
لشفائي وحياتي اسقني غير القليل
وكأين من عليل وكأين من قتيل
ماله فى الروح - لولا ال حب أحيى - من سهيل
يا حبيبى يا حبيبى
أحينى عما قريب
لارى ما قيل فى من مات صديقا ومو من
وشهيدا فى حروب ال حب لا فى القتل موقن

من نعيم في جنـان لشهيد " البدر " كامن
لكمال الحسن في سد رى ذقت القتل ساكن
يا حياتي يا خلودي في مآبى المستطاب

فالشاعر يجاهر في هذه القصيدة بمشقه العفيف في حالة
حادثة تفتح فيمها ذكريات الشوق والصبابة وقد برح به الضنى
واستبد الطيف بخاطره فيرسم لنا صورته ولم سبق فيه الا هيكل عظمي ملتف
في ثياب برح الشوق به وحركته حتى وصلت الحرارة الى درجة الغليان ،
فأذهبت لحمه بخارا وصعد فوقه كالسحاب ، فحجبت عنه الشمس فلا
يرى لأجله ضوء النهار وأبى السحاب أن ينزل مطرا حتى يرى محبوبته
الهيكل بجواره وعندئذ ينزل مطرا فيظفي " نار الشوق ويرجع البخار المتراكم
الى الهيكل ويصير لحما كما كان .. ألمست هذه الصورة البائسة للمحب
الوله مدعاة للشفقة عليه واهرام المحبة الى انقاذ هذا الهيكل قبل أن
يستبد به الحر ويفتك به فيجعله هباء منثورا ، فيصبح أثرا بعد عين ؟

وشاعرنا غير عابي " بما يحدث له من الهلاك ان لم تتداركــه
المحبة بوصلها ، وهو على حاله البائسة راض كل الرضا عن المحبة ان رضيت
هي بهلاكه بسبب هيامه بها ، ولكنه يخشى عليها لومة اللائم ان هلك
بسبب وجده لها .. ولو قدر له بعد الهلاك أن يتكلم وهو عندئذ لاشي
لقال لها لا تشرب عليك أنعمي بسلام ..

وأصداء الدين واضحة في هذه القصيدة ، فهو عندما بان له شجر
الحبيب الذى يبعث على اللواعج والشجن لما يسرى فيه من الجاذبية
ويلفه من السحر والذى يجعله غير مطيق على التصبر على تلك النظرة براها

ولا يهتصر هودها وينعم بجناها ، فبداله كأنه يدخل الجنة فرأى باب السلام وعليه رضوان صاحب الجنة يوشك أن يفتح له الباب ليدخل ثم غاب ظنه فأصبح كأبينا آدم عليه السلام مطرودا من الجنة ، ولكن كيف يطرد وهولم يذق الشجرة كما ذاقها أبونا آدم عليه السلام . . وفي القصيدة أصداء أخرى للدين والفاظ وتعابير قرآنية كلها تدل على التأثر الديني الذي يكتسح جميع أغراض الشعر العربي في غربي أفريقيا .

وواضح أن الشاعر في هذه القصيدة الغزلية الرقيقة حاول أن يخرجها في شكل موشحة .

وللشاعر السنغالي الشيخ الهادي توري قصائد في الغزل يقول في بعضها ردا على عدوله :

عدولي تراك اللوم لم استطع صبرا
بل أمرى شئون الدمع أو أنزل القبرا
زفيري ودمني جمة تحت وابل
فيا عجبها من وابل جاوز الجمر
فكيف تصوم الصبر صبا متيسرا
وفي قلبه تجرى جيوش الهوى تترا
وكيف يطيق الصبر من كان تائها
وكان جواه يملا البر والبحرا
وقالوا ماتني في جواى شهادة
بها استحق الوصل والفوز والاجر
وان سلو الصب عين ارتداده
كذا الحكم في شرع الهوى فاعلم الامرا

واني وان كنت المعنى كما ترى
فكل ذنوب العالمين ولا كفر
وهذا الذى لقيت عندى هيمـن
وفي جنب من أهوى أرى كل ذا ننزا
لا قسمت أنى لا أفيق من الجوى
ومن سكرة تنمو ولا أشرب الخمرا
ومعاني الشاعر في الرد على العذول مطروقة وان كان مجيدا
فيها ..

ونجد أصداء الدين في بعض ألفاظه وتعابيره مثل : " شرع
الهوى " ، " الشهادة " ، " الفوز " ، " الأجر " ، " الارتداد " ،
" الكفر " ، وكذا الاحتراز منه ..

وهناك شاعر سنغالي تسنم منصب القضاة وهو القاضي مجخت كل
ولم يتحرج من تسجيل مغامراته الفرامية مجاهرا بالعشق الماهر والعبت
الداعر والخلاعة الماجنة ناسجا على منوال امرى القيس وعمر بن أبي ربيعة
غير مكترث بما يغرضه عليه مجتمعه وتقاليده الاسلامية ومكانته الاجتماعية
كقاضي الدولة الذى تصدر القضاة ردا من الزمن لغزارة علمه وعدله
وجراته على الحق ولو كان على السلطان ..

فها هو ذا يسجل احدى مغامراته في سهيل عشيقته عائشة ، فوصف
فرسه " فضل الله " ثم وصف محبوبته وكيف استطاع أن يهتصر عودها
وينعم بجناها فقال :

تذكرت أيام الهوى فالليالي

فالأيام من لذات شرخي شبايها

منعمة عجزاً أعدل قامــــة

فلا قصر شين لا ولا طول غالها

تميس بأنبوهي سقي وتنشني

(١)

بحيد محلى من ظبا لا ليها

وتنظر بالعينين من نعمة مها

على لحظات كدن يقطعن بالها

وتنفى بخاتام سوى معطــــر

برائحة من دونها السك زاكها

والشاعر هنا قوى الشبه في مغامراته العاطفية بامرئ القيس ، فهو

يدب الى حبيبته ليلا يتعرض للقتل ويتخطى الحراس ليحظى بما يريد .

ومغامراته هذه تذكرني بمغامرة امرئ القيس التي يقول فيها :

سموت اليها بعد ما نام أهلها

سمو حباب الماء حالا على حال

... الخ (٢)

تري ألا نلاحظ الشبه القوى بين هذه المغامرة وتلك ؟

أما أوصاف القاضي التي خلعها على المحببة فقديمه وان كانت

مطابقة لما يصف بها السنغالي أو الافريقي فموما المرأة ويتصورها عليه

من الحسن والجمال .

(١) تميس : تتبختر .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٤١ .

وبعد .. فقد رأينا كيف تناول الشعراء في غربي أفريقيا هذا الغرض بنوعيه .. وكيف التزموا التقاليد الإسلامية في التعبير عن عواطفهم بعيدا عن العهر والعبث الداعر والخلاعة الماحجة ، باستثناء القاضي مجخت كل السنغالي . وأغلب الظن أن مجاهرته هذه من قبيل ما عرف عن الشعراء من أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون .. وخاصة عندما نعلم أن القاضي قد كان له منافسون على منصب القضاء الذي ظل مستأثرا به مدة طويلة ، وقد كانت بينه وبين منافسيه معركة جدلية دامية ، تراشق الفريقان فيها بسهام من منشور الكلام ومنظومه ، وكان القاضي في ذلك هجاء مقذعا في الهجاء ويكاد يكون المنفرد بهذا اللون من الشعر بين شعراء المنطقة ، وما سمعنا أن أحدا من معاصريه قد هجاء بدعارته أو اتهمه في أخلاقه رغم وجود البواعث النفسية لهذا الاتهام لدى منافسيه والذي من شأنه الاطاحة بالقاضي من منصبه ..

لم يخل الشعر العربي بغربي أفريقيا من فن الوصف ، فقد ضرب شعراء العربية في هذا المجال بنصيب لا بأس به ، فوصفوا الطبيعة الصامتة والطبيعة المتحركة ، ووصفوا الطائرة وبعض المشاهد التي خلقت عقولهم وأثارت شاعرهم وعواطفهم . كما وصفوا الخيل والنساء وما إلى ذلك ، غير أن القصائد التي أفردوها لهذا الغرض قليلة جدا ، وأغلب شعر الوصف كان مشوثا بين ثنايا بعض القصائد التي قيلت في أغراض أخرى غير الوصف كالمديح والفزل مثلا . فها هو ذا الشاعر السنغالي أحمد عيان سه يصف الطبيعة الميتة أو الصامتة في مقدمة قصيدته الترحيبية للجنرال الفرنسي " دغول " يقول فيها :

هذا أندر الخير مفترأ زاهره
زقاه ازدهرت بالبشر اقبالا
والبحر يقذف بالألواج طافحة
كأنها ليست بالروض سربالا
تفور زهر من الأكمام باسمه
تضاحك السحب تحت الشمس غربالا
تخال فيه ثنايا الغيد من حبس
كلو لو صبه الوسمي هطالا
كأنما السور والأزهار ضاحكة
من فوقه وعليها الماء قد سالا
سما صحو نجوم الجوتكلوها
قد أشعلت لرجوم الجن اشمالا
في جنة باسق الأشجار يعمرها
قطوفها ذلت بالحصل اذلالا
فيها البنفسج والقحوان يتسم
والورد من خجل من خدها نالا
والباسمين مع التفاح معتنق
الى شقائق نعمان بها مالا
والطير تشدو على الأغصان مطربة
والسفن تحمل في البلدان أثقالا
والرياح في صفحات النهر جارية
تجر من فرح في القصر أذبالا

فشاعرنا قد أضفى على هذه الطواهر الطبيعية - من بحر ونهر
وأرض وسما - وزهور وشار ورياض وشمس وطيور - شعاعا من نفسه الفرحة
المفتحة بمقدم هذا الجنرال وذلك أدخل فيها الحياة والحركة ..
هذا وللشاعر ذى النون وصف رائع للأطلال استوفى فيه كثيرا من
عناصرها القديمة من نحو ذكره لما بدل معالمها من رياح عواصف
وأما رشيدة وما حل بها بعد رحيل أهلها من قطمان البقر الوحشي
والنعام والغزلان الى غير ذلك ، ولنستمع الى قيثارته :

مغنى سعاد عفته هوج العشير
وسقته واكفة الغمام المطر
والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أحور
وترى مياها البيض ترعى روضة
مطلولة حُصت ببطن محسور
أطفالها يرحن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب العرعر
أوعالها تستن في أوعارها
ترعى خزامها وغضن الأزهـر
وترى القلائص في تياثر ألها
فكأنهن سفائن في أبهر
غزلانها تقوى مدى ظلماتها
ان راعها صباحا زفير غضنفر
فشاعرنا يرسم لنا لوحة فنية عن ربوع محبوبته التي عفتها

ومكتبتها قد حكى البرلما
ن القاهرى لحسن التمام
ترى الطائرات تعاودها
أتت من أوربا ومصر وشام
وصارت كنهل أتت بعسل
خليتها أو كزور الغمام
لها ارتباط بأم القـرى
بهبيل السماء لزور المقام
" كنو " جمعت علم شرق وغرب
فهازت بسهمين بين السهام
لذلك قيل كشك ألف
قدما فأصدق به من كلام
ولست بناسي صاحبتى
بها حين كنت الرجال الكرم
أها ريس حوسا وعاصمة الـ
شمال عليك دوما سلام
وشاعرنا يظل حتى في وصفه لمدينة " كانو " يعبق شعره بعبر
الدين ، فمن معالم المدينة المسجد الفاخر الذى يشبه في جمال
الاتساق جامع دلهي . والمدينة بينها وبين أم القرى مكة المكرمة
حرسها الله رابطة سماوية هي الدين الاسلامي وحج البيت الحرام . .
ويضرب الشاعر الوزير الحنيد على قيثارة امرى القيس في المعلقة
وذلك عندما يصف شاعرنا مدينة " أغدس " فيقول :

ألا أبلغن عني " لا قدس " تحية
تفوح بعرف المسك أوعرف صندل
وبلغ لا هلمها سلاما مباركــــــــــــــــا
يعم شذاه من تحيت ومن عل
وفيحاءها حيث الظباء ترود في
خمائل تأتي من جنوب وشمال
وأحسن بهاتيك التلال فانهــــــــــــــــا
سارح جاء الفيث فيها بمسبل
بلاد عريضات وأرض أريضة
مفازة عين الناظر التأمــــــــــــــــل
ومنها بطاح واسعات تزينت
بتاجام دوم والنخيل المكمل
ومنها جبال شامخات يزينهــــــــــــــــا
طرائق من أثار حاف ومنعــــــــــــــــل
أعد ذكر يوم في " تفادك " قضيته
تجول به بين الاراك المظــــــــــــــــل
وليل بواديهها تهب به الصبــــــــــــــــا
على شاطي " وسط الكتيب العنقل
ولا تنس حماما بميثاقها الــــــــــــــــى
يدفق ماء ساخنا عند منهــــــــــــــــل
ورقص رجال في رمال عشية
صفونا بتصفيق النساء بأنــــــــــــــــل

وركضك في وعت الكثيب نجيبة
من النوق في أكناف ساحة منزل
وجرى الجمال السابغات كأنها
نعام نجت من قانص مقنبل
وكم أذكرتني بعت شعر خيامها
يسقط اللوى بين الدخول فحومل
وأطربني فيها غناء حمامها
قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
وعولت مغتما على عرصاتها
وهل عند رسم دارس من معول
وصبرني صربي وقاموا جميعهم
يقولون لا تهلك أسي وتجمل
فسلبت عنها ثم قلت تأسيها
فسلى ثيابي من ثيابك تنسل
سلام على تلك البقاع وأهلها
(١)
نسيم الصبا جاءت بر يا القرنفل

وأقدس () مدينة قديمة تقع وسط الصحراء شبه
في كشمير من مناظرها الطبيعية مناظر الصحراء التي طالما وصفها الشعراء
الجاهليون من أصحاب المعلقة ، ولذا فإن شاعرنا في وصفه للمدينة المذكورة
يعيش مع الجاهليين في صورهم ومعانيهم بله معجمهم اللفظي .

وللشاعر وصف جميل للطائرة يقول فيها :

يا من يصعد أنفاسا بأنفاس
شوقا بخرطوم ذات الورود والآس
اصبر قليلا فانا سوف تحملنا
رعادة في الهوام طومة الرأس
صعادة تتبارى في تجولها
شهب السماء التي ترمى بأقباس
طيارة صوتها عال مجوفة
زمكها (١) كذواهي الشاهق الرأس
أنانة في نزول عندما بلغت
الى المحطة تشي شي مياس (٢)
ملوءة بكراسي طينة
بالخيش تلبس ترويحيا لجلال
تنقاد طائفة في كنف صاحبها
كدابة ذلت في كف سواس
فأعجب لها انا عنقاء مغربية
جاءت تذكر عباس بن فرناس (٣)
بين الجناحين منها نبط مروحة
تدور من حولها من غير انكاس
تعطى الدخان وتنهى عن تعاملنا
بسه علمها وهذا خلف مقياس (٤)

(١) الزمك : منبت ذنب الطائر والمقصود هنا ذنب الطائرة .

(٢) المياس : الأسد وسمى مياسا لتبخره في المشي .

(٣)

(٤) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٨١ .

فالشاعر يصف الطائفة وصفا دقيقا ، فهي مدورة الرأس وذنبها
كذواهي الشاهق الرأس ولها بين الجناحين مروحة تدور حولها وهي
في سرعتها في الجو تبارى شهب السماء التي ترمى بأقباس ، وبعد
نزلها في المحطة تشي متبخترة كالأسد وهي سلسلة الانقياد في يد
طيارها كدابة منقادة في كف سواس . فهذه صور رائعة للطائفة
وتصوير دقيق لها أضفى عليه الشاعر شيئا من روحه الدعابية . . على أن
الاصالة الشعرية قد ظهرت في شعر الوصف عند شعراء غربي أفريقيا ظهور
نار القرى ليلا على علم ، ان لا تجد فيه تلك المحاكاة العمياء للمعاني
القديمة وانما وصفوا ما شاهدوا وأثار عواطفهم وصفا دقيقا صادقا وموفقا
بالفاظ ملائمة ومعان تتناسب مع الصورة الموصوفة بعيدا عن تلك الالفاظ
الوعرة والمعاني الجاهلية ، اللهم الا ما اقتضى المقام ايراد من معجم
ومعاني الجاهلية كما في وصف الوزير الجنيد لمدينة " أقدس " الصحراوية .
وقد وجد الشعر البطولي أو شعر الجهاد نصيبا موفورا لدى شعراء
غربي أفريقيا ، وخاصة في الدولة الغلانية أو ملوك سكتو التي أسسها
الزعيم الروحي والديني في نيجيريا الشيخ المجدد عثمان بن فودي . فقد
وجد الزعيم المذكور مجتمعه منقسما في حل الشرك والبدع والخرافات ،
فعمد العزم على تطهير هذا المجتمع مما علق به من دنس الوثنية
والبدع والخرافات عن طريق الدعوة إلى التسك بالكتاب والسنة ونيل
ما سواهما ، هذا في أوساط المسلمين المنحرفين أصحاب البدع والخرافات . .
أما في أوساط الوثنيين فقد كان يدعوهم إلى الإيمان بالواحد الأحد
وتوحيده بالمبودية المطلقة وترك عبادة الدكاكير . . فوجد المذكور

اضطهادا لدعوته الاسلامية والاصلاحية لدى ملوك الهوسا الوثنيين ، كما
لقي أتباعه الذين كانوا غالبا من الفلانيين من هو " لا " الملوك أذى كبيرا ،
الأمر الذي جعل الجو السياسي والاجتماعي ملو " ا " بالاضطرابات الشديدة
في أوائل فترة هذه المملكة الاسلامية ، فكانت الحروب تدور رحاها فسي
أنحاء المملكة والممالك الوثنية المجاورة لها .

وقد هيأت هذه الحروب الطاحنة ميدانا فسيحا للشعراء والنظام ،
فقدوا يقرضون الشعر في هذا المجال فكثرت بذلك ما يسمى بشعر الجهاد . .
وكانت الأهداف الرئيسية لهذا الشعر البطولي هي تسجيل الانتصارات
الكثيرة التي أحرزها المسلمون المجاهدون ضد أعدائهم الوثنيين . وتحريض
الجماعة الاسلامية من أتباع الشيخ وإثارة حميتهم للقيام بالدفاع عن أنفسهم
وعن عقيدتهم الدينية والتنديد بأعدائهم وتخويفهم بالترهيب والانداز .^(١)

وأول قصيدة تقابلنا في هذا المجال هي الحائية التي كتبها
الشيخ عبدالله بن فودي شقيق الشيخ المجدد يحرض فيها قومه
الفلانيين ويحثهم على مناصرة أخيه المجدد وموازته في جهاد
لاظهار دين الله واطفاء جذوة الشرك وكسر شوكة الكفار الوثنيين .

وقد استهل قصيدته على نمط الجاهليين في فكرة التشاؤم
والتفاؤل ولكنه شفعها بفكرته الاسلامية :

طربت فأشجاني الطيور الكوابح^(٢)

وفرحنى منها الغيوم الروائح

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٢٢ مع تصرف .

(٢) جمع كايح وهو كل ما استقبلك ما يتطير به .

وخوفني أيضا ذباب بـوارح
وأمنني منها الظباء السوانج
لقول النبي لا تزال جماعة
على الحق منا أويجي المقارح^(١)
ألا أبلغن لحي رسالة
تميها رجال أونساء صالـج
لعالمهم أو طالب العلم رائـم
لاظهار دين الله فيه يناصـج
أقول له قم وادع للدين دعوة
تجيبها عوام أو خواص جـاجـج^(٢)
ولا تخش في اظهار دين محمد
بقولة قال تأتبه كفاتـج^(٣)
ولا تخش تكذيبا وانكار جاحـد
وهز جهول ضل والحق صابـج
وغيبة هـاز وضمن شاحـن
يساعده من للعوائد راكـج^(٤)
وليس لما تنى يد الله هـادم
وليس لا مر الله ان جاء ضارـج^(٥)

(١) المقارح المستقبل من الأمر والمقصود هنا الساعة.

(٢) ججاج جمع ججاج وهو السيد الكامل.

(٣) كفاتج جمع كنتج وهو الأحمق السفه.

(٤) راكج بمعنى ما عمل.

(٥) ضارح بمعنى دافع.

وبين لهم أن العوائد بهرجت
وسنتنا لاحت عليها لوائج
ولهو الشباب اليوم قد بارسوقه
وقامت على سوق الصلاح مدائج
وأهل الدنيا اليوم انزوى ظل جاههم
وسنتنا قد ظللتها الدوائج
ومكر هذا الدين قد خف وزنه
ومظهره ميزانه اليوم راجج
وناصره قد صار في الناس عالما
(١) ومكره للخاص والعام دانج
وان اله العرش قد من منة
علينا فمن يشكر فذلك راجج
وتلك بأن قد بين الدين في امرى
(٢) لنا نسبا نعلوا به ونظامج
فان نحن أوتناه ننصر قولـه
نفز ونحزنعماء والكل فالج
وان قد أضعناه استفاد بغيرنا
مصائب قوم عند قوم مصالح
ولو نفعنا قريبي فقط فيه ماردى
(٣) أبوطالب عم النبي وتـاج

(١) دانج : من دبح الرجل أى ذل وطأ رأسه .

(٢) نظامج : أى نفتخر .

(٣) هو آذر أبوابراهيم عليه السلام .

وما ضر شمساً أن نفي العمى ضوءها

(١) وما ضر حوضاً أن أبتته القوائم

أطائب أرض تخرج النبت رائقاً

(٢) باذن ذويها ان أفاضت دوالج

ولو همعت ديباً لما أنبتت ولو

(٣) بساهيس نبت في الأراضى البوالج

وهي قصيدة طويلة رائعة احتوت على كثير من الحكم والمواعظ التي من شأنها استشارة الفهم والحماس ، ولقد أعطت القصيدة ثمارها وفعلت فعلها في القوم الغلانيين وأزكت فيهم جذوة الحماس فنهضوا الى الشيخ ينصرونه في اظهاره لدين الله فكون الشيخ بهم جيشاً قويّاً خاض غمار المعارك مع ملوك الهوسا الوثنيين .. وقد تم له النصر المبين في جميع معاركه ، وكان شاعرنا عبدالله بن فودي من طليعة من سجلوا تلك الانتصارات الاسلامية من الشعراء . ففي وقعة " كت " (٤) التي تم النصر فيها للمسلمين يقول عبدالله بن فودي :

بدأت ببسم الله والشكر يتبع

على قمع كفار علينا تجمعوا

(١) الابل الممتعة عن الشرب لدا* بها مع العطش .

(٢) السحاب الكثير .

(٣) البوالج : جمع البالج وهي الأرض التي لا تنبت شيئاً .

(٤) حوض في مدينة " غردم " .

ليستأصلوا الاسلام والمسلمين من
بلادهم والله في الفضل أوسع
توارق مع " غوبر " (١) ويؤثف سفيهم
بحزبهم والله يرعى ويسمع
الى أن قال :

وليس معي الا قليل أطاعني
على السير بعد الأمان والجوع يلذع
ولما رأينا الفجر ضاء عموده
نزلنا فصلينا الى أن تجمعوا
فسرنا الى " غردم " وقد تم جمعنا
(٢) قبيل زوال اليوم والجمع موزع
فزدنا جموع الكفر عن حوضه وقد
رأوا جمعهم مثلي جماعتا فموا
فظنوا محل الغيل ينصر جمعنا
وأن الربى من ناصرهم ستفزع
فغفروا اليها ثم صفوا وانطقوا
طبولهم والجمع يدنو ويتبع
الى أن تراءى بنا وزاد اقترابنا
رموا فرميناهم فولوا وأقشعوا

(١) غوبر : مدينة . ويؤثف اسم سلطانها ويطلق اسم غوبر إليها على

القبيلة التي تسكنها أيضا ،

(٢) غردم : موضع .

فلم يك الا أن رأيت جهاسهم
قد انكشفت عن شمس الاسلام تلمع
بنصر الذي نصر النبي على العدا
ببدر بجمع طلائك يجمع
وكم من كي جدلته سهامنا
وأسيافنا واره طير وأضبع
وكم ذي جلال صرّته أكفنا
فجزت فتوس رأسه يتقطّع
طردناهم وسط النهار فلم يكن
لهم غير - غول - في دجى الليل مفزع
لكل الجهات قد تفرق جمعهم
بدادا ليوم الجمع لا يتجمع
وختم القصيدة بقوله :
فيا أمة الاسلام جدوجاهدوا
ولا تهنوا فالصبر للنصر مرجع
فقتلاككم في جنة الخلد دائما
وراجعكم بالميز والمال مرجع
فليس لما تبني يد الله هادم
وليس لأمر الله ان جاء مدفع
فشاعرنا قد استغنى في قصيدته عن المقدمة التقليدية ، ليميز عن
فكرته الاسلامية وحقائق عقيدته بأسلوب يراه مناسبا للفكرة ، حيث يبرز
التأثير الديني عليه . . فاستمد المقدمة من المعاني والأفكار الاسلامية

كالبدء بالبسملة تتبعها الحمدلة أو الشكر لله الفضل عليهم بالنصر ..
وبعد ذلك يسرد لنا أحداث الحرب وكيف مكّنه الله من أعدائهم
عندما التقى الجمعان واكتحلت الأعداء بالاحداق فهددوهم وقتلوهم
وتركوهم نهبا للطيور والضباع، وقد أعطوا فيهم السيوف والسهام والفؤوس
ثم غرقت فلولهم أيدي سبأ ولن يقدر لهم التجمع الى يوم الجمع
لا ريب فيه .

وقد أرجع الشاعر النصر الذي أحرزوه الى الله الذي نصرهم
محمدًا ببدر . وأخيرا نجد أن الشاعر قد استطاع أن يؤدى دوره فسي
ميدان الجهاد في استنهاض الهمم والهباب مشاعر الحاس والاندفاع في نفوس
المجاهدين مصورا مشاعر المجاهدين وأحاسيسهم بعد أن نذروا أنفسهم
جنودا في مواكب الاسلام . وعبر عن روح الجهاد التي يجب أن يتخلل بها
المسلمون بعد أن غمر نفوسهم نور الايمان وبددوا بوهج العقيدة
ظلمات الصدور ، وذلك في الأبيات الثلاثة الأخيرة من القصيدة ..

وفي وقعة " كنو " (١) يقول محمد بللو بن عثمان بن

فودي :

سائلوا عنا وعن أعدائنا

يوم دار الحرب في " كنو " الحفر

قد تركناهم بها مثل الهب

أو كأحطام الهشيم المحتضر

ولكم كربه فرساننا

في صناديد " كهاوا " (٢) المنكر

(١) موضع .

(٢) موضع .

اذ رجعنا لهم وقت الضحى
بجنود كجراد منتشـر
وكان الخيل في أرجائهم
هدأ تخطف أشلاء البقـر
فلقيناهم وأولغنا بهم
برماح وسهام كالطـر
واشرأبوا فرموننا مثلها
فأقننا هكذا حتى الظهر
فدعونا : يا نزال للوغى
فدخلنا حصنهم وقت العصر
فسقيناهم ضايبا فسرو
سهم أشال جذع منقعر
ثم رحنا غانمين كأننـا
قد رجعنا من جوائى للحفر
فاحمدوا الله على احسانه
لأولى الاسلام يا أهل العبر
فهو مولانا ووالى أمرنا
حيذا المولى ونعم المنتصر (١)

ومحمد بللوا يستغنى عن المقدمة التقليدية للقصيدة في

(١) اتفاق المسور في تاريخ التكرور ص ١٤٧.

هذه المقطوعة ويعتد أسلوبها آخر للاستهلال قائما على المحاورة وإثارة التساؤل وهو قوله :

سائلوا عنا وعن أعدائنا

يوم دار الحرب في كنو الحفر

وفي هذا الأسلوب حث وتنبيه وإسراع في انتشار أثر القصيدة ..

ونجد في القصيدة ذكرا لأدوات الحرب كالرمح والسهم ، فقد

وصف كثرة الرماح والسهم واقتحامها على الأعداء ومداهمتها لهم كداهمة المطر من ينزل عليه ..

وبيد وتأثر الشاعر بالقرآن الكريم في معجمه اللفظي وصوره الفنية

من أمثال استعماله تعابير قرآنية وردت في سورة القمر كقوله : " كأحطام

الهشيم المحتضر " وقوله : " بجنود كجراد منتشر " وقوله : " فروسهم أمثال جذع منقعر " . (١)

كما تهدوا أعداء الدين واضحة في البيتين الأخيرين حيث يأمر

الشاعر أهل الإسلام أن يحدوا الله على إحسانه بما حقق لهم من نصر على

أعداء الله ، فهو تعالى مولى المجاهدين وناصرهم وهو نعم المولى ونعم النصير ..

ولم يكن الشيخ عثمان بن فودي في جهاده باغيا أو خارجا عن

تعاليم الإسلام في الجهاد .. فما هوذا ابنه محمد البخاري في قصيدته

الحماسية التي بدأها بمقدمة غزلية وجهها إلى " أبرا " رأس الوثنيين وفيها

نتبين منهج الشيخ في جهاده :

(١) سورة القمر الآيات : ٧ ، ٢٠ ، ٣١ .

فيقول محمد البخاري بعد مقدمته الغزلية : (١)

أي راكبا بلغن * ابر * عنى الذ
نصيحة والنصح خير المقال
فان كنت ترجو بلوغ الأمانسي
بنصر الغواير أهل الضلال
فلن يجعل الله للكافر من
على المؤمن سبيلا بحال
فمرهم اذا شئت أن يسلموا
بصدق والا باعطاء مال
والا فانا سنأتىكم
نزج الكتائب مثل الجبال
تذود الوحوش من الخرق فيها
أسود الوغى فوق جرد طوال
مقاديم في الروع لا ينكسون
اذا الخيل جالت بهم في العوال
بأيمانهم مرهفات طسوال
وبعض رفاق وزرق نصال
ويهدىهم خير سمع وعال
حياء وصبرا وبذل النوال
وأفضل رأيا اذا ناب أمر
واشجعهم حين يدعى النزال

(١) الحيل على حب النساء ص ٧٠

.. وهكذا نفهم من القصيدة منهج الشيخ عثمان بن فودي في جهاده الوثنيين ، فهو يدعوهم الى الاسلام أولا فان أبوا فدفع الجزية فان أبوا فقتال .

وهو في هذا المنهج مقتد بسلفه الصالح في الفتوحات الاسلامية . .

وفي القصيدة أصداء للدين تظهر في تأثر الشاعر بقوله تعالى :

﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ (١)

وقوله تعالى ﴿ الذين يترهبون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين قاله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ (٢)

هذا ، وقد نهج شعراء العربية بفربي أفريقيا في هذا الفن منهج القدامى فاذا وصفوا الجيش وصفوه بالكثرة المفرطة كقول محمد بللو :

يجند يلا أركان طــــرا

ويكسو السهل والحزن النشابا

(١) سورة التوبة الآية ٢٩ .

(٢) سورة النساء الآية ١٤١ .

وقوله :

ان زحفنا لهم وقت الضحى

بجنود كجراد منتشر

وفي ذلك يقول محمد البخارى :

لجب رحيب السرب من صنهاجة

يتوقدون توقد النيران

وكذا قوله :

ساروا الينا واثقين بطولهم

بمرمر كاللؤلؤ ذى الأركان

واذا وصفوا شجاعة الجيش وبسالته شبهوه بالأسود ، يقول

محمد البخارى :

بأنا قد أتينا أهل فوهر

يجمع مثل أساد التهام

بأيديهم سيوف راسيات

مترات الجماجم والبنسام

ويقول في ذلك أيضا :

تذود الوحوش عن الخرق فيها

أسود الوغى فوق جرد طموال

ويقول في الموضوع نفسه : عبدالله الوزير :

يقودهم " بل " في خيل وفي رجل

بين اللبوث كليث ثائر ضار

ومن مظاهر محاكاتهم للقدامى في هذا الفن أيضا طريقة
وصفهم للخيل .. فيها هو محمد البخاري يشبه الخيول في سرعتهم
بالحمام فيقول :

وتحتهم خيول ضامــــرات
طوال جافلات كالحمام
ويقول أيضا عبدالله الوزير :

على كل جرداء وأجرد شيطــــم
تراء كصفراء الجراد اذا استوى
قد اعتاد غارات الصباح تخاله
اذا ما جرى فوق الربا طار في الهوا
ويذكرني هذا بهيب سلمة بن الخرشب :

فلو أنها تجرى على الأرض أدركت
ولكنها تهفو بهتال طائر
ومن الظريف أنهم يشبهون الخيول في حروهم بالحداء ، فيقول
محمد بللو :

وكأن الخيل في أرجائهم
حداء تخطف أشلاء البقــــر
وتابعوا القدامى أيضا في الحديث عن الضرب والطعن وآلات الحرب ،
وان لم يتأنقوا في ذلك تأنقهم ، فيها هو ذا محمد بللو يقول :

تصح الردينيات في حباتهم
وتسقيهم كأس الناي المغمــــرا

ويقول في ذلك أيضا :

تدامي أولوالاسلام حين تذا مروا
بكل حسام يفرق الهام شهرا
وكل رديني وأسمر قعضب
على كل جهد من نجائب بربرا
ورجلهم يحس سها ما كأنها
ندی صاب في جوالنهار وأمطرا

ويقول أيضا عبدالله الوزير :

نصرالنا برما حنا وسها مننا
وسيو فنا بيطونهم والسرأس
أولادهم ونساوهم سبيبة
ورجالهم مقتولة بالفساس
ويقول محمد البخاري أيضا :
بأيمانهم مرهفات طوال

وببيض رفاق وزرق نصال
كما تابعوا القدام في وصفهم شاهد الهزيمة من قتل وجرحي
وأمرى واستيلاء على الفنائم ، فمثلا يقول عبدالله الوزير :

وكم من كسي جمدلته سها مننا
وأسيافنا واره طهر وأضياع
وكم ذي جلال صرعته أكفنا
فجزت فتوس رأسه يتقطع

ويقول أيضا :

لكل الجهات قد تفرق جمعهم
بداذا ليوم الجمع لا يتجمع
فخلوا لنا أموالهم ونسألهم
على رغبتهم والله يعطي وينعم

ويقول في أسر قائد الوثنيين :

وأسر طاغوتهم قد زاد ذلهم
مقيدا بينهم في ملبس العسار

ويقول أيضا :

فلما رأونا لا نمل جهادنا
لقتل وأسر جلهم خاف فارغوى
ففرروا إلى البلدان شتى وجمعهم
كجمع أناس كان في سبأوى

ويقول أيضا :

ففرروا عن جماعتهم وجزأوا
مسيرة خمسة في نصف يوم

وفي ذلك يقول محمد بللو :

فأين سراتكم سيدى بن برهسى
ونجل كجبر مشثوم قدار
(وأى صدى) تركناه صريحا

وفي لحبيبه والقحف ازورار
ضربنا قرن كبشكم فأضحى
أجم كأنه فيكم حمار

فحزننا يا توارك أهل " أزيهن "

فغفروا كي يخلصكم فــــرار

فسمروا أربعين ونصف عام

فغفروا كي يخلصكم قــــرار

وقد ارتبطت صورة القتل عندهم بالطير والضباع وهي مرتبطة

في ذلك بالشعر القديم فمثلا يقول محمد البخاري :

قوم هم تركوا أباك مجزرا

يوم التقوا للنسر والضبعان

ومن ذلك أيضا قول عبدالله الوزير :

وكم من كي جدلته سها منا

وأسيافنا واره طير وأضــــع

هذا ، وقد رافق الشعر أغلب معارك الاسلام في غربي أفريقيا،

فكان ينبض بالقوة والتمكن ليشير في نفوس المسلمين دوافع الاقتحام

والتحدى لصنع المستقبل المنشود الذي يبرم الله للأمة المسلمة فيه

أمرشده يحز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته .. ولما كان الشعر

سلاحا اعلاميا معبرا ، فإنه كان قادرا على التعبير عن قيمة الانتصار من

خلال ترسيخه قيم الثبات على البدا وأثارة روح الاقدام واستطابة

الموت ، التزاما ببدا الجهاد والشهادة في سبيل العقيدة ، ولفت أنظار

المجاهدين الى أن قتلهم شهداء وصيرهم الجنة حيث يلقون سيد

الشهداء . ويمكن الموت في سبيل الله ان أسس أمانهم ومنتهى غايتهم ..

ففي معركة " كت " التي خرج منها الاسلام منتصرا ومظفرا ،

وقف عبدالله الوزير يتغنّى بالنصر الذى أحرزه المسلمون وفيها يقول :

فيا أمة الاسلام جدوا وجاهدوا

ولا تهنوا فالصبر للنصر مرجع

فقتلكم في جنة الخلد داءا

وراجعكم بالعزو المال مرجع

ويقول في قصيدة أخرى :

وان سر " غوبر " و " التوارق " ذاك وال

قتال سجال ليس مرجعنا سوا

فمن قتلاهم في جهنم داءا

ومن في جنان الخلد ليسوا على استوا

ومجمل القول أن الطابع المميز لشعر الجهاد في غربي أفريقيا

يتصل فيما يأتي :

(١) الروح الجماعية :

حيث يستعمل الشعراء ضمير الجمع " نحن " المعبر عن روح الجماعة،

وهو ما وجد فيه الشعراء القوة والصلابة ، كما وجدوا في صيغة الضمير " نا "

القدرة على الاندفاع بشكل أوسع ، فالأفعال " رأينا " و " زدنا " و " نجاهد "

وغيرها من الأفعال تشكل المحور الذى استند اليه الشعراء في التعبير

عن الروح الكبيرة التي تجمعهم والاحساس الأشمل الذي يتحرك في

أعماقهم ويشير فيهم الاندفاع نحو الهدف المنشود .

(٢) الطابع التاريخي الجغرافي :

ويتصل بهذا الجانب الأشعار التي ذكر فيها أسماء الأماكن

والحصون والحياض والأُنهار التي دارت رحى الحرب حولها أوفيتها ..
وتبقى القيمة التاريخية الجغرافية لهذا اللون من الشعر سمة مميزة له تحكى
قصة الايمان ومسيرة نضال الانسان المسلم الذى أدرك كنه حياته واستشعر
قيمة ذاته من خلال هذه المسيرة ، وكانت النماذج الشعرية التي نظموها
وثائق تاريخية جغرافية مهمة ..

(٣) استلهام الصور القديمة في الحرب :

لم يخرج شعر الجهاد عند شعراء غربي أفريقيا في صورة الشعرية
للحرب عما كان عليه في الشعر القديم .. فقد ظلت الصور القديمة
تستحوذ على الشعراء وتجذبهم ، وظلت المنبع الوحيد الذى يغترفون
منه صورهم الفنية ، فاذا وصفوا البطل وصفوه بالأسد كما رأينا ..

وصورة القتل مرتبطة عندهم بالطير والضباع ، وهي صورة قديمة قدم
الشعر العربي ، وهم ينقلون هذه الصور نقلا دون أن يضيفوا اليها ظلالا
جديدة بحيث تصبح صورهم جديدة أو كالجديدة ..

على أن شعراء الجهاد لم يكونوا يحترفون الشعر ، بل كانوا
من أنطقتهم الأحداث ولم يكن لديهم الالمام الواسع بالتراث الشعري
لعموم الشعر العربي كلها ، ولا ذلك الصيد الضخم من الألفاظ والعبارات
والصور التي كان لا بد أن يلم بها الشاعر المحترف .. أضف الى ذلك
حالة الشاعر النفسية وطبيعة التجربة التي يمر عنها ، فضلا عن الظروف
والملاهيات التي كانت تحيط بنظم القصيدة والتي لم تترك للشاعر فرصة
الاسهاب في عرض أفكاره والخوض في جزئيات الأحداث ووقائعها ..
فالشاعر الأفريقي كان فارس حلبه يتحمل عبء الجهاد فهو مجاهد
وشاعر معا ..

على أنه قد توجهت غايات شعر الجهاد نحو تعزيز قيم العقيدة
المتشكلة في الدعوة الى الثبات على البعد والحض على التضحية بالنفس
والنفس مقابل الجنة .. فارتبط موضوع الحرب بالدفع من العقيدة وترسيخ
مبادئها ، وقد شكلت الخيل والسلاح عدة الحرب كما رأينا ..

تناول شعراء غربي أفريقيا شعر الحنين ضمن أغراضهم الشعرية
غير أن تناولهم لهذا الغرض يعد قليلا بالنسبة الى الأغراض الأخرى وقد
تبينت أصالتهم تبينا واضحا في هذا الغرض فها هو ذا الشاعر السنغالي
المصطفى آن يعبر عن حبه لوطنه وحنينه اليه لما نأى عنه الى ساحل
العاج فيقول : (١)

هواى في اليوم أن أحظى بإدلاجي
للأهل متعدا عن شاطئ العاج
فانني صرت مشتاقا الى وطني
رمانى الشوق في ضيق واحسراج
قومي بعيدون عن سمعي وعن بصري
أنا الغريب بقلب جدد هياج
كأنني كنت طفلا تاه متعددا
عن أهله ضمن فصل ليلسه داج
اني أجول ولا أرضا سلوت بها
وسرت تيهها كولا ج وخسراج
أرضي بها الزهر حول الماء متسا
فالموج من مائها يعلو كأبراج

(١) الأدب العربي السنغالي ج ١ ص ٢٠٧ .

كأنما الورد يستجدي معانقــــة

للند فوق رفیق النسيج ديباج

ثم يذكر خصال قومه فيقول :

من ثم صبحي الأولى طابوا مواســــة

للعلم كم فتشوا عن أي انتــــاج

كل يحاول تثقيفاً ويعشقــــه

كم بادروا نحو عرفان بأفــــواج

هم فتية لا ينو قلبي يجذبهم

وشوقهم طنّ في لحمي وأوداج

اني لا شتاق من قومي شمائلهم

فالكل من قلبه يحنو لمحتــــاج

أيضا أسر بأخلاق لجيرتهم

أخص منهم فتاة طرفها ســــاج

عهدي بها في مصيف كنت زائرهم

بجنب ماء بعيد الخور شجــــاج

اني تعبت وأحزاني محر كــــة

قلبي الكئيب وهل أحظى بأفراج

لكنني محسن ظني وفي ثقتــــي

بالله بارئنا من ماء أشــــاج

ما بي قنوط ولا بأس لرحمتــــه

لأنه جل يهدي خير منهمــــاج

ان الرجوع الى أهلي وفي وطنــــي

هو المنى في فوادي الخائف الراجي

ومن المواعظ ان أردت قبورها
لا وعظ أعظم منه أبغ سبيلها
ومن النسيمة قد كفى أخبارها
السوقي لكن ان أردت فضولا
ومن الكلام يحوس من فلا نهها
يكفيك " جون " صَوْرَت " جَاغ " مِدَلَا
ومن القباب كفى بها أشجارها
أحسن بها من أن تكون مقبلا
لا سيما في الصيف لما قاربست
شمس النهار على الجبال تميلا
أمسك عنانك لست تبلغ فضلها
وخواصها ما قلت كان قديمها
وكفى بها شرفا اعتنا قدامنا
السادات قبل بها كفاك دليلا
لي في المعاهد صبرة لكنهمها
ليست تعشر صهوتي في يولا
يا رب فاستر أهلها الأحياء واغ
غفر أهلها الأموات خيرك نبلا
لا شك أن الشاعر كان محبا لبلده حبا جما ، ويدوان هذا البلد
يوشد كان بدائيا لم تدخله أسباب المدنية أو التطور العمراني الذي
يجعله جميلا ومحبا الى كل الناس ، ومن هنا نجد الشاعر يحاول أن يوجد
بدائل لأسباب العمران التي تشد النفوس الى البلدان ، فجوه جميل

ولطيف وفيه ظلال وارفة أما قصوره فهي التلال وما أشبهها بالقصور، وظباؤه هي الشياة والمزامير الموسيقية هي رنة تغريد الطيور وملوكه هم الشيوخ أهل العلم .

وان رمت المواعظ فيه ، فحسبك قبره موعظة وان كنت صاحب فضول فستجد بغيتك في أخبار السوق من أهله وهكذا .

وأخيرا يود الشاعر قصوره هتته عن ادراك شأوه وحصر محاسنه وأخيرا يدعو بالستر لمن يقطنه من الأحياء وبالفقران لمن ماتوا فيه . . .
وقد أكثر شعراء غربي أفريقيا من الشكوى الى الله فخرج الهم ونفس الكرب لسوء أحوال عصرهم وخاصة بعد دخول المستعمرين واستقرارهم في البلاد واستئثارهم بكل شيء ونجاحهم في تفريق شمل المسلمين .. مما أدى الى ضعفهم وضعف وازع الدين في النفوس حيث تزلف بعض المتحذلقين الى المستعمر البغيض يتلقاه ويتذلل له ويتآمر معه ضد بني قومه .
وطبيعي جدا في مثل هذه الحياة الاجتماعية المزرية التي فش فيها الفسق والفساد ، ولم يحفظ فيها للدين حرمة ولا ترك للعرض حمسى - أن يهرع العلماء الى التضرع الى الله ليكشف عنهم وعن المسلمين جميعا ما هم فيه من ذل وغمّة، وقد تقبل الله دعوتهم فتحررت البلاد الاسلامية كلها في أفريقيا وآسيا من قيود المستعمرين وان تركوا مخلفات لهم مثلة في عملائهم من أبناء البلاد المسلمة ينخرون كالديدان في عظام الأمة والله المستعان . . . وها هو ذا الوزير الجنيد يشكو من تلك الحالة الاجتماعية السيئة بعد دخول المستعمرين فيقول :

ظمن الذين عهدت في ذا النادى

ماذا وقوفك في الطلول تنادى

وعلام تيكبي من بكاء حمامة
في أبكة تشدو على التـرـداد
صارت مراتع للوحوش بعميد أن
كانت مقاصد حاضراً وبها
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لا تذا على الأعواد
قامت تخاطبني فعمز كلامها
ولكم سكوت معلن بمـرـاد
وتدير عندها تشير بذاك دو
ر الدهر غير ما ترى في النـادى
وتلوّنت ففهمت منه تلوّن الـ
أحوال في الدنيا فعمز رقـادى
ناديته يا أيّها ذا النـادى
فأجابني يا أيّها ذا النـادى
لما سكت دنت الي حمامة
مضيرة تبدو كـون رمـسـاد
فسألتهما أمن الذين عهدتهم
قالت لقد بلغوا على الميعـاد
قلت أخبريني من تخلف بعدهم
قالت تخلف دولة الأكراد
مالي أرى دون الكرام وضـيعة
قالت علتها دولة الأوغـاد

فسألت ما خلق الذين تخلفوا

قالت ذوو فحش ذوو أحقاد

لا تكذبهني يا حماسة اكشفني

قالت ذوو حسد ذوو أفساد

والقصيدة طويلة وجميلة لنا معها وقفة عندما نترجم للشاعر ان شاء

الله . ولشاعرنا شكاوى متعددة في هذا الصدر نكتفي بما ذكرنا

وقد ضرب على أوتار شكاوى الحالة الاجتماعية السيئة وفساد الأخلاق

وانتشار الفتن، الشاعر السنغالي الحاج النصوره فيقول :

أشكو الى الله ما بالقلب من حزن

وما أقاسي به من مضجع خشن

أنفقت كنز مداراتي لنيل سلا

مة ولم يفن شيئا في بني زماني

لولا المروءة أخت الدين ما انهبطت

روحي الى أحد خوفا من الفتن

ولا أخالط من يردى بصحبتـه

ديني ودنياي من غش ومن دخن

ما زلت آمل ذا ود يوافقني

به أرمق ودى غير مضطغن

والأمر بالعكس اني كنت في سنة

وأيقظتني صروف الدهر من وسن

رمت السلامة فانسدت مسالكها

ان السلامة أمر غير متهم

ويقول في مقطوعة أخرى :

زمان أناس في مكاشرة الشـرى

تمالوا وصدق القول فيه غرور

وتنكيت عهد والأمانة رأيهم

وتأويل أقوال تشق صدور

زمان اذا من الكريم خصاصة

رموه وهو عند الاله خطير

ويتمثل بالشكوى من فساد الحياة الاجتماعية وترديها والسخرية

من المستعمرين مقطوعة الشاعر النيجيري وزير سوكتو عهد القادر بن محمد

التي يصف فيها الحياة في عصره ويسخر من المستعمر الدخيل الذي أصبحت

السلطة الحقيقية في يده ويحكم بالاستبداد تحت ستار الحكم غير المباشر

وذلك بواسطة الاُمراء الذين استغلهم وصيرهم أداة لقمعه وارهابه ، فيقول :

عسا الليل حتى اصطاد بهر وشعلب

وناوشت الآساد ضب وأرنـب

تفر أفاعي الأرض من خوف ضفدع

وتزرع هند في الصباح وزنب

وأبصرت أقواما مع الليل أنزلوا

أهالهم في الدشت والظبي تذهب

فولت فرارا شم فاءت وأقبلت

فياليت شعري هل رأى الظبي أسرب

وأما ملوك الأرض فيما لديهم

فما سبهم ضر وما غاب طالب

ولكنهم في نعمة أى نعمة

بلادهم فيها أمان وزغرب

فشا عرنا يحاول أن يصف انقلاب الأُمور رأسا على عقب بدخول
المستعمرين وفساد أخلاق المواطنين الذين كانوا يتزلفونهم ويُستغلون
في اذلال شعبهم بسبب ما ينالون من المستعمر من سلطة خاوية من
أدنى معاني السلطة. وبذلك أصبح الشريف وضيعا والوضيع شريفا
وانقلبت الموازين بسبب سياسة المستعمر الرعناء .

وقد أحسن الشاعر في وصف الحالة حيث جعل السر والتعلب حيوانين
مفترسين وطك لصت شبيتهما ، كما جعل الضب والأرنب يناوشان الآساد
ولمست مناوشة الأسود ديدنها ، كما جعل الأفاعي تفر من الضفادع
وجعل النساء اللاتي يخدمن أصبحن يخرجن لفلح الأرض والزراعة ، وهكذا
استطاع أن يعطي صورة صادقة لمجتمعه بعد دخول المستعمر الدخيل
البغيض ..

ونكتفى بهذا القدر من شعر الشكوى والحنين ، على أن أصداء
الدين التي ظلت تلازم الشعر العربي في غربي أفريقيا بجميع أغراضه
لم تتخلف هنا أيضا كما رأينا .

لم يغفل الشعر العربي في غربي أفريقيا شعر المناسبات ،
فكثيرا ما استجابت قرائح الشعراء لمناسبة من المناسبات السعيدة أو
الحزيمة ..

على أن جانباً كبيراً من شعر المناسبات غير متشح بوشاح الشعر ،
وكثيرا ما يتسم بطابع المنظومات التاريخية التي تعنى بتسجيل الوقائع

التاريخية أكثر من عنايتها بالصورة الفنية .. فما قيل في التهنئة منظومة
الشيخ أبي بكر غني يهنئ الحاج محمد السنوسي شروما (Ciroma)
يوم كان ولي العهد بعد رجوعه من الحج في سنة ١٩٥٣ م حيث يقول :

غادرتنا نبكي فراقك مالنا
حتى تعود تهيم وسرور
يا ضعفنا يوم الوداع بياكم
والناس صرعى كلهم مأسور
حتى عزمت فمنهم تلفت

ومشيع ومحول وصهور
وفيهما يقول ان الشرق كان يضيء عندما يسم نحوه السنوسي
وترك الغرب يشرق من الشجى اذ أصبح مهجورا .. وقد أشرك
الشاعر بعض الظواهر الكونية في الفرح والرح بهذا القائد المسلم
فجعل الأفق والطير سارة لمجاورته لها وهو يطير في سفينة الهواء
الى الاراضي المقدسة وأن أهل مكة قد فرحوا لمقدمه وأرخوا به ولنستمع
الآن الى قيثارت :

الشرق يشرق ما قصدت تجاهه
والغرب يشرق اذ هو المهجور
والأفق سريما مررت وطيره
والأرض تسمى للهواء تغير
حتى نزلت أمام ربك شاكر
فيما حباك وخصك المشكور

لبيت دعوته وأنت مهلل
متضرع متجرد محسور
أديت واجبه بأحسن حالة
أبشر بدينك انه مأجور
سكان مكة أرخوا بقدمكم
ان فاز منك شريفهم وفقير
وقصدت خير العالمين بطيعة
مع صاحبيه وعمك التنوير
ردوا السلام عليك حين بدأتهم
ودعوا لكم والحافظون ظهير (١)

وما هو من التهاني بسبب قصيدة الشاعر السنغالي أحمد عيان سه
بمناسبة قدوم الجنرال الفرنسي دغول (De Gaulle) الى السنغال
بدأ القصيدة بمقدمة في وصف بعض المناظر الطبيعية من نهر وبحر وزهور
يقول فيها :

لقد أتى عبقرى الدهر سنغالا
يا نهر فاجر الى الصحراء أميال
ولتسقى من معين الماء صافية
عذبا زلالا ولا تسبح به آلا

(١) حركة اللغة المربية وآدابها في نيجيريا ص ٩٨-٩٩.

الى أن يقول :

هذا دغول أتاكم فاضربوا فرحها
له الدفوف واخلوا القيل والقالا
يعد في كل حال ما يناسبه
فافرّح بمقدمه واشرح له حالا
يعين كل امرئ فيما يحاوله
يعطيه من أمر الاستقلال ما قال
قل مرحبا قد أتى أم القرى أصلا
وقم له حين زار القصر اجلالا
أهلا بطائفة في الجوتحمل من
قد فك عن شعبنا قيذا وأغلالا
رئيسهم لكثير القول مجتنب
تراه يوما لما قد قال فعــــــــالا
حب المواطن من ايمان صاحبها
لذاك أحببت أوطاني هنا حالا
ولتعمروا بلدا تستوطنون به
ولستلأوه بساتينا وأــــــــوالا
بذاك فابغوا رضی الرحمان واتبعوا
مراده في بقاء الناس أجيــــــــالا
لا تفشلوا بنزاع سوف يهلككم
مستمكين بما المولى لكم قــــــــالا
ان دام هذا سعدتم في تواصلكم
أولا شقيتم وكنتم بعد ضــــــــالا

شأنهما أن يهلكاهم ويفشلاهم فتذهب ربحهم . وكل هذه النوائج
مطالب أساسية في ديننا الاسلامي .

وأخيرا يرجو الشاعر من المولى العلي القدير أن يجعل بلده مستقلا
بكل ما في كلمة الاستقلال من معنى قولاً وعملاً حتى لا يكون استقلال
البلاط مجرد هبر على ورق . . ومن قبيل شعر المناسبات تقریظاتهم
الأدبية ، فيها هو الاستاذ عبدالله بن يوسف النجيري يقرظ ديوان
الشاعر عمر ابراهيم ^(١) بهذه الأبيات بعد أن قرظه بنشور الكلام
فيقول :

بأحديقة الأزهار للقاضي عمر

ديوانه مجموعة باهي الدرر

أم هذه شمس الضحى قد أشرقت

أم أنجم الجوزا سناها قد بهر

أم ذى صحائف كونت من عجد

فتناسبت فيها المعاني والصور

أم ذاك ديوان لاؤحد دهره

شمس العلا بحر العلوم اذا فخر

هو أوحد الحكام تاج رؤسهم

مغني اللبيب اذا هدا واذا حضر

جادت قريحته بنظم فرائد

قد كان يذخر كنزها فيما دخر

(١) سس الشاعر ديوانه بأحديقة الأزهار .

سرحت طرفي في محاسن روضه ال
باهي فذكرني بخاتمة الزمر
وحديقة الارب البهي رواؤهـ
قد أينعت منها الازاهر والشمس
لله يا أوفى محيط عبابهـ
جمع المطول والوجيز المختصر
قل للآلى زعموا كفاية غيسره
هيهات هل تجدى النجوم مع القمر
وبروجه في العلم شامخة البنـ
بشهر بلدان وأعلام غرر
أتظن أن الوصف جاوز حده
عند العيان يصفر الخير الخير
فاضرب له ما قيل : كل الصيد في
جوف الفرا مثلاً تواتر واشتهر
أخباره في الخافقين حميدة
واذا زكت شيم الفتى حسن الأثر
ومضاه في الحكم والاقدام قد
سارت به الركبان في بحر وبـ
وسعوده سعدت بها أمانـ
وقضاه من أمه أمن الخطر
لله جودة علمه وزكائهـ
في حل أُلغاز الغريب من الأثر

حفظ الاله بقائه وبهائه

مصسوب عزفي البداة والحضر

وجزاء مولانا لحسن طبائه

أسنى الجزاء مدى العشايا والبكر

وحياتكم ما زلت منذ فارقتكم

مترقبا أخباركم فيما خبــــــــــــــــر (١)

ونلاحظ أن الشاعر قد تجاوز تقريظ الديوان الى مدح صاحبه

وعلى كل حال فان التقريظ نوع من المدح . . هذا ومن التقاريف

ما قاله الحاج ابراهيم بن الحاج محمد التسليم الطوبوى السنغالي

في تشطير الشيخ كشمه لبرده البوصري ، وها هي ذى نماذج منها :

لما وقت على التشطير أزعجنــــــــــــــــي

شوق وهيجني ما فيه من حكم

وقلت ذا النظم بحر ليس يعبره

الا ذكي خلي الذهن من وهم

فخضت فيه وأخرجت الجواهر من

لجاته وشوج اليم في عظم

يرمي بحافته درالهديع ويسا

قوت المعاني فيما للبحر من نعم

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٤٨-٣٤٩ .

فان مدح النبي المصطفى سبب

لشربه والورى في شدة القحس

خذوه يا أيها الأدباء واغثروا

(١) عيوبه فالرضى من أفضل الشيم

وقد قرط التقريظ المذكور ابن عم المشطر الحاج المختار

كشمه ، فقال :

على تقاريطكم يا شبعة الكرم

أغير قبل انصداع الفجر عن قلم

نهبتم رونق التقريظ قبل وفى

تاج الجواهر أضحى القول في حضم

كما أغار خيول النهب مصححة

شيخ العلى في تلاد البرد لم يلم

فزوج العزب بالعزباء فادعهما

زوجين والزوج في ذا الحكم لم يضم

شن لطبقة كفوء دفء أحدهما

شطر من البرد أو شرط من العدم

داعى الهوى ودواعى الوجد صوتهما

سيان لا فرق بين اللحن والنغم

يشنى البوصيرى في اعجاز برديته

على مشاطره في الأجر والقسم

(١) الأدب السنغالى العربي ج ٢ ص ٢١٦ .

سبقت الى الشيخ هونا كل ما نسجت
أيدى الغنون فأضحى جيد الجدم
أقلامه اجعل إلهي وفق نيتته
وسائل الخير بين العرب والعجم
لله درك من قرم شمائله
وازت شمائل سرالبد * والختم (١)

وبهذا التقريظ نختم حديثنا عن شعر المناسبات في شعر
شعراء العربية بغربي أفريقيا .

وقد نال المديح النبوى نصيبا وافرا من بسم الغراض الشعرية
التي تناولها شعراء العربية بغربي أفريقيا ، ولا غرو أن يتجهوا نحو
هذا اللون من الشعر ، فهولون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية
وإب من الأدب الرفيع الذي لا يصدرا عن قلوب مفعمة بالصدق والاخلاص
وتفان في حب ذات الحبيب المصطفى البشير النذير الذي بعثه الله
رحمة للعالمين . .

وقد راح شعراء هذه البلاد ينظمون قصائد طوالا في مدح
الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء عليه تقربا الى الله ، وتعبدًا ، واشباعا
للجانب الروحي في حياتهم . . وكانوا في ذلك بين مستلهمين ومعارضين
لقصائد سبقت في هذا الباب ، من نحو قصيدة البردة لكعب بن زهير
وميمية البوصري الموسومة بالبردة أيضا . . وكانوا في احتذاء خطى البردتين

(١) الأدب السنغالي العربي ج ٢ ص ٢١٧ .

بين مشطر ومخمس ولنبدأ بالمدايح التي لم تتسم بسببها المعارضة، فيها
هوذا الشاعر السدغالي الحاج مالك سه يقول في مدح المصطفى عليه أفضل
الصلاة وأتم التسليم :

أبدا بروق تحت جناح الظلام
ام وجه معتة أم ربوع شمام
ان الربوع بشارتي وامانتني
وربيع قلبي وهي خير شمام
والدمع ان بعدت ربوع ربوعنا
جاروجارح منحرى بسمام
مه عاذلي لوحزت علما لم ظم
هل عدل مثلي لم يكن بحرام
ملا الفؤاد قضاة شوقي والهوى
ألما ووجدنا يا لطول همام
يا غاديا يعلو السناد فبلغن
سلما وسل عن جبرتي بسلام
فاربع على مجنون ليلى ان لى
دا دوبا ما أبلى سقام
واقرا سلاما طيبا تغشيه من
حبالى ناس هديت همام
بين لهم تهمين برصداق
انى بهم حلف الجوى وغرام
يا رب ليل هست سامرأنقدا (١)
متجاوا متاجلات همام

(١) أى بت ساهرا.

واسرائه ومعراجہ ثم ختم قصيدته بالتوبة وطلب الغفران . . ثم
الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أرى برق الغواية ان تـراى
بأقصى الشام زودني بكـا
وما عبر الصبا النجـدى الا
وامطر ناظرى دما ومـا
وأكسبني الهوى العذرى هـما
وسقما لا أرى لهمـا دوا
وأمرضني الطبيب فيما لقـوم
طبيب زادني بـدواه داء
فيا للعاذلين وطول عذـلي
جعلت لمن أحبهم فـدا
أكاتم عنهم العـبرات وجـدا
وادرا السـلو لهم رـيا
مضت أيام جـيرتنا بنجـد
فأصبح كل ما وهبت هـما
أنكرى الاخا بغير جـرم
علام وفيم تنكرني الاخـا
فدعني والذين أرى حياـتي
وموتي بعدما رحلوا سـوا
بحقك هل سألت طول نجـد
فلم يجدوا لفرقتنا التقـا

وهل لك بالخبا المضروب علم
فتعلمني بمن ضرب الخبـاء
وكيف أسائل الركبان عمن
أقام بذى الأراك ومن تنـاء
وفي أكناف طيبة هاشمـي
تصرفه الساحة حيث شـاء
إمام المرسلين ومنتقاهم
حوى الخيرات ختما وابتداء
تناهى كل فخر في فخرار
ولم نلق لفخره انتهـاء
ويستمر الشاعر فيذكر أسراءه ومعراجه فيقول :
كفته كرامة المعراج فضـلا
بها في القرب ساد الانهـاء
سرى من مكة ببراق عز
لأقصى مسجد وعلا السـاء
فسربه الملائكة ابتهاجـا
وصلى خلفه الرسل اقتـداء
وكلم ربه من قباب قوس
وألهم في تحيته الثنـاء
فقال الله عز وجل سـلني
فلست أشاء الا ما تشـاء

خزائن رحمتي لك فاقض فيها
بحكمك لست أمنعك العطاء
وشفعه الاله بكل عـاص
وكل مقصر يخشى الجـزاء
وبعد هذه الأبيات يذكر كريم أوصافه عليه الصلاة والسلام من
شجاعة وجود وكرم وكمال ثم يختم القصيدة بالتضرع والشكوى من كثرة
الذنوب فطلب الغفران ثم الصلاة على الهادي البشير ..
هذا وقد ضمنوا قصيدة البردة لكعب بن زهير وشرطوها وخمسوها
وسبعوها .. ونختار من تضمناتهم تضمين الشاعر السدغاني محمد أنيس
لروعته وبلاغته .. ولنستمع الى ألقائه في ذلك :

بريم رامة قلبي اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول
ترنو بغاترجفن ليس يشبهها
الا أغن غضيض الطرف مكبول
تريك قامة غصن البان مائسة
لا يشتكي قصر منها ولا طول
هي الشفاء لدا الصب لو صدقت
يشفي مضاجعها شم وتقبيل
تفترعن برد عذب في مجاجتسه
كأنه منهل بالراح معلول
لا يسك القلب حبا غيرها أبدا
الا كما يسك الماء الغرابيل

بعد الصدود لعمري لا يقربـــــــــــــــــه
منك العتاق النجيبات المراسيل
أوماخرات سفين من دواخنها
للجوغم على الأرجاء مشمول
لكن أقول لطيف الخود من ولسه
لا الهينك اني عنك مشمول
بحب خير الوري طول الزمان ولو
أنى على آلة حدباء محمول
لعل عفو رسول الله يدركنى
والعفو عند رسول الله مأمول
يا سيدى انى حلف لحبكــــــــــــــــم
هل حبل وصلني منك الدهر موصول
لا عطل القلب من حبي لكم أبدا
ولا من المدح نال النطق تعطيل
انى لأرجو نوالا منك يا أملــــــــــــــــى
ما فيه عند حديث النفس تعطيل
فلا تعذب سمي المصطفى أبدا
كلا وان كشرت فيه الأقاويل
وعلى هذا المنوال سار شاعرنا في تضمينه فامتزجت أبياته بأبيات
كعب والتحمت معها التحام الروح للجسد ، وفي الختام يقول شاعرنا :
قفوت كعباتها في مدحكم ولكم
للفضل جود على العافين مــــــــــــــــذول

بمدحكم نال كعب بردة فمسي
تنيلني بردة فالفضل مأمول
ورؤيتي وجهك الأسنى تبشرني
بقولكم أنت محبوب ومقبول
ثم الصلاة على الهادي وعترته
ومن عليه بيوم الحشر تعمول
وهناك شاعر نيجيري خص البردة وهو الأثير محمد بللوهين عثمان
ابن فودي يقول في التخميس :
يا دارأخت لسلمي وهو عاقول
أقوت فهام فؤاد وهو مذهول
وهل لصب نأه الصب معقول
بانت شعاع قلبي اليوم متبول
متم اثرها لم يقد مكبول
من قهوة الدن في موشوق أوعمة
لا قهوة البرتسقى وسط أندية
وكأسها ان ادبرت كأس تهنة
شجت بذى شهيم من ماء محنية
صاف بأبطح أنحى وهو مشمول
لا تلفتن لموعود لها عقلت
واحذر مكائد كادتها وما عسدت
فانها أبدا عذارت وجسدت
فلا يفرنك ما منت وما عسدت
ان الأمانى والأحلام تضليل

فيا خسارة من موعودها قبلا
وغلن أن مرادا منه قد حصل
كان ميعادها طيف الخيال جلا
كانت مواعيد عرقوب لها مشلا
وما مواعيدها الا الا باطيل
عقارب العشق في الا حشا تلدغها
والقلب بغيته فيها يسوغها
شطت نواها وأنى لي يبلغها
أصت سعاد بأرض ما يبلغها
الا العتاق النجيبات المراسيل
لجت بمعادا وشطت وهي سائرة
والنفس رهن لديها وهي غادرة
حلت بقو عن الثلما صادرة
ولن يبلغها الا عذافسرة
فيها على الا من ارقال وتغفل
يا رحمة أرسلت للناس فيه أمسل
لكل راج وان هو قد أساء عمل
يا أكرم الخلق جد بالمغفوات أهل
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال
قرآن فيها مواعيط وتفصيل
وعلى هذا المنوال سار شاعرنا الى أن ختم التخميس بالتضرع الى
الله وطلب المغفرة ثم الصلاة والسلام على رسول الله وعترته وصحابته.

أما ميمية البوصيري الموسومة بالبردة فقد شطرها الشاعر السنغالي
الشيخ محمد محي الدين كشمه ، وهذه نماذج من هذا التشطير الذي
يبلغ ثلثائة وأربعة وثمانين بيتا :

أمن تذكر جيران بذي ســــــــــــــــلم
قد بت ترعى نجوم الأفق لم تتسم
أم من طعمين نأت والخوض تحملها
مزجت دما جرى من مقلة بسدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
فهاج شوقك هوج الريح للعلم
أم جاورت أضما سدمي وجيرتها
وأومض البرق في الظلماء من اضم
فما لعينيك ات قلت اكفاهمتا
على الشيا بدمع جبار كالديم
تحكى البلية قل لي ما بليت به
وما لقلبك ان قلت استغق بهم
أحسب الصب أن الحب منكتم
والدمع يقطر والاحشاء في ضررم
هلا اعترفت بوجد شاع كامنه
ما بين منسجم منه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دما على طلل
ولا أنت لبرق ضاء في ظلم

ولا شباك غناء الورق ان غردت
ولا أرقى لذكر البان والعلم
ولا أعارتك شوي عبرة وضنى
طوارق نون والظلماء كالفحس
ولا أثارتموم القلب ان سكنت
ذكرى الخيام وذكرى ساكن الخيم
كم حسنت لذة للمرء قاطنة
والخسرفي نعم تغضي الى نغم
قد كان يخبأ في طيب الطعام أذى
من حيث لم يدر أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع
دع الفلو من الأمرين واغتنام
ان قيل فالجوع عند البعض يخذل
فرب مخمصة شر من التخم
وخالف النفس والشيطان واعصهما
كلاهما غير ما يردك لم يــــم
اياهما لا تشاور كن على حذر
وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما
بل كن مطيعا لخصم الخصم تستقم
الخصم يكر والقاضي يساءده
وأنت تعرف كيد الخصم والحكم

محمد سيد التكونين والشكليســــــــــــن

ن من أتى مدحه في النون والقلم

المنتقى سيد السكان للحرمــــــــــــى

ن والفريقين من عرب ومن عجم

نبينا الأمر الناهي فلا أحمــــــــــــد

من دون تصديقه بنجوم النقم

ولا شك أن التشطير جاء جميلا رائعا وان تقاصر عن جمال

الأصل وروعته ..

وبعد ، فان موضوع المدائح النبوية يرجع الى تراث قديم منذ فجر البعثة المحمدية وعلى هذا فان الشعر العربي في غربي أفريقيا الذى تناول هذا الموضوع لا نجد فيه شيئا من التجديد الذى يستحق الذكر والاشارة بخاصة من حيث المضمون ، لأن الشعراء الذين تناولوا هذا الفن وجدوا أمامهم تراثا ضخما من القصائد يزخر بها الأدب العربي منذ عصوره القديمة .. وقد شد هذا التراث الشاعر الأفريقي لمكانة المدوح في قلبه فانكب عليه انكباً كلياً واعتبره معين ثقافته الذى ينهل منه أفكاره ويستقي منه أدواته البيانية. وظل يَجُولُ في فلكه فلم نجد له تجديدا في هذا الموضوع يذكر ، والأمر الذى يمكن للباحث أن يفتش عنه من حيث التجديد ، هو اصالة الشاعر وتفرده من حيث العاطفة الروحية والتدفق الأسلوبى ..

أما الجنس الشعري الثاني فهو الشعر التعليمي ، وقد أكثر
القوم فيه اكثارا وأجادوا في جميع ميادين السئلة في الزهد والوعظ والارشاد
ونظم العلوم الاسلامية ، من نحو وصرف وفقه وحديث وسيرة وتنجيم ومنطق
وعلم كلام .. وقد نظموا هذه العلوم تسهيلا لطلب العلم في عملية الحفظ
والتذكر ، اذ ان الكلام الموزون المعقن ذا النفسة والايقاع أسهل في الحفظ
من الكلام المنثور ..

ويمتاز شعرهم التعليمي عن شعرهم الغنائي بلغته السهلة الشعبية
القريبة الى الافهام ، وقد جنحوا الى السهولة حتى يتسنى لهم الوصول الى
الغرض من هذا النوع من الشعر وهو التعليم ..

وها هو ذا محمد يلو في احدى ارشاداته يقول :

وكم عشت في غرة وعماء

وجهل ولهو وأنت صبي

ألا فانج واسلك سبيل الرشاد

ولا تسه عما يقول الحفص

من ازداد سنا ولم يكتسب

علوم التجارب فهو الغيب

ومن نال علما ولم يكتسب

به عملا صالحا فغوى

ومن نال عزا ولم يفتخر

ولم يتكبر فذاك السرى

ومن نال علما ولم يستظاها

به ويجادل فذاك الرضى

أجار في ديباجته وعرض هذه الأفكار في قوالب سهلة لا تكلف فيها
ولا تعقيد ..

وله أيضا في الوعظ والارشاد الأبيات التالية :

فافزع لله الحق ولا
تأس من روح المقتدر
أحسن ظنا وبه فتقنا
كما يكفيك من الضرر
نفحات الله لها أرج
تأتي باللطف وبالظفر
مهما اشتدت بك نايبة
فعليه توكل واصطبر
عل المولى من رحمته
يأتي باليسر على الأشر
اشغقت وربك مقتدر
وبسالف عادته اعتبر
لا تقنط وارح فضائله
فأمور الله على قدر
عجلا يأتي فرج بهج
الراجي منه مدى العصر
سل ربك لا تسأل أبدا
غير المولى دفع العسر
رب من عان بجانبه
يكفي من ظلم أولى الأشر

يأس من رحمة خسر
بل كفر فض للسقـر
سبحه وهلل واعتـرف
ينجيك من الكرب الخطـر
راج من فمض فواضلـه
بمقين القلب المنكسر
أترأه يضيع راجيـه
كلا فالعسر مع اليسر

فالآيات السابقة كلها تدل على الروح الدينية التي تشبع بها
الناظم ، إذ يمكننا استخراج معنى كل بيت من أبياته أو جلها من كتاب
الله العزيز . . فقله في البيت الأول مستطعم من قوله تعالى :
﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . . الآية ﴾ (١)
وأبياته أيضا مليئة بحقائق التوحيد الخالص كعدم الاستعانة بغير
الله ووجوب التوكل عليه في النوائب والطمات . .

وللوزير الجنيد قصيدة تعليمية في الوعظ والارشاد يقول
فيها :

ألا يا أهيل العصر أين انسيابكم
كأنني بكم والموت والله قد نزل
نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم
وآثرتم الدنيا فآلهاكم الأمل
غفلتم عن الآخرة ولم تتفكروا
صروف الردى في الغابرين من الأول

وقد عمروا الدنيا كتعميركم لها
وأكثر من تعميركم ومن الحيميل
وهم منكم أغنى وأكثر قوة
وأطول أعمارا وفي عظم الدول
فلم يلبثوا حتى أبادهم السردى
فصاروا أحاديثا وضربا من المثل
منزلهم أمت يبابا كأنهم
لخولة بالاجزاء من اضم طلل
وكم من قصور شامخات تبدلت
(١) قصور من الآجام يرمى بها الحجل
ولم يأخذوا شيئا لكي يتزودوا
به بل أضاعوا العمر من قلة العمل
ولم يفتنهم مال ولا ولد ولا
حميم ولا من شج منهم ومن بذل
ألا اتعظوا واستيقظوا وتنبهوا
فقد آن وقت الاتعاظ لمن عقل
فعمزتكم بالله لا غير فاعلموا
ومن رام عزا من سواء فذاك ذل
ألا فانصروا الاسلام وفق استطاعة
يقول وفعل موقظين لمن غفل

(١) الحجل : الذكور من القحج أو اناث اليعاقيب .

ولا تطعموا في العزالا بنصره
فطوبى لمن في نصره قام واشتغل
وبالله لوزوا واستعينوا بنصره
فما خاب من أسي عليه قد اتكل
أيا ربنا يا مالك الأثر كله
اليك لجأنا فاكفنا السوء والوجل
ولا تخزنا دنيا وأخرى وبرزخا
وتب واعف وارحم واغفر الذنب والزلل
أجبتنا بجاء الهاشمي محمد
عليه صلاة الله ما صيب هطل
ولا تتركنا للعدو وكبهده
واسبل علينا الستر عن سبي العمل
ونزه فتؤدى عن وساوس شدة
علي اشغني يا كاشف الضر والعلل

وبمثل هذا التضرع استمر الشاعر الى نهاية القصيدة . . .

على أن الشاعر في مواعظه متأثرا بأسلوب القرآن الكريم في الدعوة
الى اتخاذ العبرة والعظة من الأمم البائدة من عاد وثمود وأصحاب
أبكة وقوم تبع وفرعون وقارون وهامان وغيرهم . .

وللشيخ الخديم أحمد بجه منظومة طويلة في النصح والارشاد
نقتطف منها هذه الأبيات :

واعلم بأن من أهى التعلما
وقت صباه سلاقي ندمنا

اذ كل من لم يتبادر للعلوم
مع تغرغ لها قبل الهموم
فلا ينال غالبا مطلوبه
منه وليس يحتوى مرغوبه
اذ مدحوا تعلم الصغار
بكونه كالسفنش في الاحجار
وشبهوا تعلم الكبار
بالكتب فوق الماء في الآثار
واعلم بأن العلم لا ينال
الا بحبس النفس عن قيل وقال
ولا ينيل بعضه الدهر أحد
ما لم يهب له الجميع واجتهد
فأعطه بلا نزاع كلكما
فليك اسهر ولتجوع بطنكما
ولتجمع الهمة فيما تطلب
بلا التفات لسوى ما يجب
ولا تؤخر التعلم ولا
تكن مسوفا به دهرا الى
تفرغن من جملة الاشغال
ان رمت أن تلحق بالرجال
فان للدنيا هموما تمنع
من الهدى وهي لا تنقطع

والموت يأتي بفتة وربما
يكون ذا شواغل مخترما
واجتنبن ضحكا وفرحا وصخب
أمام شيخك اذا رمت الأُرب
فقد ذكرت جملة من الأُرب
تقضي لمن لازمها كـل أرب
فهذه الأُربات السابقة تحتوى على نصائح لا يستغنى عنها
طالب العلم . . وتتسم بسهولة ألفاظها وحلاوتها ما يقرب فهمها إلى
أبسط الطلاب .
وهناك منظومة طويلة للشيخ الفقيه عبد الله بن علي القرشي
القطار تحتوى على خمسين وثلاثمائة بيت مقسمة إلى ثلاثة عشر فصلا في
الوعظ والارشاد ، يقول في الفصل الثالث بعنوان " في عتاب النفس " (١)
خذ في عتاب نفسك الأُمار
فانها غدارة غرارة
فدمها من أشرف الخصال
وبرها داء بكل حال
ليست على حال تدوم أبدا
ترتع في روض هواها سرمد

(١) قصيدة ذات الحكم مخطوط -

من اغتدى لنفسه محاسبا
ولهبواه والمدو غالبا
أصبح ما بين الوري أميرا
وكان فيه سميه مشكورا
خالف هواك تنج منه حقا
والتفس والشيطان كي لا تشقا
ذل النفوس عزها فصنهما
بالذل في الله وصد عنهما
نفسى عما سرنى تدافعا
وهي الى ما سرنى تسارع
قد أسرتها شهوة وغفلة
تنكر شيئا ثم تأتي مثله
كأنها ناصحة بعدلها
وهي تريش للخداع نبلها
سيئة التدبير أنى أقبلت
أودهرت أو ان نهت أو أمرت
أزجرها ولا غنى ساعة
تدرع الكبر وتنسى الساعة
تظهر خوفا بينا بين الورى
فان خلت فلا تسل مما جرى
وتزدهيها مجيها بجهل
وتزدرى أفعال أهل الفضل

كسيف السبيل في النجاة وهي في
فلك هواها تجر ربح الطف
قمن جنا حسابها فقد ظفر
ومن جناها غلة فقد خسر
وفي الفصل الرابع بعنوان " في الموت " يقول :
قدم ليوم العرض زاد المجتهد
ثم الجواب للسؤال فاستمد
تطوى المنايا المرطيا طيا
وأنت لا تزداد الا غميا
وقد تولى ثم لم تقض الا رب
والموت قد جد سريعا في الطلب
فلا تبت الا على وصيته
وانها عاقبة مرضية
الام تسمى للخطايا صائبا
وقد مضى عرك نهبا نهبا
أصلك والفرع معا قد سبقا
وأنت ما بينهما ترجو البقا
هيهات لا بد من النـزوح
حقا ولو عمرت عمر نـزوح
ومن حلول القبر عزما عزما
ومن سوال الطكسين حتما

ومنزل ما بعده مستعجب

الا النعيم والجحيم المرهب

فألفاظ الشاعر سلسلة عذبة رقيقة سهلة شديدة القرب إلى
الأنفهام ... وفي الفصل السادس بعنوان " التقوى والخوف " يقول
الناظم :

أفضل زاد المرء تقوى الله

سبحانه جل عن التناه

عليك بالتقوى وكل واجب

وترك ما يخشى وشكر الواهب

وكن لأسباب التقى ألفا

واعص هواك واحذر التعنيفا

فالفقر من تقواك شر الفقر

وشر ما ادعت درع الكبر

رام نعيم من جنا المراقبة

وقدم الخوف وراع جانب الله

زين الفتى خوف ومعرفة

وشينة جوف وفرج تبعها

فالخوف أولى ما انتظر أخوال الحذر

واعتقد الصمت ودع عنك الهذر

لو أن ما استملاه كاتبا

بأجرة منك ختمت فاك

كل كثير النطق جهلا قائله
والصمت حكم وقليل فاعلـه
طول اللسان يهلك الانسانا
والصمت علم يعقب الايمانـا
عسى يوديك الى السلامة
أفضل من نطق جنا الندامـه
وللشيخ الحاج منصور سه في النصـح والارشاد الابيـات
التاليمه :

أخي أعزني بأذن القلب مستمعـا
يفدك من كان في الاحوال نقادـا
من حكم من قد أرت في نظمها دررا
تكون أفضل زاد ان تـرد زادا
ورأس مال الفتى عقل ومعرفة
وان هما فقدنا حقا فقد بادا
دع معشرا حجبوا عن ربهم وعموا
ملازما عارفا في الله منجـادا
حب الرياسة دع ان كنت معتـبـا
بما اعتنى القوم في مولاك مقصـادا
والقوم هم حيثما كانوا على حذر
خوفا باخلاصهم سلبا وأبـعـادا
للكرابليس أضحي خاسئا حسـرا
ونال قابل منه الدهر أصفـادا

لا شيء في الدين بعد الكبر أفسد من
حقك ولاتك أهل الفضل حسادا
من أثر العرض الدنيا المعرض للـ
فنا فقد جاء بالخسران الحادا
ولا تسيء أدبا بالله وأرض بما
جرى به الحكم امضا واشهدا
فكل ما شاء في الكون صاح يكن
كما اقتضى وقضى حكما وإيجادا
سلم عليه قياد النفس واسترحن
عن المعونات تسلم نعم من قادا
من يعرف الله حقا ليس يزعمه
شيء سواه وينفى عنه تعدادا
أن كل ما كان مقدورا فليس لـ
فوت وما لم يقدر فات إيرادا
أن الفتى من سما نحو العلى ودنا
يوحد الله توحيدا وإيرادا
ويقطع الوقت قبل القطع منسلكا
(١)
مدارج الحق عن دنياه زهادا
وعلى هذا النحو من النصح والإرشاد استمر الشاعري ثلاثين
بيتا على بحر البسيط في لغة رقيقة سهلة..

ولعل من أحسن ما قيل في الزهد وحسن الاخلاق قصيدة الشاعر
النجيري محمد سنو بن أبي بكر التي ضمنها المقامد الوعظية التي
حوت أغلبها لامية عمر بن الوردى المشهورة التي يقول فيها :

اعتزل ذكر الاغاني والغزل

وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكرى لآيام الصبا

فلايام الصبا نجم أفـلـ

واترك الغادة لا تحفل بهـا

تمس في عز رفيع وتجـلـ^(١)

فيقول شاعرنا :

من لذى عين نفي عنه ليالـي

لذة النوم له طيف الخيال

يتمنى الوصل من محبوبـه

لم يزل سكنها فوق الرمال

تشبه الدر وأولاد المـهـا

والدراري وأولاد الغـزال

وتراها غصن بان ناعـم

مائل في كف أرياح الشمال

(١) الكشكول ج ١ ص ٣٠٦ ، بها* الدين العاطي ، تحقيق الطاهر أحمد
الزاوي ط / دار احيا* الكتب العربية .

واذا ما نلت منها نظــــرة
أو دنوا تحت أستار الكلال
خلت بدرا شق أذيال الدجى
حوله الأنجم شدت بالحبال
ومتى ما وعدتنا موعــــدا
كان ذاك الوعد لمعانــــال
مالها تتجزنا ما وعــــدت
أتقى بالوعد رهات الحبال
وترى الغدر عليها واجبــــا
والوفا بالعهد ضدا للحلال
استعيذ الله من غــــدارة
تقتل المحبوب قتل الاغتيال
استحلت دم مسكين شــــوى
قمر سجن الحب منها في العقال
تلك دنيا لا تكن مفروها
ان من غرت لمسكين الرجال
لا يكن همك في شيء ســــوى
ما يفيد العيش أو خير المــــال
ليس للانسان الا ما سمــــى
فليكن سميك احسان الفعــــال
خالق الناس باخلاق الرضــــا
واحسان والا باعــــتزال

كف عن أُمُرا إذا ما اشتبهها
تتج من خوض غارات الوبال
واكظم الغيظ ولا تغضب على
طيش جهال هم أهل الضلال
ولباس البر والتقوى البس
وتعمم بحميدات الخصال
ان خير المال ما أنفقتَه
ابتغاء الله من مال حلال
ومن الايمان اسماك الانى
عن جميع الناس مولى أو مال
وأذى الجار اهتمد عنه وان
هو آذاك فقابل باحتمال
والأمانات احفظتها لا تخن
أوف بالمعهد تكن خير الرجال
كف عن مرتع ظلم واعلم
أنه مرتع ندم ووبال
وعلى الميعاد حافظ وليكن
كل أخلاقك آداب الكمال
وحياء وسخاء ورضا
بقضاء الله مع صدق المقال
ودع الكبر وأنواع الريا
وكذا الحسد وأنواع الخيال

واحسن النفس على مكروهها
وعن الشهوات تنج من تها
ليست الزينة بالاثواب لا
انما الزينة أخلاق الرجال
وابتعد عن تراه خائضا
لجة العارجرى لا يبال
صل يا رب على خير الورد
ما طما البحر بموج كالجمال
وعلى أصحابه أهل التقى
وكذا آلهم هم خير آل

ويلاحظ أن الشاعر قد قسم القصيدة الى قسمين ، القسم الأول
منها يتحدث فيه عن الدنيا ويصورها بالمرأة الحسناء بارعة الجمال
فاتنة الالفاظ تخلق القلوب وتأخذ على مجاميع العقول بنضارتها
الباهرة وجمالها الخلاب غير أنها غدارة غارة مكارة خداعة .. فهي
خضراء الدمن ينبغى على العاقل البصير الاعراض عنها واجتنابها حتى
لا يقع في شرك غدرها ومرصاد مكرها ..

وفي القسم الثاني حث وتحريض على حسن التحلي بالصفات
الحميدة والخصال المحمودة والتخل عن الصفات الذميمة والبعد عن سفاسف
الأمور ..

وواضح أن الشاعر النجيري الزاهد كان يحتذى في أغلب معانيه
على ابن الوردى في لاميته الرائعة كما سبق أن أشرنا .. وفي البيت

الثامن من قصيدة سنبو ما يشير الى قراءته لشعر عمر بن أبي ربيعة في قوله :

ليت هندا أنجزتنا ما تعهد

(١) وشفت أنفسنا ما تجهد

على أن شاعرنا قد نجح الى حد بعيد في ديباجته وحسن نظمه وكريم نصحه الذي يسهل فهمه لغته الشعبية السهلة ... أما صدى الدين في أبيات القصيدة فأجلى وأوضح من أن تحتاج الى بيانه فبادرنى نظرة فيها يضع القارىء يده على مواطنها من القصيدة ..

ويتصل بالشعر التعليمي المنضومات الحكيمة والارشادية للأديب البرناوى النجيمى أبي بكر المطبق بالمسكين، وقد أجراها مجرى الحكم والامثال على نحو قوله :

أبنت للطبيب عين دائي

لأن ذا أدعى الى شفائي

ومن تمنى أن يكون أكرما

فليترك الله يكن مكرما

ومن أطاع النفس والشيطان

أضاع حق الله والاخوان

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٢٠ تأليف محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ١ / مكتبة المدني ، مطبعة المدني القاهرة .

ومن يبيع آجله بما جـلـ
يبوء بخسر عاجل وآجـلـ
اياك اياك وخضراء الدمن
فانما الدنيا بلايا وفتن
وانها اخذع من سـراب
وطالبوها أخسر الطـلاب
كل قضاء فله جـلاب
وكل درفله حـلاب
من غش عن معائب الاخـوان
جفنا برالستر من المنـان
لا تغش يا صاح من العيـوب
ما ستر العلام للغيـوب
ان جاءك الفاسق بالانـباء
فلتبينه الى انقـضاء
واعلم بأن من سعى اليكـ
لا بد أن يسعى غدا عليكـ
وكم غني بات أفقر الـورى
وكم فقير ظل أغنى من يـرى
اذا هفا أخوك فاعف عنه
أوقطع الحبل فأوصلنـه
وقد يكون للحسام نبـوة
كما تكون للجواد كبـوة

ولا تمدن الى المعالي
يبدأ تقاصرت عن النوال
فجوعن كليك يتبعك
ولا تسمنه فيبتلعك
عليك بالجوار قبيل السدار
قد يؤخذ الجار بذنب الجار
ونزهن نفسك عن خسائس
وجنبن قلبك عن دسائس
وموت زمرة من الأشراف
خبر من ارتفاع نذل جاف
واعمل لدنياك كباق أبدا
واعمل لأخراك كمالك غدا
واصبر لكل ما أتى الزمان
به فعقبى صبرك الأمان
إذا رأيت عبرة فاعتبر
وانما الدهر وعاء العبر
صنائع المعروف لله تقى
مصارع السوء لكل متقى (١)

(١) جامع الأمثال والحكم الفائقة المثال ص ٢ - ٨ مخطوط ، وقد أعطاني الشاعر الجزء الأول من الديوان مصورا ولا يزال عندي . .

وعلى هذا النسق الجميل جرى الشاعر في نصحه وحكمه البليغة
وأمثاله الرائعة .. ومعانيه في هذه الحكم والنصح أغلبها مطروقة ...
ونفحات الدين فيها أريجة وهويكاد يقف شعره كله في النصح والارشاد
والحكم والأشال وله في ذلك ديوان ضخم .

وما هو إلى الشعر التعليمي بسبب منظومات شعراء العربيمة
في غربي أفريقيا العلمية ، وتختلف هذه المنظومات من حيث القلة والغزارة
باختلاف العلماء من حيث الضلالة والغزارة في العلوم التي يعالجونها
وينظمون مسائلها ..

ولعل أروع ناظم في هذا الفن وأكثر غزارة في مبادئه المختلفة
الشاعر النيجري عبدالله بن فودي الوزير الملقب بعربي السودان لغزارة
علمه ، فله منظومات كثيرة في التفسير وعلمه وأراجيز فقهية في العبادات
والمعاملات ومنظومات في أسانيده في العلوم التي درسها كالحديث
والفقه والتفسير والتصوف ، ونذكر له هنا منظومتين في النحو والصرف تحتين
الصرفية منها على ألف بيت سماها " الحصن الرصين " افتتحها بالآيات
التالية :

الحمد لله الذي تعرفنا

إلى عبادته بما تصرفنا

وأنطق اللغات في البسوادى

البلغيا اللسن الهوادى

وعم بالروائح الأبيادى

مع الفوادى المجتدى والجادى

اذ أرسل الرسول للعباس
يرشد هم مهاجع الرشاد
محمد سميد كل ناس
أفصح كل ناطق بالضاد
صلو عليه ذوالأيمادى الهادى
وآله وصحبه الزهاد
ما ناحت الحائم الشوادى
وصاح بالأنعام صوت الحادى
وبعد فالعلم له ريباض
وبينها الحياض والفياض
وحولها خمائل شعاب
وفوقها شواهد هضاب
غرعت من أصله أفنان
وانشق من دوحته خيطان
وهرز الأسرار للجميل
علم لسان العرب الرفيع
وهو سبيل الفهم للمعانى
في سنة النبي والقـرآن
قد اعتنى بحفظه عصابة
في كل عصرهم ذوو الاصابة
فأصلوا وأحرزوا دقائقه
وفرعوا فأبرزوا حقائقه

فأعربوا البعض على التصريح
والهضم مني على التوضيح
نهجتهم من أوضح المسالك
خلاصة ومنهج للمسالك
فريدة للطلابين كافيــــــــــــــــة
بشرحها بالارتشاف شافية
ثم صلاته مع السلام
على نظام جملة الأنعام
محمد نعمته آلت صيفــــــــــــــــا (١)
عباده فيها عليهم أسبقا
في الكرم الوجائز الجوامع
وصحبه غيوثنا الهوامــــــــــــــــع
ما قام بالنفس ضمير أعربــــــــــــــــا
عنه فم لسمع وقربــــــــــــــــا
واستعينه على نظــــــــــــــــام
جمع الجوامع البليغ السامي
على جميع كتب العربــــــــــــــــة
وشرحه الحائز للمزيــــــــــــــــة
همع الهوامــــــــــــــــع الروى المحيط
كلاهما للعالم السيوطــــــــــــــــي

(١) الت أي التي .

وربما أنقص أو أزيـد

لعلمة ونيل ما يفيد

وربما قدمت أو أخبرت

المقتضى راع الس ما اختبرت

لقبه إلى حوى روى السيوطن

وغيره ببحره المحيط

”الكلام في المقدمة“

ہنت فم صوت اذا حرف فـ قد

وما حواه لفظه ان لم يفهم

أولا فقولہ کلمۃ فی منفرد

فی زی اشتین جمله لولم یفقد

وما أُنْفَادُ فَالْكَلَامُ وَالْكَلَامُ

في ذي ثلاثتها وفيد ما التزم

” الخاتمة ”

أبياته زادت على آلاف

أربعة بمقصد توافق

الحمد لله وحلى الله

على محمد ومين والاه

ومن آله وصحبه غفران

وتابعهم على الاحسان ()

وللشاعر منظومة أخرى في العروض والقافية سماها : " فتح
اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي " .. هذا .. وللعالم
السندغالي أحمد بن أبي بكر عبد القادر آن منظومة في النحو
نظم فيها مؤلف ابن أجروم المعروف بالآجرومية نختار منها هذه
الآهيات :

قال الفقير التلوي أحمد
حفظه من الشرور الصمد
الحمد للجاعل في الكلام
النحو مثل الملح في الطعام
الرافع المؤ من بالأيمن
والخافض المشرك بالكفران
وبعد ذا فاني عقيدت
ما نشر الخبر وما وريئت
محمد هو ابن آجروم
تسهيل حفظ لذوى العلوم
سميته اعانة الطالب
في فهم ما خفي من الاعراب
ان الكلام عندهم لفظ غيـد
مركب بالوضع صن باستفيد
قد فسر الوضع بوضع العـرب
بعض ووضع العجم عنده أبـس
وبعضهم فسره بالقصـد
مخرج نائم بهذا القيـد

وهو على ثلاثة الأقسام
ترتيبها يأتيك بالتمام
اسم وفعل ثم حرف يجلب
لأجل معنى في سواء يطلب

.. هذا وقد قسم منظومته الى تسعة وعشرين بابا ...
ويتصل بالمنظومات التعليمية منظومة الوزير الجنيد النيجيري
في معاني بعض المفردات اللغوية يقول فيها :

أيا طالبا تفسر ما كان مشكلا
عليه ورام الحفظ خذ ما تيسرا
فظمياء أنشى زين فوها بسمة
ولشتها فافهم وكن من تبصرا
مظالم والاظلام ليس بكشفها
تحتاج لأن الأمر سهل لمن درا
ظبا السيف معروف وأما الذي ترى
بأسنان هند اسمه الظلم لا مرا
رويدك فاحذر من لحاظ عيونها

(١).....

ظلم على ذكر النعام نقول
وظبيك معروف فكن حافظ العرى
وشيطمك الغرس الطويل وظلنسا
ظليل وأحسن أن تذوق بها الكرى

وجانب لظن لا يدن منك شواظها
وذلك لهب لا دخان له عرى
لما ظك لعق باللسان على الشفه
تتبع أثر الأكل كن من تدبيرا
حظا انتفاخ اللحم أوجع حظوة
تأمل بما قد كان فيه مسطرا
نظرك أى مثل ومن أرضعت على
جزاء تسمى ظئر هذا لهاجرا
وظلفك للبقرات بل كل دابة
حوافرها مشقوقة خلفها ترى
مقدم ساق الرجل ظنوب اسمه
شظاظك عور في عرى الحمل للعرى
مظفركم فهو الموء يد فاستمع
ومحظورك ممنوع أمر على السورى
واحفاظكم اغضابكم من يسيئكم
حظيراتكم مأوى الدواب لتسترا
ويستمر الناظم على هذه الوتيرة في تفسير المفردات اللغوية
من الأسماء والأفعال التي فيها حرف الظاء في سبعة وأربعين بيتا على
بحر الطويل في لغته السهلة الرشيقة ..
وبهذه الأبيات السابقة نختم الحديث عن الشعر التعليمي
لدى شعراء العربية في غربي أفريقيا.. على أن الأصاله لم تخالفهم فسي
هذا الباب وقد جاء نتاجهم فيه على غرار نظيره في المشرق والمغرب
العربيين .

وبعد ، فقد رأينا كيف أن شعراء غربي أفريقيا قد تناولوا
معظم أغراض الشعر العربي التقليدية كالمدح والرشاء والغزل والوصف
والشكوى والحنين وشعر المناسبات والشعر التعليمي .. وترفعوا
عن الهجاء إلا فيما ندر ، والسبب في ذلك تغلغل الروح الدينية في وجداناتهم
وسيطرتها على شاعرهم .. ومن هذا النادر قول ابن المقدار يهجو
ابن عمه الحاج بكاءى سك عندما أهدى القوم إليه " فنال " (١) فردهم
حنين فلما بلغ الشاعر ذلك قال :

رد هذا الفتى " فنالا " فنالا

كل فار ان رد ذاك الفنالا

ترك العرض نهب كل لسان

وانثنى نحو ماله ثم مالا

فالفتى من يصون عرضا بمال

ما الفتى من يصون بالعرض مالا

وللقاضى مجخت كل يهجو بعض خصومه هـ

الأميات :

بما من درى أنه مخصص أشعارى

لما حوت من صفات الذم والعار

كفأك ذلك ذلا فلتخذه كما

في السجن قد نقته طورا من أطوار

(١) " فنال " هيكل يصنع من الخشب على شكل سيارة أو طائرة يضمه

أهل سائلوى في الأعياد ويقدمونه الى أحد وجهاء البلاد كهدية
وتهنئة للعيد ..

وصوت "ألكات" لا تتكر ولطمته
(١)
بين الأُزقة من دار إلى دار
فاغتم حيث القوافي سوف يحرسه
عن العرائس كلب عندنا ضار
هل تدعى العلم من جهل ومن حق
وأنت منذ دهور بائع سـار
وفي الفخر يقول ذو النون :
مالي أخاف عيون النجل ان نظرت
وانسى لا أخاف الفارس البطـلا
جماعة الشعرا يوما اذا اجتمعوا
فانما علمي فيهم أنا ابن جـلا
كم منكرا رام نقيي حين يسمع بي
لما رأيته إليه مقبلا قبـلا
ولا أرى من عدو شاتم سفها
الا وذل بعون الله وانسـفلا
ولا أبالي اذا ما الهول يطرقني
لطارق طار فوق الجـو أنـزلا
ويقول في قصيدة أخرى :
وقائنا مثل الرعود على العـدى
وأوجهننا مثل البروق اذا لـحـنا

(١) ألكات هو الشرطي باللغة الـولـفـمة.

وانا ملوك العشق بل امراؤهم

قد استخلفونا في البلاد وهاهنا

هذا وقد رأينا أن شعراء العربية بفربي أفريقيا قد اتكأوا في

صورهم الغنية في كثير من الأغراض التقليدية على القديم ، وقليل خروجهم

من ذلك . . كما التزموا نهج القصيدة العربية في أغلب قصائدهم

في تلك الأغراض . . على أنهم قد وشّحوا تلك الأغراض بوشاح الدين ،

فظلت الأصداء الدينية تلازم قصائدهم في جميع أغراضها الشعرية

وستظهر لنا تلك الأصداء بصورة أوضح في الفصول القادمة ان شاء الله

تعالى . .

الجزء الثاني شعراء غزني افريقيا

وبشمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : شعراء السنغال .

الفصل الثاني : شعراء نيجيريا .

الفصل الثالث : الملاحح المميزة للشعر العربي
في غزني افريقيا .

الفصل الأول :-

شعراء السنغال

يونس ذوالنون له :

هو يونس بن محمد ، من ذرية ألهمام يوسف سر ديه له ..

ولد في قرية تسمى " حابه " سنة ١٢٩٨ هـ - ٨٧٧ م ..

تعلم القرآن ومبادئ القراءة والكتابة في كتاتيب القرية ، ثم سافر
لطلب العلم الى كل من " فوت تور " و " موريتانيا " بعد أن طرّ شاربه ،
وظل ينتقل من هنا وهناك طالبا للعلم .. وأخيرا ألقى عصا التسيار فسي
رحلاته العلمية في مدينة " سان لوس " حيث تتلمذ على الشيخ أحمد أنجنك^(١) .
وكانت تربطه مع علماء عصره ورجال الدين عموما علاقات جيدة ، فمدح
كثيرا منهم ورث أغلب من مات منهم ، مثل الشيخ الزعيم الروحي للطائفة
المريدية في السنغال أحمد بمبه البكي ، وابنه " الحاج محمد الفاضل البكي "
و " ممر جاره بص " و " بل بص " و " محمد ابن ألهمام عبد القادر "
و " الحاج أحمد أنجاي آن " و " الشيخ ابراهيم جوب الأندري " و " فودي
كبه " المجاهد الأكبر ، و " الشيخ سعد أبيه " و " محمد بن المختار
البيدالي " وغيرهم .

توفي ذوالنون في مدينة " جيس " سنة ١٣٤٦ هـ - ٩٢٧ م تاركا

وراءه ديوانا ضخما يضم معظم أشعاره .^(٢)

(١) الأديب السنغالي العربي ج ١ ص ٢٣٧ بتصريف .
(٢) يوجد هذا الديوان في " إيفان " المعهد الأساسي الأفريقي بالسنغال .

ويعتبر ذو النون من أكثر شعراء العربية بالسفنال أصالة في الشعر . .
ويمتاز أسلوبه بالجزالة وجودة السبك وحسن النظم ، ونجده في
المديح خاصة وبقية الأغراض عامة يمتاز بالتدفق والسماحة والسهولة
وابراز علاقة الود بهمه وبين المدوح . . ويقف على الأطلال ويركب النياق
ويقطع الهواجل ويأتي في ذلك بمتوعر الألفاظ ما يدل على سعة معرفته
بأوايد اللغة وكثرة محفوظاته من الشعر العربي القديم ومدى تأثره بهذا
الشعر القديم الكلاسيكي . .

مختارات من شعره :

. . في مدح الشيخ الخديم أحمد بهبه اليكي :
مغنى سعاد عفته هوج العشير
وسقته واكفة الغمام المطرر
والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أحور
وترى مهاها البيض ترعى روضة
مطلولة نمصت بطن محسّر
أطفالها يرحن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب العرعر
أعمالها تستن في أوارها
ترعى خزامها وغض الأزهـر
وترى قلائص في تياثر ألها
فكأنهن سفائن في أبهر

غزلانها تقفو مدى ظلماتها
ان راعها صباحا زئير غضنفر
فالشوق لوزار الخلي أقله
نالت منه كسرة لم تجبر
فالشوق سهم للمشوق وسمه
لومس آسار الشرى لم تزار
قد كنت مبتدأ وغيرى في الهوى
خبرى ومعرفة غدت لم تنكر
أنا والهوى صبان حالت بيننا
محن تترجم حالة لم تسطر
من لي بروية من أحب وحالتي
أرهي فعلا من لقاء الفيقر
أعرض فؤادي هيمى عن طلل عفا
لم يبق فيه سوى المهي والجوهر
ونذر الربوع ومن بها قد حل من
فقد أوجعها الدور وتزدرى
نفحاتهن بكل سك أذفر
مهما شدا شاد أطن قدورها
كفصون بان غب ربح صرصر
وكرن شاد يستبيك كشادن
قد حف بالمزار شم المزهر

فالحمد منى يستهل غيومه
من يومنا هذا ليوم المحشر
فالشكر منى دائما يزاد ما از
دادت عطاياه التي لم تحصر
لله رب العرش جل جلاله
سبحانه من واحد متكبر
من حيث أطلقني وقيد في الهوى
غيرى وصير أبهرى لم تعب

... كونوا معي في مدح هذا المرتضى
شمس الفضائل ذى المقام الأكبر
ان شئت ذكره وأنت غيره
شتان بين مؤنث ومذكر
طلق الورى ان جئت ساحة داره
والقوم بين مهلل ومكبر
فالمادحون على جلالة قدرهم
لم يدركوا مضمار هذا الأشهر
طولت في مدحي وهم قد قصروا
شتان بين مطول ومقصر
قد كان عهدى عن جناب أخى الندى
الشيخ أحمد بحب عدة أشهر

فيمينه قد عمت في الجود حيت —

ن لم يميز يعمر من جمفر

وله حماسة ضيفم ومروءة

فاقت مروءة كل ندب خير

أما يتيم عند هذا الشيخ لم

يقهر وسائل جوده لم ينهر

محنى غدت منحا اذا عاينت —

أحبابه من عارف متبحر

ما مثله كسرى علا ومهابة

بل دون ماواه جلاله قيصر

فبنات نعش دون شمع نعاله

بل دون رتبته السهى والمشتري

بل لم يجي حبر بأدنى فضله

ان راح يزهر رقه من محبسر

هذا كلام صادر من كاتب

قد قام للفصحاء فوق المنبر

يطوى وينشر في ميادين اللغز

ما راق عيني منجد أو مغرور

يا ناسجا ثوب المديح وناظما

فقر الثنا فانظم لقلبي وانشر

وأرخ قلوبك في فنائى واستغفر

منى وراقب سر قولي الا زهر

من لم يدن لي جال في تيه الهوى
حتى يموت وذنبه لم يففسر
كم زيد عن حوض الهوى من عقى
فالشوق من عرضي يطن وجوهري
فتريك أقالمي بقاعا روضهم
يفتر بين مدرهم ومدنهم
نظما ونثرا يعجبان لمن غدا
يتلوها في مورد أو مصدر
ما حاك مثل ثياب مدحي حائك
في رقة المعنى وحسن المنظـر
بل ما حكى حاك بديعا مثله
بل لم يعنن في مر الأعر
وترى فوائد في ظروف حروفه
تبدى ثنايا بائع أو مشـترى
نفحات معناه ونسج بيانـه
كهـيـص در أو بهيـض العنـبـر
ألفاظه طنانة تغنيك عن
بدر غدت مكنوزة أو بهـدر
فلسان حال الشيخ أعلن أنه
يهي لها لعائل ولعوسـر
فالدهر يعلم أنه هو فـرد
وعلى حقائقه النهى لم تعـشـر

أراني بقائي بعد غوصي في الفنا
تعلق معنى كل أصل بفضلــــه
بنفسي أفدى نور ذات سهدتــــه
يشير الى باب الشهور وفصلــــه
تجلى لطور النفس حرفا فدكها
كلا شي * من اسم الجمال وفعلــــه
ونكر حال الدهر قلبا وقالبــــا
وكلفني ما لا أطيق بحطــــه
وقل للذى خلق الهوى لهوانــــه
ألا انما عز الهوى بعد ذلــــه
فصم صدى من لم ير العز والهوى
ويصفى الى نصح الخلي وعذله
فمن لغتي أودى بمهجته الاشــــى
وقاض قضاة الشوق أفتى بقتــــه
ولونال كل الخلق بعض غرامــــه
لهاوما وما بعض الغرام ككــــه
فتى قد سقاء الدهر في طي صرفه
جوى وكساء خلعة المتولــــه
الى شطر هذا الشيخ وجهك ولــــه
وسنّ حسام المدح من بعد سلــــه
ودع عنك أيام الصبا وادكــــاره
ودع ذكر حبي بالمذيب وأثلــــه

ورض طرف شعر للمعاني وعج به
الى منحنى حزن البيان وسهله
بصح بديعا كالجمان نفاسه
مقادا بحبل الوزن من بعد فتلته
بريك رياضا رقة وجزالة
على طرفي عقد الكلام وحلته
وصف جانب الاستاذ قص زمانه
سبيكة نو رالغيفض حزيت سبله
اذا اشتغل الاقران بالمال والفنى
تراه وجمع العلم اكبر شغلته
وكم من عدو جامد جامع الخنى
فهل يحلم الشيخ من داه ظله
وعلج^(١) كمجل غلظة وفضاظة
فلاينه حتى استفاد بوصلته
أعد جحيا للعدو اذا دعى
نزال وللشأوى نعيما ينزلته
وكم ماتح وافق قليب رجائه
فأدرك ما قد سره ملاسجلته

(١) علج : غليظ الطبع .

بكائية في صديقه ...

نشاطر الورق في أشجانها فغدت
دموع أعيننا تنصت كالقرب
ياناعيا قد نعى هذا الامام فقد
نعيت صنو اللقى والنحو والادب
من للقوافي التي تحكى اذا برزت
ماسم الروض أو كاس ابنة العنب
من للوسائل والاحسان للقربا
من للوسائل والاحكام والخطب
تهدى جزالة ألفاظ شعشمة
(١) كما ورد اذا ما شيب بالضرب
في كل معنى لطيف دق مدركه
(٢) أصفى وأعذب من لثم ابنة العرب
أست تدب دهب الراح ان تليت
للمستهام فيكسى حلة الطرب
يجيد حل المعاني المشكلات كما
يجود بالفضة البهضاء والذهب
تراه يفصح عن حميد خالقه
ما ليس يفصح عنها ألسن السحب

(١) الضرب : العسل الأبيض .

(٢) العرب : الكبير من الماء الصافي والمراد هنا : الخمر .

تاج لتيجان أهل العصر قاطبة
سمح الخليفة هبر طاهر النسب
فكم وكم زمر أمّوا منازلهم
فأصبحوا لكمال الأمان في رحب
آسى لذى سقم واسى لذى يتم
كاسى لذى عدم دراكه الطلب
شاف لذى وصب كاف لذى حسب
كاف لذى قرب يا أعجب العجب
قد كان مستغرقا أوقاته أبدا
في ربه وبه استغنى عن الطلب
من للرغائب بل من للرغائب بل
من للغنون ومن للبحث في الكتب
من للصلاة لدى مختارها أبدا
وتاليها ومن للشكر حين حبس
من للسلوك الى البيت الحرام على
نحب كغلك وفلك كن كالنجب
من للصلاة على المختار من مضر
من للنوافل والأزكار والقرب
ومن يزحزح عنا الكد ان عرضت
بوائق الدهر في أعوامه الشهب
قد كان أجرا من ليث وأجود من
غيث يفيض بلا شك ولا ريب

ان جاء منزله ضيف وضيفه
يفتر عن مسم براقصة الحبيب
سحائب المعفون مولا تغمره
فضلا وتكسيه من أبرادها القشب
لو كان يغدى فدهناه بأنفسنا
والأهل والآل والاخوان والنشب
قد كان يعباً بي في كلما أربى
وكان خير أب لي بعد موت أبي
اني أعزى جميع المسلمين على
وفاة سيدنا علامة الحبيب
الحاج أحمد انجاي المعتلى حسبا
بقية العلماء الكمل النجب
فما لنا بعده الا الرضى بقضنا
والله يرحمه فضلا ويستغفره
بحرمة العرش والكرسي والحجب
وبالملائكة الغر الكرام وبسبب
مختار خير الأنام الهاشم العرب

صباحة ..

لمن باللوى والرقمتين مغانني
عفاها سحاب دائم الهيمان
مغان بها القينات يلهي كرانها
مثالثها مشفوعة بمشسان
فرقرقن أجانا وأرقن أعينا
وأنزلن كل الشوق كل جنان
معارفها تشجي القلوب رنينها
فتتهزأغصانا قدود غوان
ودمعي قبيل اليوم أبيض ناصع
ولكنه في اليوم أحمر قان
يقولون لي نذر من هويت فاننسي
وربي مالي في السلو يبدان
ذوات الوجوه البيض والأعين التي
أشد بقلبي من وقوع سنن
يقول عدولي حين رق لحالتني
ودمعا من عينيه ينهمر
هوى قد رأينا هوانا بعينه
وما الشوق الا في هوى وهوان
هونا فهنا حين بانوا وانهم
قد استوطنوا مني أعز مكان
رأيت فواءى دائم الخفقان
ودمع جفوني دائم السيلان

رأينا الهوى عين الهوان فأصبحنا
قد اتحدا في الوصف والسريان
وما ضم مثلي في الصباية والهوى
ظروف مكان أو ظروف زمان
وما الشوق الا من معاني حقيقتي
وما العشق الا من يديع بهمان
أنا واحد الآحاد في كل مشهد
يمان من الا شواق والهيمسان
فشو بوب حالي دائم الفيضان
وخيل علوى دائم السندان
دمى ثم دمعي يجريان صباية
وسرى كمثل البرق في البرقسان
أيا من يباريني ولم يدر حالتي
فاني شامي وأنت يمانسي
وما أنا الا الشمس في عالم الهوى
ويعلم قاص ما أقول ودان
مغان غدت تطهي قلوب ذوي النهى
تريك ابتسا ما باهر اللمعان
تراهم سكارى ان ذكرت خصائصي
بخير كؤوس صففت ودنان
هم القوم لا زالوا بحوراً لسائل
فشأوهم قد كل عنه لسانسي

لقد وقعت منى فنون هواهم
وقوع سنان في حنان جنسان
أفاض علينا الله جل جلاله
بهم غيث ايمان وغيث أمان

أطلال ..

صفت لسعاد من يهرين دور
على أطلالها أسفا نـــــــدور
وقد كنا بها والعيش صـساف
وكاسات الهوى كنا نديـــــر
تجيب الصاهلات كران شـــــاد
يرن لنا كما يتلى الزبـــــور
وعهدى عن مساكنها الخوالـــــى
لها حجج وتلوها شـــــور
فأمسى الربيع لم يوه نس مـــــسا
به الا نثيم أو زئبـــــر
ولم يسمع لذي الأطلال الا
عواد أوبغام أوصفـــــر
يقول لسان حالي حين بانوا
ولم يبق الشفاء ولا الهربـــــر
فأين هنود هاتيك الفناء، بل
و أين أولئك الجم الغفـــــر

كأن الدمع مذ غابوا وغنسا
لفرط الحزن بير أو غدِير
بمعيد ورودهم صدروا وكم من
ورود بعده يتلو الصـدور
رعى الله الأُحبة حيث كانوا
فيسقى جمعهم ماء نصير
لقد نظموا قصائدهم عقورا
فدان لهم فرزدق أو جرير
أرى روادها الوارد روضا
أريضا ضمه رعى مطهر
لقد طابوا نفوسا حين كنا
لهم ندما وخارونا وخيروا
نرى الأُيام أعيادا ترينسا
هنا لم ينله أردشـير
لقد آروت رابع تى المغانى
روابعها فأشرقت القصـور
فمالت في خمائلها غصـون
وغنت في جوانبها الطيور
وأرسلت السماء مشعـجرات
فتبسم من حواليتها الزهور
فمن لي بالوصول الى غـوان
كأن وجوهن سنا بدور

بدور في الخدور وكم يسدور
تروق العيّن ضمتها الخدور
شمور كالشمور اذا تدلست
لقل اذن شعار أم شمور؟
وكنّت اذا ذكرن اسمي كأنني
طيك أو أمهر أو وزير
عسى أن يجمع المولى تعالى
جماعتنا هو المولى القديم
عسير مثل ما نرجوا ولكن
عسير عند مولانا يسير
فسوف تفي مواعدها جبار
فتطوى لي السهول وكذا الوعر
فتتهج القلوب اذا وصلنا
أما كننا فتغتر الشغور
فتركض في الفياقي والموامي
وتندك الجنادل والصخور
وانجاز الوعود غدا فروضنا
لعيس لا يغيّبها الفتور
كأن البید لما أن رحلنا
قراطيس وهن لها سطور
لقد خاضت سفائننا غمارا
(١) فساعدنا الجنوب أو الدهور

(١) الدبور : الريح التي تقابل الصبا والقبول .

ويطوون المراحل في الصحارى
فتذرع دوها (١) مير فعيـــــ
تراها كالصوامع ان ركبنا
ذراها فانحنيت منها الظهور
ولا تشكو ولو طالت وجاهنا
وأعمت مقلة الحربا الهجير
فتاتي لورأتنا يوم بننا
لتعلم أنني الجلد الصبور
تسامرني أمور في هواهنا
تكل له القوافي والبحور
لقد لفظت بي البيد البوالسي
فها هي لا تزور ولا تزار
فتاة غضة لو كنت زيرا
لذرت جنبها مع من يسزور
فها هي من نفور قد تولت
وعادات الحسان هي النفور
رأتني غير مأسوف عليـــــ
فخامر خاطري أمر خطير
أروح كأنني من فرط حزن
أسير أو كسير أو أجير
أيا ابنة مالك اني مشوق
اليك وأنت للعينين نور

صحابي لا تقيسوني بغيري
أحسب من يطير كمن يسير
يسير بشوقه قيس وانسي
على علات أشواقسي أطيير
وكم ليل تظل به نجوم
وتحت ذيوله مطر غزير
يضل سواد عينك في رجاها
فلا يهدي اذا ضل الخفير
أشق ثياب غيبه كأنسي
على حافاته شرر يطير
فتاتي انني لك جد صعب
عشوق والعليم به خبير
ويعلم ما أقول الخلق طيرا
ويعلم ما أقول سعيد نور
لقد قاسيت بعدك من شجون
يذوب لخوف وطعنها ثبير
سأمنح قادمك منكم الينسا
جواهر لا يجود بها البهور
سفائن جئن منك لهن مني
نفائس دونها الروض النضير
أمكن لي العبور على بحور
عراض ليس يقطعها العبور

أقول وعينك الحورا عبرى
أهذى عبرة أم ذا عبرى
أما الراقصات الى المعلى
وما حوت الباسم والخصور
وما للغيد من وصل مـروم
وصد دونه يعنى البصير
لأنت حياة روحى دون ريب
وذكرى القلب ان أزف المسير
سمي أبى لديك فحاذرى أن
تخاشنه الأذى ان تطير
اذا رخت نونا من هوانى
يكون هوى فيحصل لي السرور
اذا ما القينة الشباء غنت
غدت أوتارها شجني تشير
بأيدى فتية قد أنستنى
فأنستنى الخطوب اذا تدور
فأيام اللقاء لنا جنان
وأيام الفراق لنا سعيـر
بدا فتانهم وهم أسود
تصيد وهذه الفتيات حـور
على لباتهن عقود در حرائر جل كسو تها حـرير

حماسة ..

مالي أخاف العيون النجل ان نظرت
وانني لا أخاف الفارس البطـلا
جماعة الشمر يوم ان اجتمعوا
فانما علمي فيهم أنا ابن جـلا
كم منكرا رام نقصي حين يسمع بي
لما رأني اليه مقبلا قـبـلا
ولا أرى من عدو شاتم سفـها
الا وذل بمون الله وانسـفـلا
ولا أبالي اذا ما الهول يطرقني
لطارق طارفوق الجو أو نـزـلا

ذات القوافي ..

شبابك فر وشيبك قـر
وعمرك مر فأين المـفـر
ذبولاً تجر كأنك عـر
وعيشك صبر وخيرك ضـر
تهيم ليكر لدى أنت بـدر
وريقك خمر وثغـرك در
للهمو تخـر ومالك فكـر
وحلوك مر كأنك غـر
فعامك شهر وقلبك صـر
وذنبها تسر وسرك شر

فطورا تفر كأنك هــ
وطورا تضر ككلب بهـ
وأنت تسرلا^١ مر بهـ
ولست تقر لهذا المقـ
ولا تستقر لهذا المـ
ويكفي لحر شعير وبـ
ومن هو حر جميل السـ
لكان يفر لهول سقـ
أدر قلب بر بوجه أغـ
هوى قلب فر عنى فى صر
دموعا تدر لحزن يتـ
كصخر أهر أرتنى العـ
بروضى بهر^٢ سحاب مـ
به ما يسر لاهل الفكـ
فطورا أجر وفى السر حمـ
وفى القلب حر كوخز الـ
جديد كطهر ونظم كـ
وترب كتبر لقوم غـ
وحبر كبحر وسر كجـ
وطي كنثر لمن يدكـ
ازل كل كبر ونزه وكـ
إلهك واشكر لتالي الخـ

وهندی کمر و پسر کمـــــسر
 ونهی کأمر لمن قد کفـــــر
 ومن یکفهر دواما کقـــــدر
 کمن یقشعر أسی للقـــــدر
 یضر مضر وفي القلب مکـــــر
 ولم یک أمر لمن قد غـــــدر
 وکن من یفر لما فیـــــه وزر
 وذل وفقر شعار المصـــــر
 شیابک طهر وذا الرجز فاهجر
 ورافق وشمز قیل السفـــــر
 وبحر کبر ولیل کفجـــــر
 لمن هو حیریدا أو حضـــــر
 دواما ندر صلاة تقـــــر
 وعینا تمر لخير البشـــــر
 وآل نسر بهم ویســـــدر
 لنا کل بر و صحب و صبر
 تقاصیر شکر موائد یـــــر
 برائد نصر لمن یا تمســـــر
 ویردی طمر مکر مفســـــر
 بکل أهر علیه غـــــدر
 مدارس سر جحاجح غـــــر
 قلله درهم من درر

کواکب زهر موارد فخر

مصادر ذکر من المختصر

لهم کل برله طیب نشر

به مستمر لکل البشر

القاضي مجخت كل :

ولد مكل بن موسى الذى اشتهر فيما بعد بالقاضي "مجخت كل" في قرية "كرمكل" وقد نزحت أسرته من "انجابر" واستقروا في القرية المذكورة .

نشأ وترعرع في كنف والده ، وثقف عليه ويعتبر والده هو شيخه الوحيد .

وكان والده أول من أتى بعلم النحو الى "باكل" . (١)
وبعد أن طرشاربه انتقل من قرية جده "كرمكل" وأسس قرية سماها "عين ماضي" وكانت بينه وبين ملوك السنغال علاقات وطيدة مثل الملك "دميل لتجورجوب" الذى عينه قاضيا في بلاطه ، وقد أظهر في هذا المنصب براعة نادرة . وكذا الملك "عليه انجاي" و "بورسنتن" .

كما تربطه مع شيوخ وعلماء عصره الاكابر علاقات ودية . مثل الشيخ أحمد بيه تلميذه والشيخ الحاج مالك سه وأمام قابه جـنـج والشيخ أحمد شيخو التجاني المجاهد الباسل والحاج ماجور سسه وكذا الاكابر المستعمرون .

(١) الأديب السنغالي العربي ج ٢ ص ٤٨ .

القاضي والقضا :

يقال ان سبب تولية " لتجور " له القضا " هو أنه دعاه في بعض حوائجه ، فاستجاب الله لدعوة القاضي ، فأراد " لتجور " تقريبه اليه وجعله من خاصته فساهم القضا .

ومن أشهر أعماله القضائية فتواه بهوجب دفع الزكوات الى " لتجور " وذلك عقب عودته من " سالم " بعد وفاة الملك " تفسير مابه جنح " واعلانه نفسه أميرا للمؤمنين في " كجور " فاستمع كبار العلماء عن دفع الزكوات اليه فقاضهم الى القاضي " مكل جخت " وكان قضاؤه أن قال :

" اني قرأت في الكتب أن الزكاة تدفع للامام " .

ومن أبرز مواقفه القضائية التي تتم عن قوة شخصيته امتناعه عن دفع الزكاة الى الملك " دسب وارسل " فقد أرسل اليه ذات يوم حاجبا لجمع الزكوات فقال القاضي للحاجبي : قل لدسب وار لا أوتي الزكاة واني لساع في منع النهب والسلب باسم الزكاة . وفي ذلك نظم قصيدة عربية وَلُغِيَّتْهُ مَطْلَعُهَا :

يا حاجبا ساكنا حيث الأمير سكن

وَقَلَمَ ثَوْبَ فَبُورٍ تَبَّ اكْسَبَكُنْ (١)

ثم ذهب بالقصيدة الى الحاكم الفرنسي في " سان لوى " فمنع هذا النوع من السلب وأكد في المنع. (٢)

(١)

(٢) الأديب السدغالي المرهبي ج ٢ ص ٤٩ .

ومن مواقفه القضائية ما ذكر من أنه ^(١) : " ترافع اليه رجـلان
ذات يوم فأقام أحدهما الدعوى على الآخر قائلاً : فإن لي ديناً على
صاحبي هذا وفي وقت كذا تحت ظل شجرة كذا ، والآن أنكر عليّ الدين .
فقال القاضي لصاحب الدعوى :

اذهب الى هذه الشجرة وارجع إليّ بفحص منها ، أما أنت الذي أنكر
هذا الدين امكث هنا وابق وانتظر ، ولما خرج صاحب الدعوى خطا
القاضي معه بعض الخطوات ورجع الى مجلسه . وقبل رجوعه الى مجلسه
همس صاحب الدعوى " لا تذهب بل انتح زاوية وانتظر ، ولما طال الانتظار
قال القاضي بفتة :

ان صاحب الدعوى لبطي* لم يرجع الى الآن ، فقال من بقي في
المجلس : لأن الشجرة لبعيدة جداً ، فصاح القاضي نحوه " قد اعترفت
بالدين وأقررت بأن صاحبك صدق في اتهامه اياك وأن له ديناً عليك
انعقد أمام شاهدين ، الله والشجرة ، ثم دعا بصاحب الدعوة فقال له :
" لقد صدقت فالدين لك " . ^(٢)

ويمتاز القاضي بالذكاء* الحاد والشجاعة الأدبية ، والجرأة والفصاحة
وحضور الـيديهة وصفا* الذهن والعقلية القضائية والحرية العقلية والاعتداد
بشخصيته العلمية والأدبية ، وكان يحب التحرش بالعلماء* وناظرتهم وساجلة
الشعراء* . وكان نابغة زمانه في العلم والأدب والقضاء* .

(١)

(٢) الآداب السـنـغـالي جـ٢ ص ٨٣ .

وقد عاش القاضي في بيئة تعج بالقضايا السياسية التوسعية التي أدت الى حروب بين الملوك السنغاليين من جهة وبينهم وبين الشيوخ المجاهدين من جهة أخرى وبين المجاهدين والمستعمرين من جهة ثالثة : مثل جهاد " ألصام ما به جنج " وجهاد " أحمد شيخو " الذى حارب المستعمرين وقا تلهم قتالا ستميتا ، وكذا غزوات " دمل لتجور " التي كان الكثير منها من وحي القاضي الى هذا الطك الذى أولاه القضاء وجعله وزيرا وكاتبا وستشارا له .

وقد أوحى اليه القاضي بحروبه تلك لهديه الى الاسلام ، وكان " لتجور " مدينا للقاضي في أغلب انتصاراته .

ويبدو أن القاضي قد خاب ظنه في لتجور وخيب أمله في اتجاهه الوجهة الاسلامية المطلوبة . لذلك فقد رأينا القاضي المستشار يشمت بـ لتجور عندما هزم من قبل الجيش الاستعماري بقصيدة رائية مطلعها :

أصدق في ادعاء الدين " لتجور "

أم أنا همه في ذاك " كجور "

وما أن سمع " لتجور " بهذه القصيدة التي تفضح حتى توعد وهدد وعرض القاضي للقتل . ولم يكن القاضي من ينقصهم الذكاء حتى يقع في شرك " لتجور " فقد شفع قصيدته تلك بقصيدة أخرى أشاد فيها ببطولة " لتجور " وجعله ناصرا لدين الله في " كجور " وهازما لجيوش أعدائه ، فقال في مطلع القصيدة :

بشرى لقد شاد دين الله لتجور

فأحمي اليوم بالاسلام " كجور "

ولما قتل " لتجور " طلب القاضي من الأمير الفرنسي المودة الى " كجور " . وفي ذلك يقول أحد الباحثين : " كان " مجتاكل " الشيخ الشهير مستشارا حكيما للتجور وشيطانا مهلكا " .

وقيل انه لما قبل القضاء من " لتجور " كان يريد أن يجعل ظلم " جيدو " وقسا وتهم وهمجيتهم بعيدة من حدود الله ومبادئ العدل والمساواة والاخاء الاسلامية ، وان سعي القاضي في الرجوع بـ " لتجور " الى اقامة حدود الله قد لا م المستعمرين لأسباب أمنية وتجارية . (١)

القاضي والولاة المستعمرين :

حذر المستعمرون من ذراية لسان القاضي وتأثير قريحته التي طالما أيد بها طوك البلاد مثل " لتجور " و " طبرى انجاي " بمدائحهم لهم وساهمت الفعالة في الحروب التي دارت رحاها بينهم وبين الغزاة المستعمرين .

وقد عدوه زعيما دينيا ذا مكانة عالية وكلمة سموعة ، وهم من جربوا مرارة القتال مع رجال الدين في هذه المنطقة ، مما جعلهم يضطهدون كل زعيم ديني .

وقد حاول الفرنسيون اكتساب ولاء القاضي فعينوه قاضيا فخاب مسعاهم . فاستدعي القاضي الى " سان لوى " وهناك حددت اقامته ، فاحتج على ذلك بقصيدة ، الشطر الاول من كل بيت باللغة العربية

(١) الأديب السنغالي العربي ج ٢ ص ٥٧ .

والشطر الثاني باللغة الولفية ، وألقى القصيدة أمام الحاكم الفرنسي . يقول
في مطلع القصيدة :

هل من سبيل الى دارى وساكنه

يُولَا دَوْخَ وَيَمَهْ يَوْمِي فِتْلَ كُونِيَتَهْ

وقد عثر في الوثائق الوطنية السنغالية على خطاب القاضي الى
امير "أندر" في ١٤ من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٨٦م يقول فيها :
لم تمنعني من الرجوع الى دارى ؟ عشت عابدا الله وحده معلما
تلاميذى وأولادى حارشا حقولي .. طلب مني " لتجور " أن أكتب
رسالاته الى والي "أندر" ورسمت كل ما أملى علي بلا زيادة ولا نقصان .
لا فعلت سوى ذلك فلم أك مرتكباً شيئاً من السلب أو السرقة وما ظلمت
أحداً ، وانما أنا قاض بين الناس بالعدل لا غير" . (١)

ولم تطلع على جواب من أمير "أندر" على هذا الخطاب .

ومهما يكن من أمر فإن القاضي لم يكن منعزلاً عن أحداث مجتمعه
السياسية .. والاجتماعية والثقافية .

لقد عرف القاضي بسعة علمه وعلو كعبه في الفقه والأدب والتصوف .
ولم يأخذ عنه العلم الا قليل من طلبية العلم نوى الهمم العوالي
والعزم الأكيد ، لما عرف عنه من تشديد في مسلكه التربوي والتعليمي
الشاق نوى ثلاث شعب .

(١) الأدب السنغالي العربي ج ٢ ص ٦٢ .

فهو يهتمني بالطالب من الناحية العقلية والنفسية والدينية ،
وقل من بين طلبية العلم من يتحمل هذا السلك المثلث في التربية والتعليم ،
وخاصة اذا علمنا أن هذا المنهج التربوي الجيد يخالف ما درج عليه
معاصروه من العلماء الذين يهتمون فقط بإلقاء الدروس على الطالب ويهملون
ما سوى ذلك ، ولذا لم يكثر تلامذته غير أن القليل الذين تحملوا أعباء
منهجه كانوا جميعا من الشخصيات البارزة في مجال الأخلاق والعلم
والزهد والتربية ، ويكفيه فخرا أن من تلاميذه الشيخ الخديم أحمد بصة
الزعيم الروحي للطائفة الريدية في السنغال ، والذي عرف عنه الذود
عن حق الدين والذي أقض وجوده مضجع المستعمرين رغم أنه لم يكن
مجاهدا بالسيف .

وقد خلف القاضي لنا آثار علمية ، منها كتابه في علم اللغة والذي
سماه " العمين " ، وقد ضاع هذا الكتاب في مدينة " جيس " السنغالية .
كما ترك لنا منظومة عروضية تتألف من أربعة وثمانين وثلاثمائة بيت على
بحر الرجز سماها : " ممين الاشكال " ذكرنا نبذة من أبياتها في الشعر
التعليمي .

كما خلف لنا ديوانا سماه " مكنية " ويحتوى على خمسين قصيدة
وهو الآن عند العلماء الموريتانيين ، كما ترك لنا قصائد ولغية وأخرى
عربية ولغية . (١)

(١) راجع كتاب الأدب السنغالي العربي ج ٢ ص ٥١ .

ويمتاز القاضي بشاعرية نادرة ، كما يتسم شعره بالتدفق والانسياب
والتعبير التلقائي السهل ، كما تتسم ألفاظه بالسهولة والرقّة والبعد عن
الاغراب والتكلف مع سلامة التراكيب وجودة النظم .

مختارات من شعره :

" كشف النقاب "

أُصادق في ادعاء الدين لتجور
أم انما همة في ذاك " كجور "
مروه يذعن ويخضع للملوك مما
وهل يراز النصارى البيض مقدور
ما اهتم منذ شب الا باحتساء طلا
حتى مضى يومه المعروف في " لود "
ان جاء ، عسكر " افليز " ^(١) قائد هم
فيهم " كندا " و " كبتين " و " دكتور "
وهم ينادى بأسماء المجوس الى
أن جاء " لستر " و " دركن " ثم " ماجور "
حتى اذا اجتمعوا طرا رموا فرسوا
يكن ^(٢) فافترقوا والجيش مكسور

(١) افليز : اسم قائد فرنسي .

(٢) كن : مدفعية فرنسية .

وهم يقولون ماذا الرد حل بنا
 حيث الرصاص مع البارود منشور
 وأننا لا نرى الا هزيمتنا
 فجعل جيشك مقتول ومأسور
 فثم ولّوهم الارباب فانهزموا
 بالذل فادعوا الاسلام في "جور"^(١)
 وظن أن له منجا ومعتجما
 ان صار "جور" له سكنى وكوور^(٢)
 فجاء بالدين خلق الرأس عمدته
 هل ذو حلاق بغير الحج مأجور
 حتى لقوه لدى يوم الخميس ضحى
 في "لوك"^(٣) أيضا كلا اليومين مشهور
 مثلا بمثل فقد حل الغدير لهم
 من بعد تحريره إياه والبيسر
 فللنصارى شئون من عجائبهم
 فلا تقل عوض ان أخبرتها زور
 لله درهم في كل معركة
 أميرهم ستطير الشر محذور
 فهل أمير نحيه "بدو" و"جم"^(٤)
 بل التحية فينا اليوم "بنسور"^(٥)

-
- (١) جور : قرية .
 (٢) كوور : قرية .
 (٣) مدينة في السنغال .
 (٤) وم وجم : كلمتا تحية بمعنى : هل أنتم بخير وعافية .
 (٥)

" في مدح " لتجور " بعد الوفاق " :

بشرى لقد شاد دين الله " لتجور "

فأحيى اليوم بالاسلام " كجور "

تلفيه يأمر بالمعروف عسكره

كأننا جاء من ربه النور

وهل ترى ناديا فيه تربسه

الا ويسمع تهليل وتكبير

يروع أفئدة الأعداء كتائبه

كأنهم غم للأسد مذعور

فليدخل الناس طرا في طريقته

طوعا والا فسيوف الموت مشهور

علام قال النصارى " لا يزول لنا

ملك - وهل قيلهم الا أساطير

مار النسور مرارا والضباع معا

منهم وهل جمع أهل الشرك مكسور

ما زال يضربهم بالبيض يطعنهم

حيث الرصاص مع البارود منشور

لم يشتك الجوع من نسرولا ضيع

الا وهامهم في البید مجرور

أقام سبعة أعوام يبارزهم

حتى رأوا أن جند الله منصور

فحاولوا السلم منه قائلين لسه

" لك البلاد فهذا خذه " كجور "

تالله ما سلموا الا لما عهدوا
أيام لا قوك في " كونكول " وفي " لور "
و " لوك " بعد " مخ " فالسلم موجبها
لم يخف أنك يا ضرغام محذور
فلا يسوءك مدى الا زمان أنهم
فاجوك في " مخ " الثاني وفي " لور "
كم حاربوك حروبا لا تطيب لهم
نفسا وأنت قهر العين مسرور
خالوك منزعا إذ غيت ذا بعد
وإن ذاك من الاكباش تأخير
ومن " نداخ " جمعت الخيل يركبها
مرد علامتهم حلق وتقصير
مثل الجراد بهم غص الغلاء وقد
غاظوا وفاروا كما قد فارتنور
يبادرون حياض الموت قاطبة
شم العرانيين أبطال مشاهير
ينازعون جيادا في أمنتها
ترنو إليهم نساء الجنة الحور
يشق المشاة أمام الركب واحتفلوا
أقدامهم تشتكيها التل والفسور
لهم غبار يكاد الجو ممتلئا
منه اذا قلت فيهم آما " سيروا "

سَيَّرْتَهُمْ فَأَجَدُوا سِيرَهُمْ وَأَتَى
بِهِمْ سُرَى ثُمَّ إِصْعَادَ وَتَهْجِيرَ
يَقُودُهُمْ عَمَكَ الْمُخْتَارَ مُحْتَزِمًا
كَالَلَيْثِ ذِي اللَّيْلِ الشَّاكِي أَظَافِيرَ
وَقَدْ طَفَاكَ بِالتَّامِيرِ أَهْلَ نَهْـيِ
إِذَا مَقَالَ النَّصَارَى "مَرْسِي لَتَجُورُ"
لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ جَمْعِ قَوَائِلِهِ
بَاقِيَ الثَّنَاءِ لِيَوْمِ الدِّينِ مَذْكُورِ
هَلْ تَغْضَبُنِ لِقَصِيدِ قَلْبِهِ وَجَلَا
عِنْدَ الْعَدَى إِنْ ذَا الْأُجَالِ مَعْذُورِ
لَمْ أَدْرِ هَلْ أَنَا تَبَسٌ فِي السَّبَاعِ إِذَا
أَمْ أَنَّنِي فِي يَدِ الصَّبِيَانِ عَصْفُورِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ أَبْـدَا
أَهْوَى أَنَا أَسَا أَحِبِّيهِمْ "بِئُونُورِ"
وَمَا "كَفْنُكَ" وَكَهْتَيْنِ لَدِي وَلَا
"سَرَسَانِ" وَلَا "كُولُونِلِ" إِلَّا الْيَمَافِيرِ
وَلَا "التَّلَايُورِ" وَلَا "السَّنْدَرْمَرِ" مَعَهُمْ
"كِبَلَارِ" قَائِدُهُمْ إِلَّا خَنَازِيرِ
وَهُمْ جَحَاشُ أَتَانِ بَيْنَنَا نَهَقَاتِ
إِنْ أَحَدَقُوا لَتَدَاوِيَهُمْ بِ"دَكْتُورِ"
حَمْدًا إِذَا مَا النَّصَارَى أَخْرَجُوا فَلْنَا
مِنْ بَعْدِهِمْ لَدِيَارِ الدِّينِ تَعْمِيرِ

أخرجتهم بحروب ذكرها أبدا
باق بقاء جبال الأرض مشهور

*

"تحذير من الاختلاط والبدع " :

فتب الى الله توبا خالصا حسنا
لازم حياتك يا باغي الهدى السننا
ومن أتى غير مسنون فقربته
مردودة شَرَرٌ كَمَا عَلَنَّا
فصار ذا الدهر من لم يأت من بدع
فهم يقولون هذا المرء قد رعنا
وان أشرت الى ترك ابتداعهم
تكن لهم صدقا اياك والحزننا
هر الكلاب فلم يولف له ضرر
والله حافظ من يهدى لما حسنا
نعوذ بالله من عبد يحلل ما
قد حرم الله مكر الله قد أمننا
وباعدوا بين أنفاس الرجال وأن
نفاس النساء كلام صدقه متنا
تالله دين أتى رفع الخرائد من
أصواتهن بمندوب لقد زمننا
من بعد ما كان في المفروض متنعنا
ان الشياطين يوحى بعضهم فتننا

فما الدليل لمن يأتي الجواز بهذا
الا التمرد والاتباع من شطننا
لأن تحريم ذاك الرفع أظهر من
شمس الضحى كل آفاق فلا تهنأ
لنا الأدلة لا يحصى لها عدد
آى حديث واجماع ذروا الفتنا
ان الشريعة ما ترضى وما قبلت
بشاهد وامام أهله أذننا
الى الخروج لهذا غير معتذر
وراجعن كتب الاعلام والامننا
اهانة الشرع والتعظيم ما اجتماعا
خافوا اهانة هذا الدين يا فطنا
بدا غريبا كما قال النبي به
وعود غربته قد كان معتننا
كفى من القبح اذ لم يأت فعلهم
دين النصارى يهود فتركوا الدنا
لولم يكن غير تحقير الأجانب من
طوائف ديننا يكفى لنا الوهننا
وهم يظنون جهلا أن يشبههم
مولاهم وهؤلاءك الجمع قد لعنا
بالله والله تالله العظيم فمن
أعانهم نال ما للعن مفتتننا

وكل من سكتوا في ذا وقد قدروا
تغيير اثمهم في الشرع ما كمننا
ثم الصلاة وتسليم الاله على
هادى الخلائق آل صحبه الخدنا

أحمد عيان سه :

ولد "بأندر" في ١٧ من شهر نيسان سنة ١٩١٣ م .
وأبوه عثمان سه وأمه السيدة آمنة جلو . .
وقد تشقّف على والده في علوم الدين ، كما درس على المعلم "مودّاج"
كثيراً من علوم الدين ، ثم درس التصوف على والده وأخذ منه الورد التجاني .
وقد درس الشعر والعروض على يد السيد محمد عبدالله بن فقا الدوّلي
الموريتاني . (١)

ويعتبر شاعرنا من فحول شعراء العربية المعاصرين في السنغال ،
ويكاد يقف شعره على المديح النبوي والمديح عموماً ثم الرثاء فالقضايا
الوطنية والاجتماعية .

ويمتاز شعره بالتدفق والسلاسة وجودة السبك وحسن النظم
وحيوية التجربة وصدق العاطفة بعيداً عن التكلف والتقليد .

*

مختارات من شعره :

" سمطة نبوية " :

مالي غزال لحظ الغزال
أخو الدلال برح الخيال
رد السلامنا لنا وقامنا
يهدى ابتساما مثل الهلال
لكن جفاني لما رأيته
في الحب عاني بادي اهتلال

صبرى تهنأوى عن وصل آوى
فلن أسأوى منها بحال
مثل الكتيب مثل الخطيب
وللحيب بلا نوال
مهدى الأيادى رأيا بدادى
مغنى الأعادى يوم النزال
عالى المنار ياد الفخار
مثل النهار وقت الزوال
من يدن منه لم يسئل عنه
اذ فيه كنه أسنى الخلال
بدر البدر فخر الدهور
مجرى الأمور على اعتدال
ذاك الأمين الكنز الشمين
ذاك المكين بلا جدال
ذاك الرسول البر الوصول
الهادى الجليل عين الكمال
هو الرؤوف البر العطوف
له زخوف على التناول
أصحاب طه بهم يباهى
لهم تنهى كل الكمال
أسرى الاله به اصطفاه
على سواء مدى الليل

يا مصطفى يا خير البرايا
كن ناصري يا بدر المعسسال
الى الطباق على البسراق
بلا شقاق ولا جـدال
أسرى فحلا قرب المحلا
جبريل ولي دون المنسال
فلا أنبياء منه استضاءوا
اليه جاءوا في كل حال
صلوا اماما بهم اماما
ثم استقاما لذي الجلال
فقال فيه من مصطفىه
ما يشتهي من الكمال
أتى بخمس لكل نفس
تضحى وتسقى مثل الزلال
قاله الأعلى للذكر الأعلى
بالليل يتلى وبالنزال
له الكتاب المستطاب
فيه الصواب لكل تسال
هو المراد لمن أرادوا
هدى وحادوا عن الضلال
هو السلام هو الامام
فيه الحرام مع الحسنال

فيه الحقائق فيه الدقائق
فيه الرقائق لذى المعـال
فيه المعائب فيه الغرائب
فيه الرغائب لذى السـوال
هو المين الحبل المتين
به الاتين أخو المحـال
هو النير عذب نـير
به أسير بلا كـلال
به عنيت به روـيت
به أنيت أخا النصـال
به سقيت من اعتمـيت
به جنيت أهل السـدوال
به اكتفيت به احتـيت
صاخشيت من الرجـسـال
به أفوق قومـى أروـف
به الوثوق عند النصـال
بسر فزت لما عـزت
لذاك حزت أعلـى الكمـال
بمدح هادى كل العـباد
أرجو الأيادى مع النـوال
انى فقير ذنبى كـثير
أنت القدير على امثـال

يا ذا الجلال يا ذا الجمال
يا ذا المعال زيبين فعال
رهي تعالى أرجو اتصالا
منه بما لا يغني بحال

حقوق مرادى وأملًا فوادي
بسر صادي خير الرجـال
أفـض علينا ما اشتـهينـا
فيضا يرينا أعلى امتـشـال
وصل رهي على المربـى
وذاك حبي طـمـه والآل

*

"حنين الى كولخ" :

ربيع ليلي بقنة الريحـان
عم صباحا سقاك كل يمانـى
ما ملونا ربوع ليلي ولكن
طال عهدي بأهل تلك المغاني
لست أنسى ظبا " كولخ " فيها
(١) وظبا القنا وعين عمسان

وشهروا بها كـشهر ربيعــــــــــــــــع
وسنينا كقـرة النيســــــــــــــــان
وبدورا بها فتن عــــــــــــــــولا
ولحاظا بها رمين جنانــــــــــــــــي
وظبيها بها أغن كحــــــــــــــــيلا
فاتنا فاطر الجفون سبانــــــــــــــــي
فتن القلب دله فشجــــــــــــــــاه
يا لقلبي من ذلك الفتــــــــــــــــان
لا تسلني عن غيرها فهواهــــــــــــــــا
بلغ الحد في الهوى والهــــــــــــــــوان
وقريش من الحبيب أــــــــــــــــانــــــــــــــــي
كمعقود الجمان والعقيــــــــــــــــان
خلته للسبيوط قدما جليــــــــــــــــسا
رونق الشعر من بديع المعانــــــــــــــــي
طالما قد شغفت مني قريــــــــــــــــضا
جرذلا على قريش الزمــــــــــــــــان
ان نسج القريش طوع جنانــــــــــــــــي
ولساني وكاغدى وبنانــــــــــــــــي
وخفيف القريش عندي خفــــــــــــــــيف
وطويل القريش طوع لسانــــــــــــــــي
أخذ الشعر من طريق جرــــــــــــــــير
وجميل وعروة وأبــــــــــــــــان

وسهيل ومعمرو ويزيد
وأبي طيب وشعر الاني
هاكها بنت يومها قد تبنت
ربعة القد من رياض البيان

*

" هتفات الى أهل السنغال " :
يا أهل " سنغال " لاعاد اكمل الزمن
لم لا تسيركم نحو العلى سفن
فلتشرعوا ساحة الأعداء رماحكم
فلتخطى منهم الأذقان والوتن
برهفات كون الملح ساعدها
في طعنها ساعد ما سه وهن
جيوشكم يكشف الألباس طالعها
وكل قلب عراه خوفها حزن
يكفي مقدمة الحساد طالعها
ان لاح سيف صفت مرآته حسن
خلاصة سرها الوهاج زورقها
فيها النجاح وفيها الأمن واليمن
سا لك أنبت وردا ولاح بهما
وشي ألح عليه العارض الهتن
ينوع نيلكم تشفى مواهبه
وعقد جواهركم ماشانه رن

وانما الا^١حمر الكبريت وصلكم
فعنه ما أن تصان الروح والبدن
وما سائرکم يهفون به هــدا
وليس في أمره بخس ولا غبن
فلتتفوا درر العليا لنخبتم
نصيحة كل من أمثالها لسن
فعلكم فيه ما يكفيكم ولكم
في أرضكم مستقر واسع حسن
فلتقروا علمكم ولتعمروا هــدا
قد طاب فيه على سكانه العدن
وفيكم كل ندب طبعه سلس
تجلى بطلعته الضرا والشجن
وفيكم خرد بيض عوارضهــا
سود الفدائر في أصواتها الفسن
والناس في كل فج لا تزال لكم
تحدى بهم راقصات العيس والسفن
وعندكم كل شي^٢ في حضارتكم
وفي بداوتكم ما سكم أفـسن
فلتجمعوا شملكم لله دركم
للمجد حتى تقرأ الميمن والأذن
ولا تكونوا عباد الله أزلـفة
شتى فتتخط جبرا منكم الفسن

ماذا التدبر والاسلام يجمعكم
والطبع واللون والانساب والوطن
فلا يطب في سوى العليا مقامكم
ولا يطب في سوى العليا لكم ظعن
صلوا عقود حبال الوصل بينكم
ولا تكن بينكم يا قومنا الاحسن

*

"عمارة الأرض" :

الى الأرض أوبوا بالهنا وتقدموا
لإصلاحها فهو المهم المقدم
ألا فابذروا الأرض الكريمة واعمروا
منازلها ما شئتم وتعمروا
فالبذر تحي شهبكم وصغاركم
وينضم فيه شملكم وينظم
ومهما تركتم بذركم تتبددوا
وتضعف قواكم هاهناكم وتندموا
ولا تجعلوا سقيا مذاربها دما
فمن حقها أن لا يراق بهياد
أرى الأرض لم تخلق لسفك دماءكم
فان اللهس بالبرية أرحم
ولا تتركوها للأجانب فرصة
فلله رأي في المواطن أحزم

فحق لأوطان الفتى أن يصونها
ويبنى فيها ما غدا يتهبب
ويصلح فيها ما يخاف فساده
ويلقي فيها بذره ويممم
فأوطانكم فيها دوا ما تنافسوا
ولا تزهدوا فيها ولا تتلثموا
أليست من الأشياء طرا بلادكم
أهم إليكم والمهم المقدم
فقيمة كل الناس ما كان عاملا
فيصغر فيها تارة أو يعظم

*

"رسالة الشاعر":

ان أغمدت حارثات الدهر بتارى
فسوف أعمل أقلامى وأسطارى
فسوف تسمع أو فسوف تبصر ما
يلقيه مجدى لأسماع وأبصار
ان ألبس الشعر أقوامى بمحمدة
فسوف تلبسنى بالحمد أشعارى
انى أحب بلادا كن لى وطننا
عصر الصبا وأفديها بأخطارى
ان لان سى فما أن لنت عن خور
كلا ولكن سنى فى العدا جبار

والشعر ما يعمته بالبخس معتمدا
لكن قصدت به ايقاظ أنظار
فما أخذت به فلما أريد به
نفعا فيزداد بالاشعار اضراري
فاربأ بنفسك عن جهل وعن سفه
وعن عداوة ذي جهل وذی عار
يا موطننا عاش فيه الحرذا نسب
قد هاج ذكرك لي الاشواق كالنار
قل للعدو مللنا من ولايتكم
لا نرتضيك وصيا بين أعصار

*

" دموع علي الشيخين " :

وقال يرثي الشيخين الطالعين في الأفق الاسلامي طلوع
النهرين ، ابراهيم جوب وأحمد كي رحمهما الله :
أنا عرضت بسلع دارس الطلل
أجريت ما كان في عينيك من بلل
وقفت في الدار محزونا تسائلها
عن ساكنيها فلم تسمع ولم تقل
وأجهل الناس من يهفي الجواب لدى
ربح محيل بعيد العهد بالحلل
يظل فيه سوام الريح منجفلا
بعد الانس والانس والكلسل

كأنني لم أبت فيها بمنتهـزه
سامرافتية شما ذوى جـدل
كالشيخ أحمد من بفضله شهدت
معاصروه من الأُصحاب والخـول
وذى المدارس ابراهيم من صدرت
منه بحور علوم لسن كالوشـل^(١)
هو الامام الذى عمت دراسـته
كل البلاد بعلم غير متـذل
قد كان بدرا منيرا نستضـى به
وسط الدجنات من حاف ومـتعل
فليبكه كل ندب كان علمـه
بالنعت والعطف والتوكيد والبـدل
تلكي العلوم التي قد كان يدرسها
للواردين من الاشراق للطفـل^(٢)
الفقه يبيكي ويبكي النحو مجتهدا
يبكى الحديث مع التفسير بالمقل
جازاه ربي عن الاسلام قاطبة
خيرا وحياه في الفردوس بالحـلل
قد كان للدين ابراهيم منتصرا
والشيخ أحمد معوانا لذى أـمل
وقد قضى الله في وقت حمامـها
والله يغفر منهم جملة الزلـل

(١) الوشل : الماء القليل +

(٢) الطفل : بالتحريك بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب .

قد شط قرن لموت السديين كما
يأتي الكسوف ببرز الجدى والحمل
السيدان الكريمان اللذان هما
في الصالحين كخير الخلق في الرسل
هما امامان كانا في الظلام سننا
وفي الهواجر بين الناس كالظلل
هما اللذان أعاد الله نفعهما
لساكني " سانلوى " في العلم والعمل
لولاهما لغدت أبناؤهم همجا
لا يهتدون نهارا واضح السبل
لولاهما كانت الجهال غلبة
أهل العلوم مع العادات والحييل
يا أهلهم أبشروا من بعد صبركم
برحمة الله تغشاكم على مهيل
ومن على الأرض فان لا بقاء له
ولو تطنى الى الجوزاء أوزحل
أين الطوك التي من قبلنا سلفت
وأين أصحاب ذاك الملك والدول
أبادهم صرف دهر سوف يلحقنا
بهم غدا فلتكن منه على وجل
ثم الصلاة على المختار من مضر
والآل والصحب أهل العلم والعمل

" تحسر على موت الصديق " :

وقال يرثى حبيبته وصديقه الشيخ الأجدد السيد الخليفة رحمه الله .

مات الامام وكل الناس في حزن

فلتبكته ملة الاسلام والوطن

ما زال مذ هو في فجر الشباب فتى

يمنى المكارم في سر وفي علن

حتى بنى لبنى دنياه مكرمة

لا تنقضي بانقضاء الجيل والزمن

له عوارف أسرار لو اجتمعت

في قنة الطود خرا الطود ذاقن

ان جئته جئت شيخا عالما فطنا

يفنيك عن كل شيخ عالم فطن

فلتبكته كتب التاريخ يكتبها

وليبيكه مجمل القرآن والسنة

وليبيكه النحو والتوحيد معتقدا

وليبيكه الفقه من فرض ومن سنن

لا لوعة تترك الأكباد سالمة

وفضة الدمع فوق الخد في هتن

نار الأسى أحرقت قلبي فواشجنني

لو كان يطفئها في القلب واشجنني

لو كان يقبل هذا الدهر فديته

لكنك أول فناء منه باليــــدن

ان المنازل في وحش لما ازدهرت
بك البرازخ اذ لففت في الكفن
كان نعشك شمس اذ تسير به
ضيغا الى الروضة الفيحاء ذى الحزن
يخال نعش حسين في بكا وأسى
بكرهلا بين مكبود ومتهــــن
أعواد نعشك مذ مستك لو علمت
لاؤقت فوق هام الناس كالفنن
شمائل مثل ضوء البدر لو مزجت
طبع الدجى لم يهت يشكوه ذوفتن
دقائق لك في الأخرى زجرت بها
قلوب من عظموا الدنيا بلا ثمن
باتت تسائلنا في كل مشكــــة
عنك السائل اذ غادرت وأحزاني
لو يبتغي الكون شيئا مفردا علما
لكنت للكون شيئا مفرد الزمــــن
أو يبتغي الميت في الأعضاء مقبرة
دفنت في القلب والعينين والأذن
أولم يخل عدد الرسل الكرام لنا
لكنت ذا عزم منهم وذا رســــن
رثيت في الذكر والأسفار لو سبقت
حياتك الخير أحييت نسمة الوسن

يا راحلا تحت ظل الله مستترا
ومكرم الضيف أسمى ضيف مؤتمن
هذا مقامك عند الله معظيما
فارق إلى الله محتازا بكل هنى
تسألوا من جنان قد نزلت بهما
مأوى نزلت أم الفردوس في القنن
في عليين مكان الرسل منزلكم
تري هناك جبال الله أنت فنى
قالوا رأوك طليق الوجه مضطربا
كالطير ينقل من غصن إلى غصن
وان علا زاد في الأبرار عافية
وان هوى فرج الأشرار عن فتن
فليعمل العامل الراجى لطائفه
لمثل ذا كنت في الدنيا على السنن
جاورت ربك في الفردوس مهتما
وجئت قومك في الفردوس بالقرن
أبكى عليك ولم أبرح ببحر أسى
إلى اللقاء غدا في جنة عدن
وانني لك راث بالقريض فما
يقضي القريض لعمري حقكم زنى
لولا مغالبة الأشجان في خلدى
لقلت فيك رثا في الدهر لم يكن

روحي فداؤك يا من روحه طلعت
لحضرة الله حيث النور في علو
في روضة ذات أنهار وأبنية
من رحمة الله فاسكن غير مستحسن
يهاب سوءك لولا حكمة سبقك
ملائك الله كم قدمت من حسن
في نعمة الله نم للحشر مفتطاً
فرحة الله تفشى الروح بالمنن

*

"وداعاً يا تلامذتي" :

وقال يودع تلامذته الدّكاريين :
إذا ما الركب شمر للذهاب
وأذن للمواطن بالإياب
فودّع ما استطعت وحي ناساً
نزلت لدى بيوتهم الرحاب
أناس في دكار* لهم عظاماً
(١) وأحلام من العجب العجائب
وكلهم له كرم ومجد
ومعرفة بعاقبة الصواب

(١) دكار عاصمة السنغال.

إذا وضع الثقاب رأيت حـرا
جميلا وجهه تحت النـقاب
فمن دارالسلام لهم نسيم
يشاهد في ابتعاد واقتـراب
فما منهم يرى الا رجـال
يرى نورالجمال بلا سـحاب
إذا نزل الغريب بهم تـسـراه
وما أن يشتكي ألم اغتـراب
لهم في ساعة العلم اقتـراب
وليسوا للسقاء ذوى اقتـراب
وشغلهم كتاب الله دأبـا
وقد ألقوا سواء من كتـاب
تراهم قارئين بكل آـن
جميع العلم من باب لبـاب
وقل للسائلين هناك عنـهم
وعن أخبارهم طرا كفى بهـي
ولم يك فيهم الا ظرـيف
خبير باللفات وبالحسـاب
أديب من أديب من أديـب
عباب من عباب من عبـاب
جواد من جواد من جـواد
سحاب من سحاب من سحـاب

أريب من أريب من أريب
لباب من لباب من لباب
وقاهم ربهم شر الأعداء
وكان جنابهم خير الجناب
ويجمع شملهم ويصون منهم
نفوسا لا تسير إلى المعاب
وبوأنا الإله بلا حساب
غدا جناته وبلا عقاب
رعى الله دكار وساكنيه
من الإخوان فيها والصحاب
وصلى الله لمحة كل بسرق
على المختار مفتاح كل باب
وما أن قال مشتاق غريب
إذا ما الركب شمر للذهاب

*

"لقاء بعد طول افتراق".

وقال يرحب بالتلاميذ عند مقدمهم إليه في "سان لوى".
بشرى لنا فلهال السعد قد لاحا
والبشر عنا أزاح الغم وانزاحا
والجوطاب وريج النصر جارية
والروض من عرفه الوردى قد فاحا

وأصبح الماء عذبا سائغا وبدا
للقلب ما يشتهي فازداد أفراسا
والدهر أصبح يزهو في غلائله
يجر أردانه في الأرض مرتاحا
بشرى بمقدم سادات علوا ههما
فلكهم لاكتساب المجد قد لاحا
بالبذل قد عرفوا قدما ولو سئلوا
أرواحهم بذلوا في الحين أرواحا
قد رجعت " سنلوسا " روحه وزها
وسرّسور كما شئناه وارتاحا
هذي شمس " دكار " حل طالعبها
فينا فكل بما يخفيه قد باحا
أهلا بها من شمس كلما طلعت
طاب الهوى واستنار البدر وانصاحا
من مد راحا الى إدراك سمعهم
قد أتعب الروح في سعاها والراحا
هذا ولا زال رب العرش يكلوهم
ما يخافون أساء واصباحا

*

" حد الحب "

الحب شبي عجب لا حيا له
يسعى بلا دعوة نحو الأحياء

يسقى القلوب كوؤسا من صبايته
فيها الشفاء وفيها لاج الداء

*

"سلطان الهوى " :

أرى شوقي عليّ بكل حال
أميرا أو بمنزلة الأمير
كنت هوى سعاد فتم دمعي
بما قد كنت أكتم في ضميري

*

" لا تجمع بين القبحين " :

انظر لوجهك في المرأة معتبرا
وان يكن حسنا فافعل مناسبه
وحيث كان قبيحا افعلن حسنا
ان جمع قبحين حق أن تجانبه

الشيخ الهادي توري :

هو محمد الهادي توري المشهور بشيخ هادي توري .

ولد سنة ١٣١٥ هـ - ١٨٩٤ م في " فاس " وهي قرية أسسها والده ، حيث حفظ القرآن الكريم على يد والده ، ثم ذهب الى " تاون " حيث قرأ على الشيخ الحاج مالك سه رحمة الله عليه علوم الدين والدنيا مثل الفقه والتفسير واللغة والأدب العربي والرياضيات والفلك .

وكان فلاحاً معلماً وعالماً شاعراً زاهداً وفلكياً بارعاً صنع ساعة تأخرت بخمس وأربعين دقيقة بالنسبة الى الساعة الرسمية . (١)

وكان له مؤلفات في الفلك والحساب منها :

" تحقيق المقال على ظل الزوال " و " كشف جلياب اللباس عن أوقات الصلوات الخمس " وكتاب " تبصرة الطلاب بهادي الحساب " .

وكان له ديوان يضم ثمان وخمسين قصيدة . وقد ضاع مع حقيبتها له في سفره إلى الحج وكان يريد أن يطعمه في الحجاز . (٢)

وقد عثرنا على بعض أشعاره في " إيفان " بالسنفال وان كان أغلبها أجوبة إلى خاله مرصاصم ابن القاضي مجخت كل وتلبية لندائه إلى الأخذ في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره .

وقد جمع شعره بين وعورة الألفاظ ومتانة النسيج وجودة النظم وأعرابية الأسلوب قلباً وقالباً .

(١) الأدب السنفالي العربي ج ٢ ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٠ .

مختارات من شعره :

" حب على طريقة القدماء " :

لعمان برق الليل نحو المشرق
أبدى هوى قلبي بنور مشرق
أم على أطلال دار أحبة
لي البرق خيلها كروء يا المخفق
فتخيلت لي دار عزة والريسا
ب وفرتني والكسل كالمحقق
فوقفت أبكيها ولا كبكاء خنـ
سأ على صخر ولا كالخرنق
أبكي عليهم بالدموع ويمزدرى
صوب الدموع حيا السحاب الدفق
أفلا أبكي فتية غرا كـرا
ما مرفرى اللهفان عند العلق
أفلا أبكي فتية أهل القرى
ومزودى الضيفان عند تغرق
أبكي عليهم في الحياة وإن أمت
قسم البكاء على جميع العشاق
أبكي عليهم ما حييت وإن أمت
وكت من يبكي بدمع مطبق
والعيش أحسن عجوة ومياههم
كالسبيل فضيفهم كالموهق

والنخل باسقة لها طلع نضيد
خذ رزق كل مؤمل مسترزق
أعوامها مثل الشهور شهورها
مثل الليالي ليلها كالمبهرق
ونسأوها حور حسان خسر
ظبيات وجرة كاملات الرونق
فلئن رنون فذاك أقتل للفتى
من ضرب أسياف ورمي البنودق
ان قمن أوهمت الخصور بأنها
أشال أحقاف بدعص أمهق
يمقتلن بالغنج الطيح مخاطبا
وفتور أعينهن عند المرهق
رق الخصور وراق دمعى دهشة
وكفلت بالكفلات زيد المخرق
يتركن أنكار الأريب بحيرة
ويملن قلب المتقى للمعنق
فحذارهن فهن عين الغول لو
لاهن لا يلفى الجنون بمطهق
يا راكبا وجناء مرقا لامتنى
أرغى الزمام لها سواها تسبق
بسراتها مثل الرماح وعينها
مثل الزجاج ورأسها كالمطرق

تختال في رمل التلاع وتوقد الـ
خيران في حزن أمام الأيمنق
أرعى الزمام لها وأوب دائماً
ونذر البطالة فهي شر معوق
واذا وصلت الحي فاسأل دارهد
من ولفن عني أمانة معشوق
راد (١) تخجل فيه بيوها (٢) وجهها
بدل السراج لدى الدجى للطرق
لا علم لي أبقدها أم خدها
أم جيدها أم قولها المترفسق
تسبى العقول وتسترق قلوب جند
حسي غير أني كالأسير الموشق
والقد غصن واللهيب كخدها
والجيد جيد الريم عند المطرق
لونال نوسقم بغيها قلبة
كان الشفاء له بدون ترنسق
كنت السعيد بلهوها ودلالها
وغدت تباعدني فالآن أنا الشق
لرهقتي يا ذا الزمان بفقدتها
فجزاك ربك يا زمان برهسق

(١) ناعمة غير طوافة.

(٢) البيوح : الشمس .

أنا بعدها ما بين جوف مهامه
وتجاوب لصباح كل مطـووق

*

"مناجاة الحامة" :

فأقول عند سماع نوح حمامة
يا جارتى ماذا دعاك لأـمـق
ما تشتكين أتفـقدين معيشة
أم خلة وأخا يموت فتشهقـى
ذا ساق حرّموه نسا لك مخلصا
لك وده ماذا طـلابك فانطقـى
وتنزهى بين الرياض وبخترى
بين الحياض وغردى وتمشـدقـى
أما البكاء فلم تكونى أهـلـه
فدعى البكاء لذى الفؤاد المحرق
فلو ابـطيت بما ابـطيت بمثلـه
لغـريت دمعـا كالحـمـيم المـذعـق
فقفى نيك ولا نمل ولا نـمـى
بل للائم وشباب ريشك شقـقـى
نيكى على ليلى وما يدريك مـن
ليلى فلو تدرينها لم تطـوـرق
مهما تذكرت السامرة التـسـى
جنات بهالى بالبكاء اشـرورق

"سفارة عمر بن أبي ربيعة الأفرقي" :

فلرب ليل مثل ابهام القطا

(١) بتناء فوق سريرها في عيهق

لا سيما ليل طرقت خباءها

(٢) وهنا وبتنا في تمام المأنق

فكان بردى من ماضرتي لها

من بعد فرقنا لطيف الزئبق

حتى اذا استبدلت نكهة شجرها

من أذفر المسك الذكي المعبق

نبج الكلاب وصاح ديك الحي وان

تشر الضياء فباينا كمصفق

قلقت وقامت تشتكي غير الرقيـ

ب ووجهها متغير للمقلـ

قالت لاشفاق الهلاك علي يا

هذا ألا تحت السرير اخربق

كشر الرجال على الطريق وكلهم

بطل غيور ربحه ذو مسـ

فأجبتها والله لست بغاعـ

وستعلمين بأنني لم أخفـ

(١) عيهق : سرور.

(٢) المأنق : تمام السرور.

أما القتال اذا تعرض لي فلا
أبدا أرى بمجن عمر أتقنى
علم القرون بسالتي وتقدمى
في الحرب مثل الخادر المستمق
فليعلمن بأنني أسد لــــه
ناب وأظفار سراع المرشـــــق
بكي عليهم ما استطعت فانهم
همد بهم حد البكاء استفرقي
ان كان فيهم والد لك أو أخ
فعليهما اظن شيأك شققي
وسلت سيفاً مثل برق دقـــــة
وتلا لواء الحيد من سم سقـــــي
عضب اذا وقف الذباب بحسده
قطع الذباب فياله من محذق
فحديده من خالص الكبريت بالـ
خدر المواتى من صفى الزئبق
ما بالكثير ولا القليل تجاذبـــــا
(١) كي لا يكون كأنك أو مخرق
بل قدر كل منهما متوســـــم
فلذاك ليس بمخضر أو مزلسق
فاذا تجهد في الظلام ترى له
ألا كنور البارق المتألـــــق

(١) الآنك هو الأسرب وهو الرصاص الأبيض .

ذاك السلاح اذا تمكن في يدي
فسلاح غير مثل عود الخريشوق
وفتحت باب البيت بعد تزودي
منها بقلبة ساقب عن مفرق
وبرزت من بين الكماة كهنيس
يأتي بظلم ثم غيظ محنوق
فصرخت فيهم صيحة جزعت بها ال
أطفال من مخي ومن مستزهق
لقلقت فيهم كي يصيخوا كلمهم
قولي وقد فعلوا بغير تفريق
حتى أراني كالامام بخطبة
يوم العروبة للمناهر مرتقى
قلنا لهم والقول حق بعضكم
بي كان يسمع وهو غير محقق
من كان يعرفني فذاك أنا ومن
لا فليصغ رجلا فصيح المنطق
اني امام أسود بيشة كلمهم
والأسد ان رأيت الصفوف تمزق
صعب مصارعتي ومرصعني
سل ذائقني بخبرك بالمتحقق
لا ينكر الاقران بطشي في الوغى
بل بعضهم عني ببعض يتقنى

من ذاقني يوم الطعام يجننى
اذ هنظـل ان ذقت مر المـعـق
سيفي خفير الموت وهو رأيتـمـو
مـمـزق الاشخاص كل ممزق
يبتل من دهن الدماغ بعيدما
قيداً لترس كان فوق المغـرق
فلربما بارزت وحدي فتية
كعديكم بطعان رمح مـرزق
وأثرت فيهم قسطلا متراكما
طاشت به ألباب ذاك الفيلق
حتى تبدل ليلة ذاك النـهـا
ر وما النجوم سوى السيوف البرق
أطلقت فيهم صائحا شبه الشبه
بأوالعيرير عنان طرف أبلق
يجرى فتفلق الأوجة والقوا
رير العلية من دوى المصـدق
حتى اذا استصدرت في غاب الوغى
ومعي خفير الموت نير مألـق
فحملت حملة ساخط متسلط
فتك قتل مهـد مسترهبـق
جلنا به فيهم وطلّ دماؤهم
وأملت شوكتهم فظيع تدهـق

فتفرقوا ما بين مقتول لقـــــــــــــــــى
ومعبد وأخي الفرار لمرهق
وغدا الجواد مطأطئا نحو اليميد
من مع اليسار برأسه من مأنق
أذنائه مثل براعتين براهما ال
كتاب ناوى أن يشي في مهرق
كرار أعداء الجحافل هيكل
مخلوق عرد نقي الســـــــــزرق
رديانه طمران باشق باشق
يكفيك عن جرى لسبق المطلق
ومطاه يبرق حابيا متطـــــــــاولا
أعلى ذرى نيق الجبال الشهب
فكأنما وقع السنايك في الكدى
زند المقدح أوحاحب مخفق
فاذا تمطاه الخفيف هوى وقب
(١)
ل سقوطه ميلا بجوب بسحق
ضخم السنايك معرق أرساغه
(٢)
مهما يجار بحلبة يدرنيق
فهو المجلى والمطلّى معـــــــــرق
عكس له فلمثل ذالم يعـــــــــرق
ساط أقيدر لا أحق ولا شـــــــــر
ت مجمع بحر وليس بأفـــــــــرق

(١) السحق: الجرى السريع .

(٢) يدرنيق : يقدم .

واذا وقت به الراء لحاجة
عرضت بجاذبني اللجام ويطرق
يشكونا بلسان حال أنني
كفته خجلا دهاه بمخروق^(١)
ويهموم من بين الخيول وان جرت
طلقا أمام جميعها يستبسق
فلذا لكم يوم اللقاء ركوبتي
ولرجلتي أيضا كصاب مذعسق
عرفتكم نفسي وما فاجئتكم
فعليكم الأسياف حتى نلتسق
لما وصوا من الكلام وأيقنوا
أن الطلاس من قساورقد تق
وتأملوا سيفي وليس مشابها
لسيوفهم والحد داهي الحيلسق
قالوا جميعا مالنا من طاقسة
ببراز مثلك فهو ليس بأليسق
ان الشجاع وأنت ذاك اذا رأى
مترحما يرش الفؤاد ويشفسق
ان اللثيم ولم تكنه هو السذى
لا سلم يقبل عند نيل المصدق
أغمد خفير الموت يا هذا الهما
م ولا ترق بدمائنا وترفسق

(١) المخروق : الحيا+

أنت الأمير وأنا كنا هنا
مثل الرعية والعيال الرفساق
فاحكم بنا ما أنت تحكم اننا
بك لوذ وبك النوايب نتقن
فرجعت عنهم دون فتك رحمة
ورضى بقول سالم مترفق
هذا فخاري لو عنييت به لنا
ألفيتني الا كمثل الصيـد
هذا فخاري هل عثرت بمثلـه
لسواي في جيلي فقل لا تصدق
ونسير بالجففات ضيفنا واردا
والمعتفين قريض لحم الخردق
ونميج للمتاح مها جاء لنا
بجزيل مال للجزالة مخدق
يأوي إلينا الجار عند شدائد
حلت به فنجيره من مخفق
عهد العفاة ديارنا لا سيمنا
داري لكون مؤملي لم يخفق
بذال مالي للرفيق وغيره
بل لست زاجر باسط عن مشق
ولذا حديثي لا يمل لأنني
مذب الدعاب ومرفق المسترفق

" زهو على طريقة المتنبي " :

وأقول شعرا لا يجوز بمثلـــــــــــــــــه
أفكار غيرى من جميع الحـــــــــــــــــذق
أنا شاعريا صاح لا متشـــــــــــــــــاعر
شتان ما بين العبي والاشـــــــــــــــــهدق
أتى بنظم دونه وشي البـــــــــــــــــرو
د ولا يرى مثل له لغـــــــــــــــــرزق
بقصيدة طنانة رنانــــــــــــــــة
(١) حسانة تتسبك زينة ديســــــــــــــــق
أكسى القصائد بالهديع ملايســــــــــــــــا
فوق الحرير فتزدهى للروــــــــــــــــنق
قول الهجاء واننى لقلــــــــــــــــلــــــــــــــــه
أفرى به عنق المهاجى الاــــــــــــــــجوق
فاذا هجوت أخا العلا غادرتــــــــــــــــه
(٢) كالقرد ان رام السمو يتفتــــــــــــــــق
فتراه فى خجل وذل قائــــــــــــــــلا
ان البلاء موكل بالمنطــــــــــــــــق
هذا ومدحى للعليل شفــــــــــــــــاوه
(٣) طيبا وحلوا واحتلاب المشــــــــــــــــق

(١) الديسق : الغضة.

(٢) تفتق يتفتق : اذا صعد على مرمى أملس فزلت قدمه للملاسة.

(٣) المشمشق : النشاط .

ما كان ترياق الضريب روقسا
بالقند مزوجا بما السبيق
ساقته الأريام من أفق السما
تديئه فزعاته للمشـرق
حتى اذا التأم الجميع غامة
سودا* حالكة ببرق مشـرق
سحرا وأرعد تحتها رعد حـدا
فسخت لها حـبك بوبل مطبق
حادث بوابلها وريق صوبها
شهب الشراب به بكأس مشـرق
تسقيه راد على ظمـالدى
وسط الرياض وتحت سرح مورق
يوما بأحلى من مديحى الفائق الـ
زارى جمان خريدة فى المـنق
لكنما الكرماء قلوا فى الزمـا
ن لذاك لست الى الثنا بشـمق (١)
لم يبق الا باخلون وعندهم
جود الجواد كمثل حمق الأحمق
قوم اذا وعدوا الفياث لـهم
يحتج بذاك الى سجايا البروق (٢)

(١) أى بنشيط .

(٢) البروق شجرة تخضر بمجرد السحاب والرعد ولا تحتاج الى مطر
وربما ماتت للمطر .

والمدح أغلى ما يباح فضنه لا
 تسمح به فتكون مثل الأومق
 من كان يعقل لا يرى يثنى على
 كفوء له غير الجواد العرفق
 عقل الفتى مثل القلب وانما
 صباره لفظات فيه بمنطق
 فمقاله لا بد اما أن يهيب
 من يفضله أو عيبه المستغرق
 لا سيما شعريجاب به بلا
 د الله للمفضي والمستغرق
 سبحانه ربك من يروض لعبده
 (١) نظم القريض وصوغ شعر عسوق
 ان القوافي والبحور جميعها
 (٢) ذلل الطايا لي فلم تتصفق
 علم الطويل بأنه طرفي الطوي
 مل وان ركبت مجاريا لم أسبق
 أما المديد فهل يمددني به
 كريب غير يلندد وزبعيق
 أما البسيط اذا بسطت له يدى
 فيد المنازع ذات كسر مطلق

(١) العسوق الحسن من كل شيء.

(٢) أى لم تنفلق .

واذا ركبت لدى التفاخر وافرا
وفرا المحاسن لي وكنت كصيدق
ولطالما سرجت كاهل كامــــل
(١) وشننت غارات بسيفي الأشــــدق
وفريت أعناق المهاجرين الألسى
جهلوا بتوكيل البلاء لمنطقــــق
سل كاملا عن ذا وهاهو حاضر
كلا فانك ان سألت بصــــدق
هزج الفناء وهكذا رجز الهرا
ز مطيقاتى لدى السرور ومذعق
طورا يكون ركوبتي رملــــه
(٢) رسل يقرب لي نواى كزىلــــق
وكذا السريع كذاك منسرح فكل
ل كان لي طرفا سريع السحــــق
ولدى التنزه فالخفيف ركوبتي
بخ بخ به بخفيف سير ترفــــق
أما المضارع فهو ليس مضــــارع
لي فيه وهو مضارع للحيلــــق
وكذاك مقتضب ومجتث كــــذا
مقارب ماشئت منها أنتقــــس

(١) الأشدق الفصح النطق البليغ القول .

(٢) الزيلق الريح السريعة .

فإذا أردت الشعر بأواكاس

مثل الجمان وفوقها في العشيق

فَأَمَّا الَّذِي أَتَى بِذَلِكَ مَرْعَا

أنف المدو ومفرحاً لصديق

وأغوص في لجج البيان وأنتقى

فيقال نعم المنقّى والمنقّـى

فاذا ترى متعلما سحر الكلام

م فدلہ داری لبائل یر تقی

أنا ساحر ومعلم سحرا وأعمد

(١) نى بالقريض وبالبيان الصـرق

فقصادى موشية ورسائل

(٢) مكسية حلل البديع المشنق

فاذا تلوت قصيدتي في محفــــل

صزت الكريم عن اللئيم المصمق (٣)

فَكَلَامَ زَا فِي كُلِّ بَيْتٍ قُلْتُ—

لله درك من بليغ مفلح

وَكُنْ تَقُولُ لِدَاكَ عِنْدَ تَلْفِظِ

بالدرة البيضاء لا تنطبق

(١) المرق : المحبر .

(٢) المشنق : العزيل .

(٣) المصق : الكثير التكبر والحمد .

فتراه يطرق مثل مشتوم به
(١) ويرم من حسد بقلب محرق
ويغيب بي أبدا ولست بظالم
مالي وما للحاسد المترهق
والله يكثر حاسدي فإنهم
أفش لفضلي من حبيبي الا شفق
ان الدليل على المكارم كثرة ال
(٢) أعداء فهي علامة المتبسق
يكفي الا ريب من الهوان خلوه
عن حاسد يبدى العلا يتحرق
واذا فنيت وصار جسمي ثاويا
تحت التراب فذاك شعري قد بقى
واذا رأى الاولاد والاسباط ذا
(٣) علموا بأن الجد ليس برمق
ولعلمهم يدعون لي بدعيية
تمحو الذنوب وبني السلام ترتقى

(١) يرم : يسكت.

(٢) المتبسق : الرفيع القدر.

(٣) الرمق : الرجل الضعيف الحقير الذى لا بال له.

"نغمات تعليمية " :

لا تبتغي نيل الفنى بل اشترى
بالمال مدحا فاشيا في الرفق
ان الدراهم والدنانير التــــــسي
يرتادها المسكين هل موتا تقى
لومال ذى مال يزيد بعمــــره
لجمعتــــه وحرسته بالسفــــق^(١)
ولرسته بتجارة وحراثــــة
وطعان قرنى بالرماح المــــرق^(٢)
ولكنت أبخل باخل بعطائــــه
اذ بذله اذ ذاك سيما الا حق
وبذلت في تحصيله هم الزما
ن وكبد كيس هدهد متحــــذق
حتى اذا شحن المذايق والصنا
ديق التي عندى خدّيت لمغــــلق
لا حاجبا أعطى مفتاحي ولا
ربضا ولا ولدا ولا للمشــــفق^(٣)
لكنني عند المنام ويقظــــة
ليدى بها أهدا دوام تعلق

(١) السفق : الاغلاق عليه .

(٢) المرق : جمع مارق أى النافذ عند الطعن .

(٣) ربض : زوجة .

لكن ذلك لا يفيد سوى الغشـو
 (١) و بوصفه في جيله بالخبثـق
 لو كان مال المرء يحص عن ردى
 لحيي الغنى فرعون عند المفسـق
 ولـكان نـعـود بن كـنـعان الـذى
 جمع النفائس سا لما من مزهـق
 ولـكان عـاد أو ثـمود وصالـحا
 للموت عن روح بدفع الـابـثـق
 دار ابن دارا فيه عبرة خاشـع
 لله وهو بدثره لم ينفـق
 أولم يكن قارون ذا وفرو صـا
 ر بخسفه في الأرض عبرة متـق
 هـامـان مـثـلـهم الـى مـالـيس يـحـم
 صيه سوى الله القديم الصيـدق
 ورأيت أن الجود ليس بـناقـص
 رزقا وربك رازق للمنفـق
 والبخل ليس يـزيـد رزقـا لا ولا
 يجدى سوى العارات للمتـحـزق
 من كان يعقل ولتكنه أخـي لا
 يبخل بمال للتراب مـصـق

(١) الخبث : البخل .

(٢) المتحزق : البخل .

الفصل الثاني :

سُعْرَاءُ نِيجِيرِيَا .

عبدالله بن فودي الوزير :

هو الأستاذ عبدالله بن محمد الملقب بفودي بن عثمان بن صالح
ابن هارون بن محمد الملقب بفرد بن جت بن محمد سنو بن أيوب بن
ماسران بن بوب باب بن موسى جكل ، وأمه حوا بنت محمد بن عثمان بن
حم بن عال .

وقد نزلت قبيلته من " فَوْتُ تَوْر " غربي بلاد نيجيريا الى بلاد الهوسا .
ولد سنة ألف ومائة وتسعة وسبعين هجرية ، وتوفي وهو ابن
ست وستين وذلك في أوائل سنة خمس وأربعين ومائتين بعد ألف من
الهجرة النبوية (١) ، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وقد نشأ عبدالله وترعرع في بيت علم وصلاح حيث قرأ القرآن
على أبيه وتشقف أول ما تشقف على أخيه الشيخ المجدد عثمان بن
فودي ، كما تشقف على والدته حوا بنت محمد بن عثمان بن حم بن عال ،
وعلى جدته رقية بنت العالم المشهور بمحمد سعد بن لادن .

(١) ضياء التأويل في معاني التنزيل ص ٣ .

ومن شيوخه الشيخ جبريل وعمه الحاج محمد ابن راجي مُودِبُ
ابن حَمَّ بن عال وابن خاله محمد بن محمد الذي قرأ عليه مقامات الحريري
وغيره ، وخاله عبدالله بن محمد ابن الحاج الحسن بن حَمَّ بن عال الذي
قرأ عليه قطر الندى وشرحه للمارديني وشذور الذهب وشرحه بلوغ الأرب
وخلاصة ابن مالك مع شرحه البهجة المرضية للسيوطي وغيرها من كتب
النحو .

وأخذ عن الشيخ ابراهيم البرنوي من كتب العربية التحفة
الوردية والخلاصة وبعض شروحها كالمنهج السالك للأشْمُونِي . ومن
شيوخه محمد ثَنَّبُ ومحمد بن عبدالله الذي قرأ عليه الفريدة للسيوطي ،
وابراهيم المنذري الذي أخذ منه الدرر اللوامع والرامزة في علم العروض
والقوافي والترياق في علم الأوقاف . . ومن أخذ عنهم ابن خالته وعمه
محمد الْفَرَّيْرُ الذي قرأ عليه المنطق والورقات لإمام الحرمين والشيخ
أحمد بن أبي بكر بن عال الذي قرأ عليه البلاغة حيث درس عنده
التلخيص والنقاية وغيرهما ومنهم ابن عمه المصطفى بن الحاج عثمان
ابن محمد . قرأ عليه الكوكب الساطع ، ومنهم خاله وعمه الحاج محمد
ابن راج قرأ عليه صحيح البخاري ، وأجازه جميع مروياته ، ومنهم عمه
محمد المعروف بِبَيْتَخْ قرأ عليه ألفية الأثر للسيوطي وأجازه جميع
مروياته . ومنهم شيخ شيوخه محمد الثَّوْرُ قرأ عليه المختصر .

ومنهم الشيخ محمود الزَنْغَرِي الطُّوْرِي أخذ منه علم القراءات
كمنظومة ابن البري والقصيدة الشاطبية .

وقد أخذ عن جمع غفير من العلماء لا يسع المكان لذكرهم .

وكم عالم أو طالب علم أتاهم من الشرق فاستفاد منه وكم عالم
أو طالب علم أتاهم من الغرب فاستفاد منه ما لا يحصىه. (١)

الا أن شاعرنا لم يترك فنا من فنون المعرفة المعروفة وقشـر
الا وخاض غماره ونال منه أوفر النصيب وألف فيه أبدع التأليف ، وقد
ترك لنا مؤلفات تربع على المائة . نشر قليل منها ولا يزال أكثرها
مخطوطا رهين الصناديق ورفوف المكتبات على أنه كان يتسم بالجـد
والاجتهاد في العلم والتأليف والجهاد وكثرة التـجـد .

وكان يكتب بالدواة التي تأخذ وقتا طويلا قبل أن تجف ، فإذا
كتب الصفحة تركها وانتـحى ناحية من بيته لينفـخ الكـير ويصنع سـهما
من سهام جهاده أو رمحا أو فأسا ، فإذا مضى وقت كاف لجفاف الدواة على
الورقة رجع الى الكتابة من جديد وهكذا دواليك .

وكان يطك مكتبة ضخمة متنقلة نظرا لظروف الجهاد التي كانت
لا تـقيـمهم في مكان بعينه . فلربما جاء نذير الحرب بخبرها وهو في أثناء
الكتابة أو العطالة . وعندئذ يكون أول ما يفعله استنهاض هم المـبـد
لربط كتبه وحملها على الجمل وكان يأكل من عرق جبينه
وعمل يده ، فقد كان وراقا يستنسخ الكتب ويبيعها لطلبة العلم .

مؤلفاته :

أ - الفقه والحديث والتصوف والتفسير وعلومه :

١ - ضياء الأمة في أدلة الأئمة .

٢ - اللؤلؤء الصون .

- ٣ - كتاب الترهيب .
- ٤ - ضوء الصلي .
- ٥ - ضياء السند .
- ٦ - مصالح الانسان .
- ٧ - من النان لمن أراد شعب الايمان .
- ٨ - مطية الزاد الى المعاد .
- ٩ - ضياء السياسات .
- ١٠ - ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الاحكام .
- ١١ - كتاب النصائح في أهم المصالح .
- ١٢ - ضياء الانام في الحلال والحرام .
- ١٣ - سراج الجامع للبخارى .
- ١٤ - ضياء السلطان .
- ١٥ - ضياء الامراء .
- ١٦ - ضياء الامة .
- ١٧ - ضياء القواعد ونشر الفوائد .
- ١٨ - ضياء الاحتساب .
- ١٩ - ضياء المجاهدين .
- ٢٠ - ضياء أولى الامر والمجاهدين .
- ٢١ - ضياء علوم الدين .
- ٢٢ - ضياء الخلفاء ومن دونهم من الاقوياء والضعفاء .
- ٢٣ - ضياء الامام .
- ٢٤ - ضياء أهل الرشاد .

- ٢٥- طريق الصالحين .
- ٢٦- طريق الجادة .
- ٢٧- خلاصة الاصول .
- ٢٨- درر الحكم .
- ٢٩- دوايوسواس .
- ٣٠- درة الكيئة .
- ٣١- ألفية الاصول .
- ٣٢- اصلاح الزاد .
- ٣٣- ألفية النكاح .
- ٣٤- آداب المعاشرة .
- ٣٥- آداب المبارات .
- ٣٦- اصلاح العمل .
- ٣٧- النيات في أمور الديانات والمعاملات .
- ٣٨- التبيان لحقوق الاخوان .
- ٣٩- النصيحة بتقريب ما يجب على كل عامة الامة .
- ٤٠- مفتاح التفسير منظوم .
- ٤١- ضياء التأويل في معاني التنزيل .
- ٤٢- كفاية ضعفاء أهل السودان في بيان تفسير القرآن .
- ٤٣- الفوائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة .
- ٤٤- ايضاح زاد المعاد .
- ٤٥- التقريب .
- ٤٦- أخلاق المصطفى .

- ٤٧- المفتاح للتبصير .
- ٤٨- بذل النصيحة .
- ٤٩- تقريب الضروري من علوم الدين .
- ٥٠- تعليم الانام .
- ٥١- تعليم الا* صحاب .
- ٥٢- تمييز أهل السنة .
- ٥٣- تهذيب الانسان .
- ٥٤- حصن الحصين .
- ٥٥- خلاصة الا* صول .
- ٥٦- درر الحكام .
- ٥٧- روا* الوسواس .
- ٥٨- سلاله المفتاح .
- ٥٩- سبيل النجاة .
- ٦٠- سبيل أهل الصلاح .
- ٦١- سبيل الصلوات .
- ٦٢- سبيل العين شرح مرشد المعين .
- ٦٣- سبيل السعادة .
- ٦٤- شفاء الناس من روا* الغفلة .
- ٦٥- شفاء الناس من روا* الوسواس .
- ٦٦- شكر الاحسان .
- ٦٧- ضياء القواعد .
- ٦٨- الفرائد الجليله .

- ٦٩ - فتح البصير في علم التبصير.
- ٧٠ - فتح العنان في جميع ما ورد من الفاظ الشيخ عثمان.
- ٧١ - فضائل أفاضل الأئكار.
- ٧٢ - كتاب النصيب .
- ٧٣ - كتاب النصيحة .
- ٧٤ - كتاب النيات .
- ٧٥ - كفاية الطلاب في النكاح .
- ٧٦ - كتاب عمل اليوم والليلة .
- ٧٧ - لمع البرق .
- ٧٨ - لباب احيا علوم الدين .
- ٧٩ - لباب المدخل في آداب أهل الدين والفضل .
- ٨٠ - مصباح التراوى .
- ٨١ - نصائح الأئمة .
- ٨٢ - نظم الوسطى .
- ٨٣ - نيل المأمول .
- ٨٤ - نيل العرام في شيم الكرام .
- ٨٥ - نظم الدرر في مصطلحات البخارى .
- ٨٦ - نظم تلخيص الموطأ . (١)

(١) من املاء الشيخ محمد المنتقى الكوماسي الكشفى . والثقافة
العربية في نيجيريا ص

ب : النحو والتصريف واللغة والأدب والعروض والقوافي :

- ١ - البحر المحيط (في النحو) .
- ٢ - الحصن الرصين (في الصرف) .
- ٣ - فتح اللطيف الوافي لمعاني العروض والقوافي .
- ٤ - تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات .
- ٥ - روض العاشق في مدح سيد العباد .
- ٦ - البحر في علوم النحو والتصريف .
- ٧ - النفحات البشرية في شرح القصائد العشرينات .
- ٨ - الدالية .
- ٩ - التمريب .
- ١٠ - المنظوم في أصول النحو .
- ١١ - تخميس العشرينات .

وكان شاعرا مجيدا أديبا أريبا نحويا لغويا فقيها محدثا
مفسرا ومقري* ، ويستأز شعره في المدح بالجزالة ووعورة الألفاظ وجودة
النظم وأعرابية الأسلوب ، وقد يجمع بين الجزالة والسهولة اذا كانت
القصيدة تحمل رسالة الى الناس جميعا الخاصة والدهما* كما رأينا
في الحائية التي وجهها الى قومه الفلانيين ليستنهض همهم لنصرة دين
الله بالجهاد بالسيف ضد ملوك الهوسا الوثنيين ، كما يزاوج بين
الجزالة والسهولة في الرثاء* وشعر الجهاد الذي يسجل فيه انتصارات
جيشهم ضد جيوش الوثنيين ، أما في شعره التعليمي فيجئ الى السهولة
والرقة حتى يسهل اهصال المراد الى السامع.

مختارات من شعره :

"ألحان أعرابية" :

عج نحوأضواج الأُحبة من "مج"

(١)
واشرب من الانشاج ماء الزعبيج

شجّ الدموع على منازلهم بهيـا

(٢)
واشف الجنان من الهوم الدمج

قف عندها سل من بها فمسي تجب

(٣)
حوجا* أولوجا* ترضى من شجسى

(١) مج يفتح الميم وكسر الجيم المخففة واد ، واأضواج جمع ضوج وهو

منعطف الوادى ، وأنشاج جمع نشيج أو نشج وهو سيل الماء
والزعبيج الغيم الأبيض أو السحاب الرقيق .

(٢) شج : أى صب الدموع صبا كثيرا ، الدمج : المستحكمة المستترة .

(٣) الحوجا* : الحاجة ويقال ما في صدرى به حوجا* ولا لوجا* بمعنى

واحد .

- واذا مررت "مرت" هي جميعهم
(١)
وانشر عليهم لو لو^١ وزهرج
كم لي أبا بآته فيهم وكم
(٢)
خلما^٢ لم أك بينهم بمزلج
ومدارس أضنى بحسب شهودها
فيها نجاح حوائج المتحجوج
وجحاج علماء يحلب ردهم
(٣)
كل كبجع في العطاس متوج
ولهم ككان ومبتدا في جارهم
عمل لغيرهم كم أو في حج
ولربما عملوا كما من كف من
يعدو وتقوية الضعيف الطعجى
ومواطن أشجى لفقد رواهم
(٤)
ليست سخارج في هوا^٣ سجسج
دع عنك ذا عد للذى منع الكرى
(٥)
لاهن السرى لا تسر سير الدعلج

-
- (١) مرت : موضع .
(٢) بآبته : أى قلت له بأبي وأمي . خلما^٢ : جمع خلم بالكسر وهو الصديق الخالص أو الرجل العظيم . المزلج : هو الناقص أو الملقق بالقوم وليس منهم .
(٣) جحاجج : جمع الجحاج وهو السيد الكريم .
(٤) سخارج : صحارى ، وسجسج : واسع .
(٥) الدعلج : الذى يشق فى غير حاجة والدعلجة ضرب من المشي .

وادرع دلاص العزم فوق قلاصه

(١) بمزاد صبر في الموامي متلجج

بسرى وادلاج معا وتهجـ

وتأوب حتى تزيل شجى الشجى

بزيارة اللذ زار طيبة بعد أن

قد زار مكة في وفود الحجج

من قد سيا قلبي فتاه بحبه

فتوى لديه فلا أسير ولا يجسى

شمس الضحى بزغت بفرب فانتحت

للشرق تشرق في قریش وخزرج

متفنن متبحر في علمه

(٢) متعطف متطف للمعففج

سجج طليق الوجه هين لين

(٣) للمسلمين ومزدر للعمهـ

شجر اذا نزلت عليه سيفنة

(٤) لم ترتحل عنه لفقد الخرفج

من جاءه يشكو الموائص ينثنى

عنه بقلب ذى انشراح مثلج

(١) الدلاص : درع دلاص ، براءة لينة .

(٢) المعففج : الاحمق الذى لا يهبط العمل والكلام .

(٣) العمهـج : الضخم السمين والسجج : لين الخد .

(٤) الخرفج : أحسن غذا .

ولسوف يروى منه كأساسا

(١) أصفى وأحلى من كؤوس السمج

شيخ الشيوخ فريد دهرظاهر

فوق البارز بالعلوم متزوج

جبريل من جبرالاله به لنا

دينا حنيفا مستقيم المنهج

وافى وحزب ضلالة في طعمة

(٢) والدين في وهد كشي بهرج

فأزاح عنه حنادس الأعلاج من

(٣) عاداتهم وكماه حلة زهـرج

لم يخش في اظهار دين الله من

(٤) مستهزى أولائم متجمج

وله شبول نائبون منابـه

(٥) والشبل عند السبر مثل الخزرج

فغدا له نور الزمان صاعدا

أوساعدا في فتح باب مرتج

(١) هكذا في المخطوط ولعله السمج وهو اللبن الدسم الحلو .

(٢) التلعة : ما انهبط من الأرض . والوهد : المطش من الأرض .

البهرج الباطل والردى من الشىء .

(٣) الزهـرج : الذهب .

(٤) المتجمج : الذى يخلط الأمور ولا يتبين .

(٥) السبر : ما عرفت به لواء الدابة أو كرمها : والخزرج الأسد .

اظهر دين الله بين عدوه

لم يلبثت لمكذب متلجلج

عثمان من قد جاءنا في ظلمة

(١) فأزاح عنا كل أسود دجج

ودعا الى دين الاله ولم يخف

(٢) في ذاك لومة لائم أوفجج

فانصت خلق حين صات لصوته

وعلا له صيت فوق الأبرج

بشرى لامة أحمد ببلادنا السو

دان في هذا الزمان المبهج

كم سدة أهميتها وضلالسة

أخذتها جمرًا ذكي بتأجج

وظلعت في أرض عوائدها عدت

وتخالفت سنن النبي الأبهج

استعظمتها أهلها فاستأسدت

وصدت دوين الدين باب الولج

فاستسرت بغثانها وتممرت

(٣) جردانها ترمى بنصل سلمج

من راد دين الله يمحو عزها

(٤) فقمعتها قمع القوى الأعوج

(١) الدجج : الاسود من كل شي* وليلة دجاجة شديدة الظلمة.

(٢) الفجج : كثير الكلام والفخر بما ليس عنده .

(٣) السلمج : يقال للنصال المحددة أى القاطع .

(٤) الأعوج : شديد القوة.

- فقصمتها بالبيض من آياتـــــــــــــــــه
 وأسنة سنن النبي الأـــــــــــــــــدعج
 صلى عليه الله ماهز الصــــــــــــــــابا
 (١) عذبات غصن في الرياض خربــــــــــــــــج
 ولكل فرعون طففي موسى ســــــــــــــــطا
 (٢) وقضية عاصت على تنفــــــــــــــــج
 غابض وجه الدين بمد محاقه
 (٣) واسود وجه الكفر بعد تبلــــــــــــــــج
 والدين في عز ونهج منهج
 (٤) والكفر في ذل ونهج منهــــــــــــــــج
 والسنة الفراء صبح ينجلــــــــــــــــي
 والبدعة السوداء ليل يدجــــــــــــــــي
 طمست معالمها وأخلق ثوبها
 والدين في درع يمس مدهــــــــــــــــج
 وتفجرت للدين من بركاتــــــــــــــــه
 (٥) عين الحياة تذلل ماء الحشــــــــــــــــرج
 فجرى المذائب للمشارب أفهقت
 (٦) ماء يقول صفاؤه هل من يجــــــــــــــــي

-
- (١) الخبرج : هكذا في المخطوط و لعله خبرنج بمعنى الناعم.
 (٢) الانفاج : ابانة الاناء عن الضرع عند الحلب حتى تعلوها الرغوة
 ومعنى تنفج تظهر.
 (٣) التلج : الاشراق .
 (٤) المنهج : البين الواضح المنهج الذي أسرع فيه البلل .
 (٥) الحشرج : الماء العذب من ماء الحسي .
 (٦) المذائب : جمع مذنب وهو المسيل ، فهت ماء أى طمئت ماء .

- حتى تلج مثل بدر طالع
 ليال صحو أو صباح ملج
 أروضة ضحكت بها أزهارها
 (١) تزهى بها عذبات فصن عسلج
 أو عنقر أوجنة أو أنجــــــــــــــــم
 (٢) بخيلة أوريوة أو حندج
 فأجادها جود لدى جود له
 هب الصبا من بعد مري الخرج
 فتفرعت قضبانها وتاجعت
 أطيارها كالشاعر المتهمزج
 وتكاثفت قضبانها غلباً لها
 (٣) ضعفان من أكل حبه سلج
 وتباهجت فتضومت أرياحها
 بنضارة مع خضرة وتــــــــــــأرج
 وكأنما أنواره بين المســــــــــــلا
 (٤) أنوار روض أو منائر صولج
 سعد الزمان بهم وزايد خير
 فحبهم غفران ننبى أرتجس
 وبجاه من مرضى غدا الشفاعة
 (٥) كهف البرايا فهو أعظم ملج

-
- (١) العسلج : الغصن الناعم .
 (٢) العنقر : قلب النخلة لبياضه والحدج رمة طيبة تثبت ألوانا من النبات .
 (٣) سلج : سهل .
 (٤) الصولج : الغضة الخالصة .
 (٥) ملج : ملاذ وملجأ .

أصداء تعليميه :

فلا يمنع الارشاد عدم قبولهم

فمدخلهم مولا هم أنت فاتح

فانك ان بلغتهم ضاع عذرهم

(١) فساقيهم الولي فانك جادح

مطيع لما قد قاله سيد السورى

(٢) به بلغوا عنى أته صحائـح

وأمر معروف وناء لمنكـر

(٣) على شرطه للناس بالحق قـارح

وأمر بمعروف ونهى لمنكـر

(٤) طريق من القرآن باد صـادح

وفهمهم ما يلزم المرء عقده

من الدين ما سهلته القرائح

وغسلا وضوءاً أو صلاة زكاتهم

وصوماً صيماً ثم كيف يناكـح

وواجبها سنونها مستحبها

ومنها الكلب والكلب فى الكتب واضح

وعلم نساء سترهن بأن ترى

(٥) على غير وجه والا كف القواسـح

(١) جادح : من جدح السوق وهو أن يحركه بالماء ويخوض حتى

يستوى .

(٢) اشارة الى حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام " بلغوا عنى ولو آية " .

(٣) القارح : المخبر به .

(٤) صادح : واضح لا يجهل .

(٥) القواسح : جمع قاسح وهو الثوب الغليظ الذى لا يظهر الاكتاف

والثدى .

- وعلمهم الاحسان كيف يراقبـو
(١) ن مولا هم ذو جدهم والصـادح
وكيف التخلـى من صفات ذميمة
وكيف التخلـى بالحميدة ناصح
وكيف تراعى نية في جميعها
(٢) ليرعاه ذو فهم يطيعك لاتـح
بنفسك قابداً حائداً عن هوى الهوى
(٣) لدى سوسها ترعى وانك كاهـج
أضرعدو من بدارك ساكن
(٤) مطيع لـشيطان وللدين قافـج
سلامة عيب النفس عزت لما لها
يكون خلال المنكرات المساح
فلا تستطيع الترك عن شهواتها
(٥) ولم تحتل ذلا كذاك السبادح
لجاوذك بالمولى وتقليل مطعم
(٦) دواء لا دواء النفوس مطحطـج
وبالاصفرين احفظ وبالاخوفين وال
جواسيس صن دوما تطعك الجواح

-
- (١) الصادح : الخالص من كل شيء ويقصد به هنا المزاج .
(٢) لاتح : عاقل داهية . والمقصود هنا الذى ينقاد لك .
(٣) كاهج : أى جاذب لجاسها .
(٤) قافج : الممتنع عن الشيء أى كاره للدين .
(٥) السبادح : أيام قلة الطعام .
(٦) مطحطج : أى كاسر أو مكسر .

تَبَاعَ الْقُرْآنَ وَالنَّبِيَّ وَصَحْبَهُ

وَتَابِعَهُمْ تَرْبَاقَ مِنْ هُوَ صَالِحٌ

”بِكَائِيَّةٍ فِي مَجَاهِدِ نَاسِكَ“ :

اِنْ اَرْعَاوْكَ اِذَا اُرْتُكَ الدَّارَ

بِفَعَالِهَا مِنْ اَنْهَا غُـدَّارَ

دَارِ مَوْتٍ بِهَا حَبِيْبِكَ لَا تَسْرَمَ

فَرَحًا بِدَارِ صَفْوِهَا كُـدَّارَ

لَكِنْ هَذَا لَمْ يَكُنْ بِدَعَا بِهَا

قَدْ مَاتَ فِيهَا قَلْبُهُ الْاُخْيَارَ

وَلَسَوْفَ تَمْضَى مِثْلَهُمْ وَتَذُوقَ مَا

قَدْ ذَاقَهُ الْاُخْيَارَ وَالْاَشْـرَارَ

فَالْمُصْطَفَى مِنْ بَيْنِنَا هُوَ كَاسِمُهُ

مَرْضِينَا وَأَمِينُنَا الْمُخْتَسِرَارَ

اِنْ الرِّزَايَا فَقَدْ نَا أَمْثَالَهُ

لَكِنْ رَضِينَا مَا قَضَى الْجَبَارَ

سَبْحَانَ مَنْ قَدْ خَصَّهُ بِالْعِلْمِ وَالْتَّ

تَّقْوَى وَخَلَقَ بِرِضْيَةِ الْجَبَارَ

قَدْ قَامَ فِي اَظْهَارِ دِينِ مُحَمَّدٍ

بِمِنْ الْوَرَى وَالْجَرْحِ فِيهِ جَبَّارَ

حَتَّى بَدَا فِي الْحَصْنِ مِنْ أَقْوَالِهِ

وَفِعَالِهِ تَرَى بِهَا الْاُحْجَارَ

كم واجبات في الضياع أقامها
في الحبي تسخره بها الفجار
ومحرمات دعنها قد صيَّرت
مثل المباح يلومه الاغفار
وعوائد مذمومة قد زادها
يجرى بها العلماء والابرار
ما خاض لهو الجاهلية قط من
حال الصبا حتى أتى الانذار
ولقد فقدت أختا حبيبها ناصرا
في ديننا ان أعوز الانصار
خلا صدوقا لا يرميك فعله
ومقاله يختار ما تختار
فدع العيون تجود فوق حبيبها
فحربها هجم او اسـمدرار
لو أن عينك ساعدت لهم دما
بدل الدموع سحابها الحذار
فليهلك من كان فيه غيرة
في الدين فهو آمنه الحذار^(١)
نكبي عليه ترحما مع أننا
نرضى بما قد جاءه الاقـدار

(١) الامون : البعير الحذار المذلل أو المعين .

فسقاء من رب غفور راحم
 غيث المحبة والرضى المدرار
 سبحانه من قهر الخلائق كلها
 بالموت وهو الواحد القهار
 ما ترتجي في هذه الدنيا التسي
 ما تألني تذكو بها الأخطار
 فالدار مثل جهامة وسفاسط
 (١) أو قل مراب ريهما أوار
 أونهر طالوت الذي شرابه
 (٢) هيم وضاعت منهم أصار
 وخيال طيف ستراج مسافر
 رام العقيل فصاحه جمّار
 قد شيب سمع أريها من شريها
 (٣) فتخالطها فيخورها أبخار
 أو مرتع مستو بل حيوانه
 (٤) مستوهد موتانه دفار
 وعجوزة زلاء في مصوغة
 ثم ارتدت مخضرة مكار

-
- (١) أوار : العطش .
 (٢) آصار : جمع اصر وهو العهد .
 (٣) ابخار : جمع بخر وهو النتن وأريها : عليها وشريها أي حنظليها .
 (٤) دفار : من الدفر وهو النتن .

حتى سبت أغمارنا بأسارها
إثارهم ما ناله إثار
أوحية جسم مليح لين
والسم فيها نافع ضرار
وثريدة مسمومة مغموسة
في السمن ذرت حولها أبزار^(١)
شرك الردى وقتار مكر سلعة
الشیطان بغرى والهوى سمسار
وسباطة العرقين ترمى فوقها
جيف الموات كلا بها التجار^(٢)
قد آذنتنا بالفراق بحافها
ومقالها فغرابها مجهار
قاله ينجينا معاً من شرها
بمحمد فيمننا الأنوار
صلى الإله عليه مع أصحابه
ما شئت لسلامهم أشعار

" هجرة معلم " :

ولما مضى صبحي وضاعت مآربي
وخلفت في الأُخلاق أهل الأَكاذب

(١) أبزار : التوابل .

(٢) السباطة : الكناسة .

يقولون ما لا يفعلون وتابعوا
هواهم وطاعوا الشح في كل واجب
ولم يهتم علم ولا يسألونــه
وأعجب كل رأيـه في المذاهب
وقطع أرحاما وأزرى معارفــا
وآثر عن قرباء جمع الأشائب
وما همهم أمر المساجد بل ولا
مدارس علم بله أمر الكتائب
وهمتهم ملك البلاد وأهلها
لتحصيل لذات ونيل المراتب
بعادات كفار وأسماء ملكهم
وتولية الجهال أعلى المناصب
وجمع السرارى والشباب الحسان وال
جبياد الجوارى في القرى لا المحارب
وأكل هدايا الجاه والفسى* والرشى
وعود ومزمار وضرب الدبــســادب
وباعة أحرار وفي السوق بعضهم
ولاية قضاة في لباس الشعالب
فرارا من القاضي وأكل الامان وال
الموالة للكفار خوف العواقب
فجسوا وقل الصالحون وأظهروا
مداهنة الفساق أهل الكتائب

واعجز أهل الحل والعقد أمرهم
فجانبت الأعراب من كل جانب
وأبدت جهارا خافقاً ضبابهم
ولاحت ذياب في ثياب الأرائب
وأيقنت ان لم يرجعوا عن ضلالهم
لتختلفن أسمافهم في الغوارب
وان قرين السوء يعدى قرينه
بما فيه اعداء الصحاح الأجراب
وقد طار قلبي للمدينة ثاوياً
سنين بها شوقاً ولمس بأائب
وقصد جسمي عنه ذنبي حائراً
بصدر هواه فاقد القلب دائب
صرفت عناني عنهم متوجهاً
الى خير خلق الله معطي الرغائب
وصبرت نفسي في ركوب مغاوز
خلال فيول كالهبضاب قوارب
ولا أشراً في الأرض الا خفافها
ربيعاً وصيفاً كالبحار السواقب
أسير بلا علم ولا قود قائم
ونيل سهيل في الغياض العواشب
بخمسة أحرار كذاك الرقيق مع
ثلاثة أفراس كمثل الركائب

نشيم مطاشحين حان نزولنا
ذوائباً أشجار المياه الشوارب
وكم ليلة بتنا بها نابغة
ولا نار الا نارنا في الساسب
وسارنا جيراننا أقباننا
بعض وحيات وجمع العقارب
خماثلها والقاع أثارها الاضأ
جدار ودار والقرى كأس شارب
أوانسنا أقواسنا وجمعنا
رماح وأسيف رفاق المضارب
وصارلنا الآثار للناس بعدما
قربنا لمران مجيب المجائب
وأولى كلام الناس أخرى ديارهم
وأنفسهم صارت غريب الغرائب
فقلت وزا أمريسير بجنب ما
نريد اذا ما حُم نهل المارب
أحادى المطايا حشها للمشارق
ولا تلتفت في سيرنا للمضارب
فان حظيت بالوصل فالله واهب
وان أخفقت فالذنب فيه لذهاب
وما خاب من أم الكرم لحاجة
وان كان بطأ لا خبيث المكاسب

فياخير من حَفَّ العفاة بيايه
 مصوب عليهم منه قَشْرُ سحائب
 أمتك مأسورا بذنبي راسفًا
 لا لحق قلبا عندكم غير غائب
 فحقق رجائي فيك يا سيد النوى
 فراجيك في الدارين ليس بخائب
 وفك قيودي ثم صلني اليك يا
 كريم السجايا أنت بحر المواهب
 فيها أنا عبد الله اسما وحرفسة
 لديكم فسهل لي نجاح المآرب
 كما نالها منكم سوادٌ وسائل
 بما سألته منكم سواد بن قارب
 عليكم صلاة الله ثم سلا —
 بأصحابكم والآل يا كهف هارب^(١)

" غزوة غويز الوثنيين " :

أمن طلل خلا أم فقد قوم
 ألفتهم تبيت بغير نـوم
 فكم خل فقدت رض تقسي
 شجاع فاره سراد صـوم
 وكم طلل علمت بريم خـال
 وشمل .. " كوكن " وغم غـم^(٢)

(١) تزيين الورقات في بعض مالي من الأبيات ورقة ٤٦ .

(٢) ريم وشمل وكوكن وغم : أماكن .

- فتك ديار " غوبر " والتـوارق
- (١) ولاية الكفر خاوية بظلم
- وكم يوم يكن لنا عليهم
- (٢) وطان غادا وغردم أي يوم
- بأيدينا هلاك جميع غوبر
- (٣) هلاك توارق برماح زرم
- غداة يقودهم للحين جهلا
- (٤) طيلهم أغنيل دون علم
- يوازره " زنافرة " وغوبر
- (٥) وأهل كيا ومع غوغا برم
- فأوردتهم بفافر حوض موت
- قفر لا هله بلباس نسوم
- وسابق حامد شيطان آدر
- وزدى قدارهم أصحاب لسوم
- ففروا عن جماعتهم وجازوا
- مسيرة خمسة في نصف يوم

-
- (١) غوبر : احدى قبائل الهوسا الوثنية .
- (٢) طان ، غادا ، وغردم : مواضع .
- (٣) زرم : قرية .
- (٤) أغنيل : قائد من قواد الوثنيين .
- (٥) زنافرة أو المنتمون الى قبيلة زنفراوا وكياوا مدينة ، وهم كذلك .

فما بالوا بآبال وخيل
وأعبدهم وأثوبهم وطعم
وأحرار ثووا في زرم نحوا
ثلاث مئين ثوونهم بحزم
فتاب جميعهم عن جمع جيش
لزرم وصوبوا طلاب سلم

" اندھار بني غار الوثنين " :

حمداً وشكراً لربي الواحد الباري
على هلاك طغاة من بني غار
على 'يدى' جموع من جماعتنا
مهاجرين وفيهم جمع أنصار
أمامهم دعوات القادري لنا
إيماناً راجعات جمع كفار
يخربون بلاد الكفر انزلوا
بدار كفر فسات حال ذى الدار
يقودهم " بِل " في خيل وفي رجل
بين الليوث كليت ثائر ضار
حتى أناخ على ساحات دارهم
فأصبحوا مثل عصف حط في النار
فأصبحوا لا ترى الا حصونهم
وليس فيها جميعاً صوت ديار

وأسرطاغوتهم قد زاد ذلهم
مقيدا بينهم في طيس العمار
يا أهل " غار " ألما يكفكم " كشنا "
والجار يسع ما قد حل بالجار
كذا " كنو " مع " زكرك " وهي قريكم
و " زنفرا " مع " غوير " نسل " بابار "
ظكم بيوتهم بالظلم خاويصة
منهم وصاروا أحاديثا لسممار
بقدره الواحد الجبار قاهرهم
فالحمد لله في جهنر وإسرار^(١)

الأخير محمد بللو :

هو محمد بللو بن عثمان بن فودي .

ولد يوم الأربعاء في شهر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائة بعد الألف ، في بيت دين وعلم وولاية ، فأبوه هو الشيخ المجدد عثمان بن فودي الولي المجاهد * نشأ على سيرة حسنة وحالة حميدة من طلب العلم والفطنة والحفظ والادراك التام وقوة الحفظ وحدة العارضة وفصاحة القول ونصاعة الألفاظ وسعة البلاغة ، فأدرك في يسير الزمان ما لم يدركه غيره من الأحقاب المتطاولة ، فأحرز العلوم كلها واستولى على المعاني الموفقة والحقائق .

وتخلع بالأسرار والدقائق ، ولاحظته السعادة الإلهية وأفردته التربية الربانية وسرت فيه نورانية والده الشيخ فعمته بركاته وخيراته فصار حمد الله آية الله في أرضه فذا لا ينقض عجائبه إلى ما أوتى من الأخلاق الحميدة الكاملة والأوصاف البهية الشاملة واستبحاره في العلوم الأصلية والفرعية ومعرفة السياسات العقلية والشرعية وما جمعه من علم سير الأنبياء وآثار الأولياء وبراعة العلماء وحكم الحكماء وعدالة الخلفاء وما لا يحصى من المحاسن في الظاهر والباطن . (١)

صحب شيخه والده عثمان بن فودي ووازره وكفاه المهمات من أمره وجاهد الأعداء بالسيف والقلم فأنجع وفتح فتوحات عديدة كانت للمسلمين في الدنيا فتحا ونصرا ، ولهم في الآخرة ثوابا وذخرا .. فجزاه الله عنا خير ما يجزي إماما عن أمته ووأه منازل الرضوان والسلام .

(١) انفاق الميسور في تاريخ التكرور ص ٢١ طبعة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

تربى في بيت علم وولاية بين أبيه الشيخ المجدد عثمان وعمه
علامة الزمان وعربي السودان عبدالله بن فودي واخوة علماء ، فلا غرابة
أن تجده أعلم من بعده . وأنه مع انشغاله بالحروب والسياسة والادارة
ألف كتباً عديدة ما بين الظاهر والباطن ، وفي علوم الحرف والسياسات
والادارة وفي الأديان والطب وأصوله والصيدلة وأنواعها .

وكانت خلافته بعد أبيه كخلافة أبي بكر وعمر بعد النبي صلى الله
عليه وسلم . فانه رد أهل الردة الى الاسلام وكسر ملوك الكفار ومصر
البلاد وأسبغها في الله للمسلمين حتى أحبه المسلم والكافر .

توفي عشية الخميس الخامس والعشرين من رجب الفرد من شهر ر
سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة الموافق ١٨٣٧م وعمره
از ذاك ثمان وخمسون سنة الا شهرا .

وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة وكان آخر كلامه في الدنيا :
" لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ثلاث مرات
ثم قرأ قوله تعالى : * فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون * (١) . "

وقد بنى بيتاً في ناحية من نواحي داره قبل مرضه / توفي فيه
يرابط فيها وكان كثيراً ما يذكر أن ذلك البيت مسكنه وأنه سينقل اليه .
ثم انه في مرضه الذي توفي فيه عين ذلك البيت بأن يدفن فيه
كما عين ثياباً يكفن فيها ، وأوصى ألا ينقل الى " صكتو " عاصمة مملكته
لأن نيته ومنه أن يقيم في موطن الرباط ويتوفى فيه ويدفن به ، لما هو شر

أن المرباط اذا توفي في مكان رباطه ودفن فيه فإنه لا يطوى سجله ويكتب له ما كان يكتب له حيا من الأجر والصواب الى يوم القيامة . . . ولذلك أوصى أيضا أنه اذا توفي في " وَرَنُو " ألا ينقل الى " صكتو " .

وقد أتم الله له ما نوى وتناه من الاقامة بموضع الرباط والمات فيه والدفن به رضي الله عنه وغفر له وتغمده بواسع رحمته . (١)

تشقق على والده وعمه علامة الزمان وعربي السودان الشيخ عبد الله ابن فودي كما قرأ على أخيه الكبير محمد سعد النحو والتفسير ، وقرأ على شيخه محمد بن أبي بكر الونكري التنبكتي أصول السبكي وتسهيل ابن مالك وتلخيص المفتاح بمختصر السعدى وشرح الجزائرية والحكم العطائية وفرعي ابن حاجب ومنتقى الباجي وجامع معيار الونشريسي . وألفية العراقي وصغرى السنوسي ونظم ابن مقرعة والهاشمية في التنجيم مع شرحها ، ومقدمة التاجوري ورجز المغيلي في المنطق والخزرجية في العروض بشرح الشريف البستي وتحفة الحكام لابن عاصم مع شرحها ، كما قرأ عليه تفسير القرآن العظيم .

وقد أجاز به بخطه جميع ما يجوز له وعليه . (٢)

ومجمل القول أن صاحبنا قد قرأ جميع الكتب المقررة على طلبه العلم في عصره كما قرأ جميع الفنون التي اشتهرت في زمانه .

(١) نقلا عن الشيخ أبوبكر غومي .

(٢) انفاق الميسور ص ٢١٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢١٦ .

وقد خلف لنا مؤلفات قيمة منها :

- ١ - افادة الاخوان .
- ٢ - القول المختصر .
- ٣ - الغيث الوهل .
- ٤ - اتفاق المسور في تاريخ التكرور .
- ٥ - الطب النبوى .
- ٦ - البدور السفرة .
- ٧ - التحرير في قواعد التهسير .
- ٨ - القول المنشور .
- ٩ - القول السنا في الشمس بالسنا .
- ١٠ - الطب الهين .
- ١١ - التريج في صلاة التسيح .
- ١٢ - السيف السلول .
- ١٣ - القول الصذول في أحكام الغلول .
- ١٤ - السائل المهمة .
- ١٥ - النسرفمين بلغ سن الأربعمين .
- ١٦ - الدرر الزاهية في اوراق القادرية .
- ١٧ - الترجمان في كيفية وعظ الشيخ .
- ١٨ - الدالية .
- ١٩ - التبهيمات الواضحات .
- ٢٠ - النصيحة الواضحة .
- ٢١ - القول المنعوت .

- ٢٢- الرسالة الشافية في الأمراض .
- ٢٣- الجمل النحوية .
- ٢٤- الاعلام بما يجب على الامام من حفظ بيضة الاسلام .
- ٢٥- آداب التوسل .
- ٢٦- تخميس البردة .
- ٢٧- تنبيه الاخوان على أودية الديدان .
- ٢٨- تنبيه السامع على أحكام سقوط الجامع .
- ٢٩- تنبيه أهل العقول .
- ٣٠- تخميس بانث سعاد .
- ٣١- تنبيه الأمراء على اصطناع صالحى البراءة .
- ٣٢- تنبيه الأفهام على أن السهدى هو الختام .
- ٣٣- تنبيه ذوى العقول .
- ٣٤- بيان الأركان .
- ٣٥- تعليق وجيز في شرح القصيدة الطيبة .
- ٣٦- تنبيه الأفهام .
- ٣٧- تنبيه أهل الفهوم .
- ٣٨- تنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة .
- ٣٩- تنبيه صاحب على أحكام المكاسب .
- ٤٠- تنبيه الراقد .
- ٤١- تمهيد العمار فيما زاد على عمدة العباد .
- ٤٢- تنبيه الغافل في التوسل بأعظم المسائل .
- ٤٣- جلاء الصدور .

- ٤٤- جلاء الصمم .
- ٤٥- حليلة البصائر في الأحكام الزمة .
- ٤٦- ذكر المجددين .
- ٤٧- رفع الشبهة .
- ٤٨- رسالة أمير المؤمنين بل إلى جماعة المسلمين .
- ٤٩- رفع الاشتباه في التعليق بالله وأهل الله .
- ٥٠- رحلة البصائر .
- ٥١- رسالة الأمراض الشافية .
- ٥٢- سرر الكلام .
- ٥٣- شفاء الأسقام .
- ٥٤- شرح على البدع .
- ٥٥- شرح الصدور في تحرير جنابة الرقيق على الحر .
- ٥٦- شمس الظهيرة فيما يجب على الوالي من حسن السيرة .
- ٥٧- ضجالة الراكب .
- ٥٨- عمل الساعة .
- ٥٩- غيث الشؤوب في وصية يعقوب .
- ٦٠- فوائد مجملية فيما جاء في البر والصلة .
- ٦١- فضل الفاتحة .
- ٦٢- فتح الباب في شأن الجيلي فرد الأحاب .
- ٦٣- قصيدة أمير المؤمنين إلى أهل كنت .
- ٦٤- قصيدة أمير المؤمنين بل .
- ٦٥- متاب الذكرى .

- ٦٦- كف الاخوان عن اتباع خطوات الشيطان .
- ٦٧- كتاب النقول والنواطق .
- ٦٨- كشف الخطا .
- ٦٩- كتاب الاشاعة .
- ٧٠- كشف القناع .
- ٧١- كهاية المهتدين .
- ٧٢- كف الاخوان عن التعرض لاهل الايمان .
- ٧٣- الكواكب الدرية في مصطلحات الصوفية .
- ٧٤- مجموع الانساب .
- ٧٥- مفتاح السداد في أحكام الردة والسوالة .
- ٧٦- مفتاح السداد في ذكر الاقطاب الاربع الافراد .
- ٧٧- مرآة القلب .
- ٧٨- مسائل الجهاد .
- ٧٩- مصوغ اللجين في أمراض العين .
- ٨٠- مطية السلامة .
- ٨١- منظومة في شأن القطب .
- ٨٢- منظوم الدرر في شرح وظيفة حزب البحر .
- ٨٣- نصح كاف وفي المقصود ان شاء الله واف .
- ٨٤- نبذة في أودية الديدان .
- ٨٥- نصح كاف وللا أمراض شاف .
- ٨٦- نظم ايساغوا جي في المنطق .
- ٨٧- نور الفجر .

٨٨- وثيقة أمير المؤمنين الى أبي بكر.

٨٩- وثيقة أمير المؤمنين الى جماعة المسلمين .

هذا وكان محمد بللو شاعرا مغلطا ، يميل في شعره الى نهج
الجاهليين في المدح وشعر الحماسة ، ويمزج بين السهولة والجزالة
في بقية أغراض شعره . . كما ينهض شعره الحماسي بالحياة والتدفق
وطول النفس .

مختارات من شعره :

" الى شيخه الكنتي " :

وقال يمدح شيخه المختار الكنتي :

ألم بساحة أحبابي وساداتي

واشف الجنان بهم من كل اعنات

واربع عليها وشم من منن عارضها

برق الوصال وادرار المسرات

وانف الهموم وأشجانا تكابدها

فقد تخلصت من وعث المعرات

هاكر الكرع من صهباء صافية

بقف لا نزق الا خلاق لسوات

واحط رحالك في أمن وفي دعة

فأنت آمن سرب وافر الكذات

فلا عليك فقد جاوزت ذا كرم

يحمي المجاور عن عات ومختات

ما خان عهدا ولا أزرى بجيرته
ولا اشمئز لعافي العرف صواب
طلق المكارم فيه وهي طقيقة
كف المكارم عن طوع واخبسات
فكيف لا تحتمي من كل نائبة
وقد حللت بأكناف متينسات
وجاورتك الكرام العرب عن عرب
شم الانسوف جميع غير أشتات
توارثوا المجد عن فهر وأعقبهم
بالفخر عقبة فاستوفوا الكرامات^(١)
كم أسبلوا ذيل عزم أقادهم
واستحدثوا كل مجد غير فتات
وكم وفوا بمواثيق لهم وهـم
من ولد وافي الحلا عالي المزيات
وأحرزوا خصل سبق من مفاخرهم
من كل ساع الى التقديم مصلات
ما زال سبقهم في الفضل متسقا
فيهم وفخرهم مستعلي الصات
حتى تلج صبح العز وانتشرت
أنواره منهم خير أوقـــــــــــــــــاك
بأحمد القوم أخلاقا وأعرفهم
مجدا وأرفع قدرا في السياسات

(١) إشارة الى نسب الغلانيين .

وواسع القوم علما ثم معرفته
لله في الوصف والاسماء والذات
وأبلغ القوم ايقانا وأبينهم
نقية ثم أدرى بالسياسات
ومن هو العلم المشهور سورته
ومن هو المورد المعسول لـلـات
ومن تبلج من أضواء طلعتـه
نور الهداية عن سبل الضلالات
ومن تأرج من أكناف دارتـه
شذا الحقيقة من تلك الحقائق
ومن تفجر من أمواج راحتـه
معارف هي ترياق الجهالات
ومن تصوب بصوب البر منه يد
تحكى هواطلها صوب الغمامات
ومن تبين من معنى عبارتـه
هدى الشريعة في أسنى المقامات
ومن تألف من معنى اشارتـه
يرى الحقيقة فتحا للبصيرات
ومن هدت منه أوراـد توظفها
أهل السلوك الى أعلى المقامات
حتى أناخوا بها في كل مركبة
عز الوصول اليها بالدلالات

واستنزلوا بهداها عن معاقبها
عنقا* مغربة في كل مرقعات
ذاك الامام الذي في رجب ساحة
حططت رحلي وامست فيه حاجبات
ويستباح به في كل مأربــــــــــــــــة
أقصى المراد وأضعاف الشبهات
أعني به السيد المختار من بيده
تهمي عوارف درّات فـدّرات
به تدرعت من همي وعن كـرب
تغشى فواءى ومن وسواس خنات (١)
ومن دنهني وأوزاري ومظلمتــــــــي
فانني أختش منها العقوبيــــــــات
ومن شدائد يرميني بها زمــــــــي
ومن مكائد ذي ضغن ومن عات
بالسيد الغوث أنت المستغاث به
فاشفع بجاهك لي في محو زلات
ما أعظم الذنب الا أن جاهكم
أحظى شفيح أرجى منه مرضات
فداركوني فقد خلفت متبــــــــدا
دون الرفيق بعيدا عن محلات

(١) خنات : خناس .

قد جل خوفي وفي افضالكم طمع
 فيها أنا اليوم في نفسي واثبات
 ان تسعدوني بسبب من نوافلكم
 فقد تحقق لي نيل السماعات
 أو تلاحظوني بعين من رعايتكم
 فقد تهوطت في ظل الكرامات

" بكائية هزجية " :

وقال يرثى أخته :

ايا دهرنا لنا عات	تولى بالرزيمات
وهت أعارها طرا	لوقع من طلمات
ولا درت ليا لينا	تبكينك بمببرات
وقد ذهبت بآباء	واخوان وأخوات
وأعمام وعمات	وأخوال وخالات
و ندى قرين و ندى رحم	وجيران وجيرات
فان الموت أفناهم	فأضحوا بين أموات
فأست دارهم وحشا	بموتات خليعات
ولولا خوف آثام	قرفناها وحبوبات
ومطلع ما وراء المسوت	من هول العظيمات
لهان علي شوقا في	-هم صعب المنايات

لعمرك ما لنا الدنيا	بدار للمسرات
ولكن دار أكدار	وأقذار مصيبات
وما أحد من الناس	من الموت بمنجات
فطوبى لأمري* ولّى	الى الاخرى بنيات
وأعمال له صلحت	وأخلاق نقيت
أعنا ربنا في كل	مل ما يفضي لجناات
ويقصينا من النار	وأثقال شديداات
ويجمعنا وموتانا	بجناات رفيعاات
فرادين عريضاات	وكشبان علياات
ويحظينا بنظرات	اليه من الزبااات
فحمد للذى يقضي	فيعدل في القضاات
وصلى دائما أبدا	على خير البرياات
وأصحاب لــــه والآ	ل سادات وقااات

* جهاد المرتدين :

بانت فعزل على الفؤاد سمما
أُبرى لمن شطت عليه فــــوادر
سعدية من آل بكر شعبها
فطن المسيل مصيفها المعتاار

وتحل في البادين تتجمع الكلا
بحنى اذا ما أجذب السـرواد
حلفت على وعد بهرقة صـاد
ميعاد عرقوب لها ميعـاد
دع عنك ذكراها وذكرى مر به
حلته قبل رسومه الا وتـاد
فدع الميـون تجود دهره سرمد
بدموعها وتشقق الاكبـاد
حرنا على نور أضاء بأرضنا
وهو الهدى في الدين والارشاد
قل المتاع به كأن مقامه
(١)
ظماً الحمار قد انتطته ثمار
خطب جليل حل حين نعو لنا
ذاك الضياء فغاب فيه سـواد
جلت مصيبتنا لفقد حياته
فاذا المصيبة بعدها تـزاد
نجم النفاق وأشمقت لوفاته
بصحابه الكفار والحسـاد
ثارت علينا في الجوانب كلها
منهم خفافيش الورى الا وغـاد
ظنا بأن يستأصلوا أصحابه
ولهم بكل محلة أجنسـاد

والله يَكُونُ نَا وَيَنْصُرْ جَمْعُنَا
وَلَنَا وَقَائِعٌ فِيهِمْ أَشْمَسَاد
يَزْجِيهِمْ لِلْحَيْنِ أَبْرَهَةَ الْغُرَى
فَتَحْزَبُوا وَتَأْهَبُوا وَارْتَسَادُوا
فَعَدَا يَمْنِيهِمْ أَمَانِي فَرِيَّة
وَيَقُودُهُمْ فَتَجْمَعُوا وَانْقَسَادُوا
حَتَّى إِذَا وَرَدُوا بِسَاحَةِ أَرْضِنَا
ضَلَّتْ فَرَاهُ وَضَلَّتْ الْإِجْنَاد
مِنْ بَعْدِ مَا وَرَدُوا حِيَاضَ مَنِيَّة
حَتَّى ارْتَوَوْا مِنْهَا وَهَمُّ أَكْمَاد
حَمْدًا لِمَنْ قَدْ رَدَّهُمْ وَأَبَادَهُمْ
فَضْلًا وَرَبِّي قَادِرٌ وَجْهًا
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّد
وَصَحَابِهِ وَهَمُّ لَنَا الْقَسَاد

"انتصار" :

يَا دَارِ سُلَى بِاللَّوَى فَالْبَاب
قَفَرًا لَطُولِ تَرَاوِحِ الْإِقْطَاب
وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِهَا أَسْأَلُ رَسْمَهَا
إِذْ لَمْ أَجِدْ مُتَكَلِّمًا بِجَوَاب
وَلَقَدْ عَهَدْتُ بِهَا الْحُلُولَ يَزِينُهُمْ
بَيْنَ الْوُجُوهِ ثَوَاقِبُ الْإِحْسَاب

دع عنك ذكرى خودة وديارها
وأوانس جاراتها أتسراب
واذكر بلاء معاشر من قوامنا
ساروا الى الكفار بالهيجاب
زحفوا لهم وقت العشي بجحفل
فيه الجياد لواحق الاقتراب
وجلالها وقوانس مرسومة
وصوارم في عندها وقتراب
فيه الرماح اذا تعد سنابل
للدخن في ابانه المنتاب
وبهتمة وردوا عليهم يومها
أشباه جن حازمين غضاب
سرنا الى * غمكي * وفر * الأسنون *
قواد أهل الشرك والاضراب
نزلوا * كداسي * بالعتو واللبوا
أهل القرى ووادى الاعراب
لما تراينا وأقبل جمعنا
جاشوا بأرماح لهم ونشاب
فاذا جماعتنا تسوق جموعهم
بقنا وكل مجرب قضاب
ولقد تركنا جمعهم بفنائهم
جزرا لطير سغب وذياب

أبلغ * لياشر * ان عرضت رسالة
منى مغلغلة قفى بصواب
ان تبتم بالصدق من أحوالكـم
من نصر أهل الشرك والآنصاب
ورددتم أحرارنا نقبل لكم
واذا أبيتم فاتقوا أصحابي
حمدا لمن أسدى إلينا نصـره
فضلا ورهبى سيد الأرباب
صلو الاله على النبي محمد
والآل خيرتنا مع الأصحاب

* فهل بعد شيب من صبا ؟
لمن طلل فاف بذات بطاح
فأكشاف دارات فذات بهـراج
وقفت به صحبي أسائل ربـعه
عن الحي أيا يعموا بسجـاح
فدع عنك ذكراها وذكر رباعـها
وهل بعد شيب من صبا ومزاج
وحتى متى لا ترعوى بمواعظ
من الدهر بالآصال أو بصـباح
ولم تزل الدنيا تريك تقلبـها
بأخدار أيام بدت بمـتاح

ترك اجتماعا ثم تأتي بفرقة
كجمع من صدروا بيوم مراح
وأنت إلى الشهوات دهرك مسرع
مضيع سبيل سلامة وصلاح
مطيع هوى في أخذه عرض عرى
فيا بش هراج الردى وطلاح
فهل رجعت وتبت من كل وصة
وهلا سلكت سبيل أهل صلاح
وهلا عكفت على القرآن تدهرا
ففي فهم ما هوفيه كل نجاح
وهلا حبست النفس في مشهد الرضا
لاطفاء نيران وفوز قـداح
وهلا عزمتم على الجهاد بمعدة
سيوف وفتيان الوغى ورمـاح
وهلا أقمت على الجهاد مرابطا
وهلا حرصت بها جميع سـلاح
وهلا صمت عن الفضول معوضا
بذكر الآله وهونيل رهـاح
إلى الله أشكو حال نفسي وضميها
وقد لكشت واشتد برح احـاح
فمنك أرجى توبة وصلاحها
وغران ذنب سابق وجـاح

محمد البخارى :

هو محمد البخارى بن الشيخ عثمان بن فودى .

ولد سنة ١٢٠٠ هـ - ١٢٩٤ م فى بيت علم وولاية .. فأبوه

هو الشيخ عثمان بن فودى الولى المجاهد .

نشأ على سيرة حسنة وخصال حميدة من التقوى والزهد والورع
وجهاد فى سبيل الله .. فقد كان من الذين جاهدوا فى بلاد " نفا "
وابلو فى ذلك بلاء حسنا .

ترى فى أحضان والده وعمه الشيخ عبدالله بن فودى .. وأخذ
عنهما وعن بعض أخوته العلم فبرع فى علوم عصره ، وكان لعمه عبدالله
ابن فودى اليد الطولى فى تثقيفه وتربيته تربية روحية .

توفى سنة ١٢٥٥ هـ - ١٨٤٩ م وهو ابن خمس وخمسين سنة ،
بعد حياة مفعمة بأعمال جليلة مثلة فى الجهاد بالسيف والقلم واللسان ..
وكان محمد البخارى شاعرا رقيقا مرهف الاحساس ، يمتاز شعره
بالعذوبة والسهولة والركة والتدفق والانسياب وحرارة العاطفة ..

مختارات من شعره :

" بالأسياف لا بالدفوف " :

الا أبلغ عتيقا من أخيه

ومحض النصح ينفع من يعيه

أتقصد بالفجور أخا كريم

يدافع عن حماك وتزدر يس

وتغرى كل ذى سغه عليه
معاذ الله من سغه وتيه
فان تطمع بذلك نيل طمك
يطيب به المعاش وترضى به
فان الطك بالأسياف لا بالد
دفوف ولا بهشقة السفيه
وكن كأخيك " بِلُّ " تغز بطك
وتعلو فوق كل أخ نبه
هو الكرم الذى قد كان نورا
لنا من بعد سيدنا أبيه
فان مدت حياة أبي عليه
نعش في العز والعيش الرفيه
والا فالفرار الى لصاب
وخرق يلقع من أرض تيه

" جهاد المرتدين " :

أمن أم محمد طمسلان
مخلولقان " بجن " ذى القيمان
وجنب " ثامي " ذى الرباعها
قدم وكل أجش ذى هطسلان
أقوت ديارها سنين فما ترى

(١) فيها سوى الآرام والريسلان

ولقد أطلت بها الوقوف وصحبتني
نسل الديار عن أهلها الغـلان
فأجابنا من بعد طول قائل
أنتم ومن تسلون سـبيان
كيف النواء والاصطبار بهذه
الأوطان بعد أولئك الأعـيان
بل من لكروان تهـدد أعقبـا
وشعالب تسطو على أسـدان
فأصبر فلست على الزمان بقادر
من عاش يلق عجائب الأـزمان
أبلغ لأعداءى إذا ما غرهم
حلمي وامهالي لهم وليـان
اني امروء عند الأحبة طـفـرس^(١)
حلومير للذى عادانـي
أوما علمت انني يوم الوغـا
أروى قناتي من دم الأقران
وأطا عن البطل الكرمه نزاله
ان صد عنه المائل الشجعان
وأزود عن قومي وعن أحسابهم
أهل النواء بشكة ولسـان
حولى أسود ضاربات من بنى
موسى وليد وجاء أهل طعان^(٢)

(١) طفرس : أى لين سهل .

(٢) يشير هنا الى نسب الغلانيين .

سل أهل " زَنْفَر " (١) عنهم يوم التقوا
" بَابِيت " (٢) بعد تحزب السودان
من أهل " بَاوَر " (٣) كلهم وكْتَتَكُرُو (٤)
وسواهم من ناصرى الشيطان
يوم استخف الرعب كل شجاع
بطل وطارت نفس كل جبان
سا روا الينا واثقين بطولهم
بعمر مرم كالليل ذى أركان
فأمدنا رب العلا بسكينته
وكتيبة من قوة الايمان
راجين اجدى الحسنين لجمعنا
من جنة أو نصرة الرحمان
صالوا وصلنا بالشجاع وسمرت
نار الوغى وتناذر الجمعان
وتصابر الصفان تخطف القنا
حيناً وأوغلناهم بطعمان
فأعزنا رب العباد بنصره
وأذل أهل الكفر بالخذلان
ولوا وخيل الله تردى وسطهم
تسقيهم كأس الردى وهوان

(١) سبق أن أشرنا الى انها قبيلة وثنية .

(٢) ، (٣) ، (٤) مواضع .

ولقد تركنا جلدهم في معسكر
جزر السباع وأسفب العقبان
هذا وكم لي من شاهد جملة
شهوة في سائر البلدان
كانت لنا عزا وعند الله ما
قد جاء وعدا منه في القرآن (١)
فله المحامد اذ حيانا نصبره
وأعزنا مع كثرة العصيان
والله نضرب أن يديم لجمعنا
نصرا وتشريفا مدى الأزمان

” وقعة ” كذاكي ” :

ألا من مبلغ عنى كلامي
للقومي بعد توفير السلام
بأننا قد أتينا أهل غوبر
بجمع فيه آساد التحام
كرام من بني روم بن عيص
وعقبة أبرأ من الملام (٢)
بأيديهم سيوف راسيات
مترات الجماجم والبنام

(١) إشارة الى قوله تعالى ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين . . ﴾ .

(٢) يشير هنا الى نسب الغلانيين .

وتحتهم خيول ضامــــرات
طوال جافلات كالحمــــام
نقودهم بتدبير ووعظ
وتشويق الى دار الســــلام
الى أن قد أتينا بعد ظهــــر
ديار القوم في لجب لهــــام
وقد جمعوا توارقهم جميعــــا
ومن يحميهم من آل حــــام
فصفوا واستعدوا ثم طــــاروا
علينا بالرماح وبالسهمــــام
فشد عليهم نفر كــــرام
قولى عنهم جمع اللثــــام
فذاق الموت من بركت عــــيه
وبالناجين أظفــــار دوام
فغادرنا كماتهم وكبــــش
هم جزر لخامة الظــــلام
قتلنا منهم ما ليس بخصــــم
وأبنا بالغنية والســــلام

" بكائية في ابن خالته " :

أسلت أبا رزء الهمام أبي بكر
لعيني دما بعد الدموع على نحري

فتى لا يزال الدهر يولى جميله
ويلقى الرماح والصوارم بالصدر
تراه اذا ما الحرب شبَّ ضامها
يصون كضرغام هزبر أبى أجر
لنعم الفتى قد كنت للهي جنة
تذود الردى عنهم برأىك والسم
وغوثا لمكروب وكهفا لعائذ
وغيثا على العافين في ساعة العسر
فما زال غيث من رضى الله ربنا
يسيل على قبر * بدند * (١) مدى الدهر
أقول لنفسي أسوة وتجلدا
وقد غبضت أشجانها فضل الصبر
أقلني فان الموت حتم على السورى
وكل امرئ يوما يسير الى القبر
هنيئا له نيل المنى من شهادة
وتطهيره من كل ذنب ومن وزر
روح وريحان وأمن ورحمة
وما وعد الشهدا من الرزق والبشر
ونيل الرضى والقرب من خالق الهوى
وجنات خلد والشفاعة في الحشر

(١) دند : موضع .

الوزير الجنيد :

هو محمد الجنيد بن البخاري بن أحمد بن غداد بن ليث
بفتح اللام وسكون الميم . .

ولد سنة ١٣٢٢هـ - ٩٠٧م في بيت دين وعلم ووزارة . .
وهو من أحفاد السيدة أسماء "نانا" بنت الشيخ عثمان بن فـودى
الشاعرة . .

نشأ في كنف والده فتشرف عليه ودرس عليه معظم العلوم
التي كانت تدرس يومئذ ثم تلمذ أيضا على الشيخ مالم بوبى والشيخ
محمد الأول وزير زاريا مستفيدا منه وغيدا . .

قام بعدة رحلات الى الشرق فزار من البلاد العربية مصر والعراق
وليبيا والسودان والقدس . . وقد كتب عن بعض هذه الرحلات.
له عدة كتابات ومقالات منها :

- ١ - ضبط الملتقطات .
- ٢ - افادة الطالبين ببعض قصائد امير المؤمنين محمد باللو .
- ٣ - عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ .
- ٤ - ديوان قصائد الوزير .
- ٥ - تغريج النفس بذكر زيارة العراق والقدس .
- ٦ - روائع الا زهار من روض الجنان .
- ٧ - متحف الاخوان لما أتى في الكشف والبيان .
- ٨ - تحفة الاخوان ببعض ما لشيخنا عثمان من كرامات .
- ٩ - تعليق وجيز .

- ١٠- تجديد ذكر السادات .
- ١١- تجديد ذكر الشيخ .
- ١٢- نسق كتاب سعد على حروف أبجد .
- ١٣- نيل المرام .
- ١٤- تأنيس الأحياء .
- ١٥- اسعاف الزائرين .
- ١٦- التحفة السنية .
- ١٧- قلائد العقيان .
- ١٨- تسلية القلوب .
- ١٩- تنبيهات أمير المؤمنين محمد بللو .
- ٢٠- مجموع الدعوات والتوسلات .
- ٢١- اتحاف الحاضر برأى المسافر .

هذا ويتمتع الوزير الجنيد بشاعرية نادرة فهو جيد الشعر، يمتاز شعره الغنائي بالتدفق والانسياب والتعبير التلقائي، مزاجا فيه بين الجزالة والسهولة، كما يجنح في شعره التعليمي الى الرقة والسهولة، وهو الجنس الذي أكثر منه إكثارا..

مختارات من شعره :

"مناجاة الطلول" :

ظعن الذين عهدت في ذا النادى

إذا وقوفك في الطلول تنادى

وعلام تنكي من بكاء حمامة
في ايكة تشدو على التـرداد
والدمع يجرى فوق نحر سائلا
كالما يجرى في سيل السواد
ذهبوا وغير رسم دارهم البلوال
المردى وطول تهجر وبعداد
حتى كان ذراهم لم يخشها
ذو حاجة من رائح أو غادى
صارت مراتع للوحوش بعيد أن
كانت مقاصد حاضر أو يسادى
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لائذة على الأعـواد
قامت تخاطبني فعز كلا مهـا
وَلَكُمْ سَكُوتٌ مَعْلَنٌ بِمَرَادٍ
وتدير عينيها تشير بـذاك دو
والدهر غير ما ترى في النـادى
وظننت ففهمت منه ظنون الـ
أحوال في الدنيا فعز رقبـادى
لم لا أناد في الطلول وهذه الـ
أطيار فوق غصونهن شـواد
ألوانها ما بين أبيض ناصـع
أو أحمر أو مشرب بسـواد

تشدو وترقص في حلل أرياشها
رقص القيان بحلة الأعمار
أسفى على طلل يمازحني متى
ناديت خالفني على المعتاد
ناديته يا أيها ذا النصارى
فأجابني يا أيها ذا النصارى
لما سكت دنت إلي حمامة
مغيرة تهدو كلون رمداد
فسألتها أين الذين عهدتهم
قالت لقد بلغوا على الميعاد
قلت أخبريني من تخلف بعدهم
قالت تخلف دولة الأكبراد
مالي أرى دول الكرام وضعفة
قالت علتها دولة الأوغاد
فسألت ما خلق الذين تخلفوا
قالت ذو وفحش ذو وأحقاد
لا تكذبنني يا حمامة اكشفي
قالت ذوو حسد ذوو أفساد
هل يحسد الرجل الكبير صغيره
قالت فذلك عادة الأكبراد
فسألتها مالي أراك هزيلة
قالت لكثرة لوعتي وسهاد

ما بال لونك مغبرا متغيرا
قالت لست علي ثوب حسدار
ماذا وقوفك هاهنا في وحشة
قالت لا نديهم على الأوتار
هلا قفوت اليهم آثارهم
قالت قعدت لقلّة الأزوار
رحم الاله جميع من مكثوا هنا
آمين وشتت دولة الأوغاد
وأعاد دولة من عهدت بهم هنا
أهل التقى والجلود والارشاد
ثم الصلاة على النبي وآله
وصحابه أبدا الى الميعاد

”دموع علي أخت شيخه“

عظم المصاب فعزفيه عززا
ونى البكاء ولا يفيد بكاء
حار الغواد فليس يبصر مسلكا
للصبر أو يأتي اليه شفعا
وجرى الدموع على الخدود كأنها
فؤارة أو مزنة هطلا
وبقيت مكثبا وزادت وحشتي
و جزعت يوم توفيت حسوا

لا رزء أعظم عندنا من فقد هـا
قد أزعجت من موتها الصلحـا
ميمونة أخلاقها مرضيـة
أفعالها شهدت به النبـلا
أحسن بها صوامـة قوامـة
ومتينة من دينها شـمـا
زهادة وراعة دراسـة
القرآن قد شهدت بذي الانـا
وتببت دائة الخشوع لربها
ولذكره حتى يفسى الاسـا
ويظل ذكر الموت يزعم قلبها
وبربها أنى يكون لقـا
دأبا تحذر من متابعة الهوى
علمت بذا القربا والبعدا
ويسرها ما سر أهل الله من
قول وفعل نفسها سمحـا
أبدا تحاسب نفسها وتراقب
المولى على ما تفعل الرقبـا
وتببت باكية العميون لخوفه
بتواضع يرضى به الأدبـا
نفاعـة للناس بالتفسيروالـ
إقرا قد شكرت لها الطلبيـا

حمالة الاثقال بل حنانة

للمعتفين وكفها معطاء

ما كنت أقدر عدهاتيك الحلوى

يكفن القليل وفي القليل كفا

فاله يرحمها ويشكر سعيها

ويعمها منه الرضى وحبها

فاله يرحمها ويوسع قبرها

بمحمد ويعم فيه ضيها

فاله يملأ بالنعيم ضريحها

ويزورها السعداء والشهداء

فاله يونسها ويذهب خوفها

وتكون حيث تنو الأمان

يا رب الحقها بخير الانبياء

وبمن هم من بينهم رحمها

واغفر لها يا رب وارحمها وكن

متفضلا بها من لــــه الآلاء

كن خير كاف نسلها واحفظهم

من كل شر ما بدا الامساء

ثم الصلاة على النبي وآله

ما أنشدت أشعارها الشعراء

يتلو السلام عليه مع أصحابه

والتابعين متى استجيب دعا

"في طريق الى خرطوم" :

(١)
مخرجنا بعون الله في "غس" الى الـ
مطار وكنا كالظهور البواكير
قطارت بنا من "يرو" (٢) ولاجة الهوا
تدافع أمواج الهوا في الهواجر
تخوض صباب الجوع عند ارتفاعها
وتلأه من صوتهها بالزواجـ
مجوفة فيها كراسي صفقت
ملينة بالخيش برا لزائـ
ونفعل فيها كل شي "نريده
كاكل سوى تدخيننا بالسجائر
نزلنا "جنينه" للغذاء وبعد ذا
(٣)
ك طرنا ولم ننزل سوى عند "فاشر"
فعدنا اليها ثم طارت وشرقـ
وقد بعدت عنا أراض النياجـ
الى أن انخناها وفازت يد النوى
بخرطوم (٤) فانجابت هموم المسافر

(١) غس : مدينة .

(٢) يرو :

(٣) جنينه وفاشر : مدينتان .

(٤) عاصمة السودان .

وعند غروب الشمس تم نزولنا
فأقبل ليل سدل بالدياجر
فلاحت لنا بالكهرباء كأنهم
نجوم بدت أو كالبدور المواقر
فلما انتهينا واطمأنت نفوسنا
نزلنا "بلوكند" اليهن المناظر
به ألف صباح تضيء كأنهم
وجوه حسان في معالي المناير
ظن شاطيء النيل المبارك قد رسى
نشم الصبا منه يحرق القناير
ننتع فيه كل يوم عيوننا
بما نشتهي مثلج للضائير
زوارق تأتي وتذهب دائما
تعيث على التيار ميس الحرائر

* تضرع الى الله * :

يا رب أنت الذى ينجويه الناجي
من كل شرمض في الورى فاج
ادرك بنا يا غياث المشتغيث به
انا لفي ليل حزن في الحشا داج
فرج ونفس سريعا كربنا وقتنا
شر العدى معشد منهم ومدلاج

استضعفونا وصاروا بهزءون بنا
تكداد ففتنتهم ترم بأمواج
يا رب رد عليهم شرهم وقنا
من بأسهم واهمنا من كل ازعاج
شتت أمورهم بدر جموعهم
وانزل عليهم بهأسك عجاج
"قد أفسدوا الدين والدنيا لحسد هم
تري علامتها من بين أوداج"
تتبع لعيوب الناس ديدنهم
ما بين منهمك منهم وولاج
الخير ما فعلوا والشر ما تركوا
ورأيهم أخذوه خير منهم
فقد قصدتك في أبطال ما صنعوا
وأنت يا رب كافق الخائف الراج
يا رب ان العدى يسمعون في تلقى
ويزعمون بأنني لست بالناجى
يا رب صل صلاة لا تعد على
من قد خصت بأسرا ومعرّاج

" نصائح " :

جهلت ولكن أذهلتك الفؤادح
وكيف يطيش العقل والأمر واضح
جهلت بعيد العلم من عظم ما ترى
لذلك لا يجديك بالنصح ناصح
نسيت بما يلى عليك دروسه
زمانك قبل اليوم والزهر فاتح
وما كان يمليه الكتاب عليك من
مجايب دهر صرفه لك شراح
فلا تخش من جور الزمان وكهده
فما زال قدما بالرجال يناطح
والأفان الأولون وما بنوا
وهل بقني المرجوح منهم وراجح
كفك اتماظا يا أخوتي فلا تكن
كمن يشتكي الاظلام والصبح واضح
ورد جميع الأمر أمرك كله
الى الله لا يثنيك عنه الملامح
وفوض اليه الأمر يكفيك كما
مراك فان الدهر آت ورائح
وسلم اليه الأمر وارض بحكمه
ومن يعتصم بالله ذلك رابح
الهي اكفني دنيا وأخرى ورزقا
واحسن ختامي يوم تبكي الفوائح

وصل على المختار أحمد من به
نلوث ليوم عزفيه السامح
وسلم عليه ثم بارك وآله
وصحب أولي الخيرات ما ساج ساج

” لا منجا ولا ملجأ من الله الا اليه “ :

نام الخلي ولم تتم عيناك
مضى الفؤاد لعظم ما يفشاك
الذكر سلم حين شطت دارها
أم نوح ساجعة الدجى أهكاك
أم نفسك السهوى الخبيثة سلطت
سهم المكائد باغت فرماك
هلا الى مولاك تبت ولذت لا
ملجأ ولا منجا سوى مولاك
فوض اليه الأمر كلا واظلمين
منه فيكشف كل ما آذاك
وتوسلن بمحمد خير الوصي
وتشفعن به لكل دعاك
صل على الله مع أصحابه
شهب الهداية نورت أحلاك
ربي به وبهم جميعا نجسي
وأدم لقلبي دائما ذكراك

وأذقه لذته ومعرفة معــا
والزهد في الدنيا وحب لقاكــا
وادفع خواطري الرديئة كلها
عني وثبت في الفؤاد هداكــا
واختم حياتي بالسعادة مؤمنا
بك يا الهي فائزاً برضاكــا
وارحم الهي والدي وأخوتي
واغفر لهم ولكل من ليأكــا
وأدم صلاتك والسلام على النبي
أخزيت شأنه بأعطيناكــا
وعلى صحابه الكرام وآله
ما فاز عبد بالنبي ناداكــا

الفصل الثالث :

الملاحح المميزة للسعر بعزلي في عزلي افريقيا .

من خلال دراستنا للشعر العربي في غربي أفريقيا ، نستطيع
أن نحدد الملامح المميزة له فنيا فيما يأتي :

أ : امتزاج الروح الدينية بمختلف أغراض أشعارهم ، كما
امتزج وصف الطبيعة في أشعار الأندلسيين بمختلف أغراضهم ..
ومن أمثلة ذلك قول عبدالله الوزير في بائيته التي وصف فيها
فساد أهل زمانه :

يقولون ما لا يفعلون وتابعوا
هواهم وطاعوا الشح في كل واجب

مستوحيا فكرته من قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ
أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ .. ﴾ الآية . (٢)

(١) سورة الصف الآية ٣٠

(٢) سورة الجاثية الآية ٢٣

ويظهر ذلك في قوله أيضا :

وليس لهم علم ولا يسألون عنه

وأعجب كل رأي في العذاهب

فهو في هذا البيت يشير الى عدم امتثال القوم بمبدأ الاسلام في قوله

تعالى : * .. فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * (١١)

وقوله كذلك في تهاونهم بصلة الرحم :

و قطع أرحاما وأرزی معارفـا

وآثر عن قرباء جمع الأشائب

مستطهما فكرته من قوله تعالى :

* ... ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض

أولئك عليهم اللعنة ولهم سوء الدار. (٢)

وقوله أيضا في عدم تعميرهم للمساجد :

وما همهم أمر الساجد هل ولا

و مدارس علم بله أمر الکتائب

مشيراً الى قوله تعالى :

(۳) * انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . . *

(١) سورة النحل الآية ٤٣ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢٥.

(٣) سورة التوبة الآية ١٨ .

ويقول الشاعر اسماعيل في الرثاء «بينما حال الدنيا التي تنفد
ومحذرا من الاغترار بها :

الله أكبر ذي الدنيا لغنا»

خلقت وما خلقت أخى لبقنا»

دار كثير حزنها وهمومها

ما أضحكت الأتت بيكنا»

كانت على كدر ونحن نرومها

تبقى لنا بمسرة وصفنا»

وهو ينظر في ذلك الى الآيات الكريمة :

* كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام * (١)

وقوله تعالى :

* ... وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور * (٢)

ويقول الشاعر ذوالنون في المدح :

أما يتيم عند هذا الشيخ لم

يقهر وسائل جوده لم ينهمر

مقتنسا من قوله تعالى :

* فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر * (٣)

(١) سورة الرحمن الآية ٢٧ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٠ .

(٣) سورة الضحى الآية ٩ ، ١٠ .

ويقول أيضا في الرثاء راضيا بالقضاء والقدر :

فما لنا بعده الا الرضى بقضـا

* الله باري البرايا كاشف الكسرب

والرضا بالقضاء والقدر من صميم مقاصد الاسلام بل هو من أركان

الايان الستة.

وها هو ذا أحمد عيان سه يقول في الرضا والصبر على القضاء

والقدر وذلك في رثائه للشيخ زين الحامدين :

يا أهل فوت نعي الناعون سيدنا

فلتصبروا فعظيم الأجر للصبر

ليس البكاء بمجد فيه خردلة

والصبر أجمل للمقدور والقدر

لو كان يفدى فديناء بأنفسنا

والموت لم تنج منه شدة الحذر

وهو ينظر الى قوله تعالى :

﴿ ولتبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس

والثمرات وبشر الصابرين ، الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله واننا

اليه راجعون ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ (٢)

(١) سورة البقرة الآية ١٥٦-١٥٧.

(٢) سورة النساء الآية ٧٨.

ويقول أيضا في فناء البشر والمخلوقات جميعا :

ومن على الأرض فان لا بقاء له

ولو تمطى الى الجوزاء "أوزجسل

وهو اقتباس من آية سورة الرحمن التي سبق أن أشرنا إليها. ^(١)

ويقول أيضا داعيا القوم الى الاعتصام بحبل الله المتين :

ماذا التدبر والاسلام يجمعكم

والطبع واللون والانساب والوطن

صلوا عقود حبال الوصل بينكم

ولا تكن بينكم يا قومنا الا حـنـ

وهو في هذه الأبيات يستلهم قول الله عز وجل :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رَیْحُكُمْ ﴾ (۲)

وقوله تعالى :

(۳) * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .. *

وَيَدْعُو الْقَوْمَ إِلَى تَعْمِيرِ الْأَرْضِ وَهُمْ يُسَلِّمُونَ :

ولتعمروا بلدا تستوطنون —

ولتَمَلَّأوه بهساتینا وأممنا وال

بِذَاكَ فَايْغُوا رِضَا الرَّحْمَنِ وَاتَّبِعُوا

مراده في بقاء الناس أجيالا

(١) وهي الآية رقم ٢٧ .

(٢) سورة الانفال الآية ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

لا تغفلوا بنزاع سوف يهلككم

مستسكين بما المولى لكم قـالا

وأحمد عيان سه في هذه الأبيات يستقي أفكاره من قول الله
جل وعز * هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها . . * ^(١) وقوله أيضا
في آية الأنفال السابقة. ^(٢)

ويقول أيضا في وصف مدينة "أندر" :

سما* صحو نجوم الأرض تكلو* ها

قد أشعلت لرجوم الجن اشعالا

فقد استوحى فكرة رجم الجن سترقي السمع بالنجوم الثواقب
من مجموع الايات الأربع من سورة الصافات من قوله تعالى :

* ان زينا السما* الدنيا بزينه الكواكب ، وحفظا من كل شيطان
مارد ، لا يسمعون الى الملا* الا على ويقذفون من كل جانب ، دحورا
ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب * . ^(٣)

وها هو ذا القاضي مَجَّحَتْ كُلَّ يَمَدَحِ الأُمير لتَجُور بقیامه
بمهمة الأُمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقول :

بشرى لقد شاد دين الله "لتجور"

فأحسبي اليوم بالاسلام "كجور"

(١) سورة هود الآية ٦١ .

(٢) وهي الآية رقم ٤٦ .

(٣) من الآية ٧ الى ١١ .

تطفيه بأمر بالمعروف عسكــــره
كأننا جاءه من ربه النــــور
وهل ترى ناديا فيه تمر بهــــه
الا ويسمع تهليل وتكبيــــر
وفكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أساسيات مبادئ
الاسلام وان الخيرية التي وصفت بها أمة محمد عليه الصلاة والسلام منوطة
بالقيام بهذه المهمة على أكمل وجه .. يقول تعالى :

* كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتو منون بالله ... * (١)

ويقول الشاعر أيضا في المدح نفسه شيدا بجهاده :

أقام سبعة أعوام يبارزهم
حتى رأوا أن جند الله منصــــور
وهو ينظر الى قوله تعالى :

* ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون * (٢)

ويقول أيضا في القصيدة نفسها :

حمدا اذا ما النصارى أخرجوا فلنا
من بعدهم لديار الدين تعمير

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٢) سورة الصافات من الآية ٧٢ - ١٧٤ .

أخرجتهم بحروب ذكرها أبدا

باق بقاء جبال الأرض مشهور

شيرا الى المطلب الاساسي لخلق الله الانسان من على هذه
الأرض وهو تعميرها بالطاعة والعبادة ونفع العباد. (١)

وتقول أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي في رثاء صديقتها :

وذكرني موت الحبيبة من مضي

من الأخوات الصالحات المعائل

من الصالحات القانتات لربهم

من الحافظات الغيب ذات النوافل

ناظرة في صفاتها الى قوله تعالى :

* .. عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن

سلحات مؤمنات قانتات تائبات عابدات شيبات وأبكارا * (٢)

وقوله تعالى * .. فالصالحات قانتات حافظات للغيب

بما حفظ الله .. * (٣)

وتقول في ذلك أيضا :

واني لحكم الله راض وانما

أراعي بما قد قلت حق الأخوة

(١) - راجع الآية السابقة من سورة هود رقم ٦١ .

(٢) - سورة التحريم الآية ٦ .

(٣) - سورة النساء الآية ٣٤ .

وأبكى عليها بالدموع ترحمًا
وشوقًا وتحنانًا لصدق المودة
ولم يمه عن هذا النبي وانما
نهى عن صراخات بآء وآهه
مشيرة الى ممنوع البكاء والحزن على الميت.
ويقول محمد البخارى في الجهاد مشيرًا الى وعد الله المصدق
للمجاهدين :

فأمدنا رب العلاء بسكينه
وكتيبة من قوة اليمين
راجين احدى الحسين لجمعنا
من جنة أو نصره الرحمن
فأعزنا رب العباد بنصره
وانزل أهل الكفر بالغيذلان
فأفكاره في الجهاد كلها مستقاة من تعاليم الاسلام في هذا الباب ، فالله
تعالى يمد المجاهدين في سبيله بالسكينة بقوة ايمانهم به . يقول تعالى :
﴿ ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ... ﴾ الآية (١)
والمجاهدون في سبيل الله يرجون احدى الحسين ، اما النصر
واما الشهادة وكلاهما خير للمؤمن . قاله تعالى يقول :
﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (٢)

(١) سورة التوبة الآية ٢٣ .

(٢) سورة محمد الآية ٨ .

ويقول أيضا :

✽ ... والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم
ويصلح بهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم .✽ (١)

والله ناصر المؤمنين والمجاهدين ومذل الكفرة والطحدين ، يقول
تعالى :

✽ ... وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
الكاافرين ✽ (٢)

ويقول عن الزهد في الدنيا :

وازهد عن الدنيا فان نعيمها

أضغاث أحلام وظل زائل

متأثرا بقوله تعالى :

(٣)
✽ وما الحياة الدنيا الا متاع الزور ✽ .

ويقول في الرثاء :

أقلي فان الموت حتم على السورى

وكل امرئ يوم يسير الى القبر

ناظرا الى قوله تعالى :

✽ .. كل نفس ذائقة الموت ✽ . (٤)

(١) سورة محمد الآية ٥٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٢٧ .

(٣) سورة الحديد الآية ٢٠ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٥ .

وها هو ذا محمد سنبو يقول في لاميته الزهدية :

ليس للانسان الا ما سعى

فليكن سعيك احسان الفصال

مستلهما قوله تعالى : * وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى * . (١)

وفيها يقول أيضا :

كف عن أمر اذا ما اشتبه

تتج من خوض غارات الوصال

راميا الى قول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

" دع ما يريبك الى ما لا يريبك " . (٢)

ويقول أيضا :

واكظم الغيظ ولا تفضبط على

طيش جهال هم أهل الضلال

مقتبسا من قوله تعالى :

* والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * (٣)

(١) سورة النجم الآية ٤٠ - ٤١ .

(٢) رواه الترمذى والنسائي .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

ويقول أيضا في التقوى :

ولباس الهر والتقوى البسمن

وتعمم بحميدات الخصال

جامعا مقاصد الاسلام في الحث على البر والتقوى والتخلق بكارم الاخلاق
وناظرا الى قوله تعالى : *... ولباس التقوى ذلك خير..* (١)

ويقول في مراعاة حق الجار :

وأذى الجار ابتعد عنه وان

هو آذاك فقابل باحتمسال

مستوحيا قول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام :

” واللہ لا یوۓ من واللہ لا یوۓ من واللہ لا یوۓ من ، قیل : من
یا رسول اللہ ؟ قال : من لا یأمن جاره ہوائقہ : (۲)

۳) "ومن كان هو* من بالله واليوم الآخر فليكرم جاره

ويقول أيضا في حفظ الأمانة ووفاء العهد :

والأمانات احفظنها لا تخسبن

أوف بالمعهد تكن خير الرجال

مشيرا الى قوله تعالى :

* ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها * (٤).

(١) سورة الأعراف الآية ٢٦ .

(۲) رواہ مسلم .

(۳) رواہ البخاری و مسلم .

(٤) سورة النساء ٥٨ •

وقوله عز من قائل :

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (١)

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة . . على أن هذا الطمح ظل يلزم الشعر العربي في غربي أفريقيا في جميع أغراضه ولم يتخلف عنه لحظة من اللحظات . . ولا غرابة في ذلك ، إذ لولا الدين الاسلامي لما كان للقوم شعر باللغة العربية .

ب : الصور والأخيلة والمعاني والأسلوب ، مقتبسة غالبا من ثقافتهم الأدبية في الشعر العربي القديم . .

فمثلا عندما نقرأ شعر القوم نجدهم يعمدون الى التشبيهات القديمة المحفوظة والصور الشعرية المكرورة في الشعر العربي القديم ، فإذا شبهوا المرأة الحسنة فهي تحكى الظبي في كناسه والبدر في سمائه وهي مهابة وألحاظها سيوف باترات وقدها غصن يثنى ونهـود الحسان كالرمان وخدودهن كالفتاح وعذوبة ريقهن كالخمر المعتقة ويتمطنن كالرماح وخصورهن كأحقاف بدعص . . الى غير ذلك من القوالب الموروثة . .

فمثلا يقول أحمد عيان سه يصف حسان " كولخ "

وبدورا بها فتن مقسولا

ولحاظا بها رمين جفانسي

(١) سورة الاسراء الآية ٢٥ .

وظبيا بها أغنى كحيــــــــــــلا
فاتنا فاطر الجفون سبــــــــاني
فتن القلب دله فشجــــــــاه
يا لقلبي من ذلك الفتــــــــان
ويقول يونس ذو النون في الغزل :
فتفوق أوجهها البدور وتزدري
نفحاتهن بكل سك أذفــــــــر
مهاشدا شاد أطن قدودها
كفصون بان غباريح صرصر
ويقول في قصيدة أخرى غزلية :
معازفها تشجن القلوب رنينها
فتهتز أغصانا قدود غــــــــوان
ويقول : الهادي توري في وصف حسانه :
ونساءها حور حسان خــــــــرد
ظبيات وجرة كاملات الرونق
فلئن رنون فذاك أقتل للفتى
من ضرب أسياف ورمي البنــــــــددق
ويقول أيضا في القصيدة نفسها :
راد تخجل فيه يوحا وجهها
بدل السراج لدى الدجى للطرق
لا علم لي أبقدها أم خدهــــــــا
أم جيدها أم قولها المترفــــــــق

تسبي العقول وتسترق قلوب جند
حس غير أني كالا سير الموشق
والقد غصن واللهب كغدها
والجيد جيد الرثم عند المطرق
ونجدهم يقلدون القدامى في مناجاة الحمامة عند الغزل ، فها هو ذا
احمد عيان سه يقول في الغزل :
أنح وقد ناحت بقربي حمامة
بهيجهما نحو الهكاه هديــــــــــــــــل
ودوني يعقوب على فقد يوسف
وترحني وقت النواح شكــــــــــــــــول
ويقول في المعنى نفسه الشيخ الهادي توري :
فأقول عند سماع نوح حمامة
يا جارتى ماذا دعاك لأــــــــــــــــق
ويتابعون القدامى في وصف الليالي الوصل وأيامها بالقصر ، فها هو الشيخ
الهادي توري يقول :
ولرب ليل مثل ابهام القطا
بتناه فوق سريرها في عيهق
أعوامها مثل الشهور شهورها
مثل الليالي ليلها كالمبــــــــــــــــرق
وفي وصف طول ليل الهجر والصدود يقول الوزير الجنيد :
تظاول ليلي واستمرت سامسي
وفاضت على نحرى بحور المدامع

وت أرامي النجم في غيب الدجى
أشير اليه تارة بالأسبابـــــــــــــــــ
وصرت أمني الصبح حتى كأنني
أبيت على جمر من النار لا ذع
ومن مظاهر متابعتهم القدامى اقتباس معانيهم في شتى الأغراض فمثلا
يقول الهادي توري في وصف محبوبته :

لونال ذو سقم بفيها قلبــــــــــــــــة
كان الشفاء له بدون ترفــــــــــــــــق
وهو معنى قديم سبق اليه الشاعر .
ويقول أيضا في وصف ركو به :

ومطاء يبرق حابيا متطــــــــــــــــاولا
اعلى نرى نيق الجبال الشهبــــــــــــــــق
وكانا وقع السنايك في الكســــــــــــــــدى
زند المقدح أوحاحب مخفــــــــــــــــق
فوصف سنايك الخيل في القوة والصلابة وصف قديم قدم الشعر العربي ،
فها هو ذا منترة يقول :

وحوافر الخيل المتاق على الصفا
(١) مثل الصواعق في قفار الغدقــــــــــــــــد

ويقول أيضا في مبارزة الأقران :
فلربما بارزت وحدى فتــــــــــــــــية
كمديدكم بطعمان رمح مزرــــــــــــــــق

(١) وصف الخيل في الشعر الجاهلي ص ١٢٦ د / كامل سلامة الدقس ،
ط / دار الكتب الثقافية - الكويت .

وأثرت فيهم قسطلا متراكما
طاشت به الباب ذاك الفيلق
حتى تبدل ليلة ذاك النهي
ر وما النجوم سوى السيوف البرق
وهو مأخوذ من قول بشار بن برد :
كان مثار النقع فوق رؤوسنا
(١) وأسيفنا ليل تهاوى كواكبها
ومن اقتباسهم من معاني القدامى الفخر بالشجاعة في مناظرة الأقران ،
يقول محمد البخاري :
وأطاعن البطل الكريه نزاله
ان صد عنه امثال الشجعان
فهو يأخذ عن عنبرة وغيره حيث يقول :
ومدحج كره الكماة نزاله
لا معن حربا ولا مستسلم
جاءت له كفي بعاجل طعنة
(٢) ورشاش نافذة كلون العندم
ومن ذلك أيضا ارتباط صورة القتل والجرح بالطيور والسباع والضباع

(١) ديوان بشار بن برد ج ١ ص ٣١٨ شرح محمد طاهر بن عاشور ،

ط / لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة .

(٢) ديوان عنبرة ص

يقول محمد البخاري :

ولقد تركنا جلعهم في معسكر

جزر السباع وأسفب العقبان

ويقول في ذلك أيضا القاضي مجخت كل :

ورب يوم به العقبان قد حدثت

فعل العوالى وفعل البيض والنسر

ويقول أيضا :

مارالنسور مرارا والضباع معا

منهم وهل جمع " أهل الشرك مكسور

ما زال يضربهم بالبيض يطعنهم

حيث الرصاص مع البارود منشور

لم يشتك الجوع من نسر ومن ضبع

الا وهامهم في البهد مجرور

وهي صورة تكررت كثيرا عند أبي تمام والمتنبى :

ولعل أوضح مثال على محاكاة القدامى والاعتباس منهم في الصور

والمعاني وصف القاضي مجخت كل لجيش " لتجور " حيث يقول :

ومن " منداخ " جمعت الخيل يركبها

مرد علامتهم حلق وتقصير

مثل الجراد بهم غص الغلاء وقد

فاظوا وفاروا كما قد فار تنور

يبادرون حياض الموت قاطبة

شم العرائين أبطال مشاهير

فلرب ليل مثل ابهام القطا
بتناه فوق سريرها في عيهق
لا سيما ليل طرقت خباءها
وهنا وبتنا في تمام المأنق
فكأن بردي من ماضرتي لها
من بعد فرقنا لطيف الزئبق
حتى اذا استبدلت نكهة ثغرها
من أذفر الصك الذكي المعبق
نبح الكلاب وصاح ديك الحي وان
تشر الضياء فهاينا كمصفق
قلقت وقامت تشتكي غير الرقيب
ب وجهها متغير للمقلق
قالت لاشفاق الهلاك علي يا
هذا ألا تحت السرير اخرنيسق
كشر الرجال على الطريق وكلهم
بطل غير رمحه ذو مسرق
فأجبتها والله لست بفاعل
وستعلمين بأنني لم أخفق
أما القتال اذا تعرض لي فلا
أبدا أرى بمجن عمر أتقي
هذا ويصل باقتباسهم من القديم ظاهرة الوقوف على الاطلال ، فها هو ذا
محمد بللوي يقول :

يا دار سلمى باللوى فالباب
قفر الطول تراوح الأقطاب

ولقد وقفت بها أسائل رسمها
ان لم أجد متكما بجواب
ولقد عهدت بها الحلول يزينهم
بين الوجوه شواقب الأحساب
دع عنك ذكرى خودة وديارها
وأوانس جاراتها أتسراب
ويقول أيضا :

لمن طلل عاف بذات بطحاح
فأكناف جارات فذات هراح
وقفت به صهي أسائل ربعه
عن الحي أيا سموا بسجراح
فدع عنك ذكراها وذكر رباعها
وهل بعد شيب من صبي ومزاح
ويقول في نفس الموضوع أيضا الشيخ الهادي توري :

لمعان برق الليل نحو الشرق
أبدا هوى قلبي بنور مشرق
آه على أطلال دار أحبيبة
لي البرق خيلها كروء يا المخفق
فتخيلت لي دار عزة والربها
ب وفرتني والكل كالمتحقق
فوقفت أبكيها ولا كبكاء خنـ
حما على صخر ولا كمالخر نسق

ويقول في ذلك أيضا محمد البخاري :

اصحوت أم هاجت هواك منازل
عفى معارفها البلى وهواطـل
بتلاع " شافى " أو " بجن " فـما بها
الا نعام ترتعى وفراءـل
دار عهدت بها الحلول وكل من
أهوى معى والعيش غضن باجل
ولقد وقت برسمها مستخبـرا
عن أهلها والدمع منى سائـل
لله درك هل وقوفك نافـع
برسومها أم هل لدمعك طاءـل
فدع الديار وذكر أخدان الهوى
وخرائد في مشيها تتمايـل

ويقول أيضا في قصيدة أخرى :

أمن آل أم محمد طلـلان
مخلولقان بجن ذى القيمان
وبجنب " شافى " ذى الربا عفاها
قدم وكل أجش ذى هـطـلان
أقوت ديارهما سنين فما تـرى
فيها سوى الآرام والريـلان
ولقد أطلت بها الوقوف وصحبتي
نسل الديار عن أهلها الخـلان

فأجابنا من بعد طول قائل
أنتم ومن تملونه سيمان
ويقول الوزير الجنيد في نفس الموضوع أيضا :
ظعن الذين عهدت في ذا النادى
ماذا وقوفك في الطلول تنادى
وعلام تهكي من بكاء حمامة
في أيكة تشدو على التــــرداد
والدمع يجرى فوق نحر سائلا
كالما يجرى في مسيل الوادى
ذهبوا وغير رسم دارهم البلى الـ
مردى وطول تهجر وبمسار
حتى كأن ذراهم لم يفشها
ذو حاجة من رائح أو غادى
صارت مراتع للوحوش بعيد أن
كانت مقاصد حاضرا أو بادى
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لا ثمة على الأعــــواد
ويقول أحمد عيان سه في الأطلال أيضا :
أ ان عرضت بسلع دارس الطلل
اجريت ما كان في عينيك من بلل
وقفت في الدار محزونا تسائلها
عن سا كينيتها فلم تسمع ولم تقل

وأجهل الناس من يهفئ الجواب لدى
ربيع محيل بعيد العهد بالحلل
يظل فيه سوام الريح منجفلا
بعد الأوانس والأنماط والكلل
ويقول ذو النون في مقدمته الغزلية :
عفت لسعاد من يهرين دور
على أطلالها أسفا ندور
وقد كناها والعيش صاف
وكاسات الهوى كنا نديـر
تجيب الصاهلات كران شاد
يرن لنا كما يطن الزبور
وعهدى عن مساكنها الخوالي
لها حجج وتلوها شهور
فأسى الريح لم يؤنس طمعا
به الانشيم أو زئير
ولم يسمع لذى الأطلال الا
عواد أو بنام أو صفيـر
ونلاحظ أن شعراء غربي أفريقيا في وقوفهم على الأطلال قد تقصوا
أسلوب القدماء فيه ، فوصفوها متناولين جميع عناصرها من الرياح التي بدلت
معالمها والأطمار التي عفتها والغزلان والبقر الوحشي وغيرها من الحيوانات
التي حلت بالأطلال بعد رحيل أهل الديار . ثم اثار الديار من نوى
وأنماط وكل ..

ج : توظيف ثقافتهم العلمية من تاريخ ونحو وصرف وفقه
وحديث وحساب وتنجيم وفلك ومنطق وغير ذلك في لغتهم الشعرية ..
فها هو ذا أحمد عيان سه يقول في الرثاء موظفا ثقافته التاريخية
عن مقتل حسين بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه :

كان نعيشك شمس اذ تسير بـهـ

ضيفا الى الروضة الفيحاء ذى الحزن

تخال نعر حسين في بكاء وأسـى

بكربلا بين مكبود ومتهمـن

ويستفل ذوالنون أيضا ثقافته التاريخية في مدح الشيخ أحمد بـهـ
فيقول :

ما مثله كسرى علا ومهابـة

بل دون ماواه جلالة قيصر

ويقول أيضا موظفا ثقافته في علم الحديث :

بل ما حكى حاك بديعا مثله

بل لم يعنعن في ممر الأعصر

مشيرا الى العنينة في رواية الحديث ..

ويوظف ثقافته في الادب في احدى غزلياته فيقول :

يسير بشوقه قيس وإنـى

على علات أشواقى أطـىـر

مشيرا الى قصة قيس بن ذريح المشهور بمجنون ليلى ..

ويوظف عبدالله بن فودي ثقافته النحوية في المدح فيقول :

ولهم ككسان ومبتدا في جارهم

عمل لغيرهم كلم أوفى يسج

وفي ذلك يقول ذو النون في الغزل :

قد كنت مبتداً وغبى في الهوى

خبرى ومعرفة غدت لم تتكسر

ويقول أيضا في المدح :

ان شئت ذكره وأنت غير

شتان بين مؤنث ومذكر

ويقول أيضا في الغزل :

فما ضم مثلي في الصباية والهوى

ظروف مكان أو ظروف زمان

ويستغل ثقافته في القراءات والنحو أيضا فيقول :

طويتم بساط الانس من بعد نشره

كما كان يطوى قارىء همز وصله

كما استغل ثقافته الفلكية في المدح حيث يقول :

فبنات نعش دون شمس نعاله

بل دون رتبته السهى والمشتري

وفي ذلك أيضا يقول أحمد عيان سه في الرثاء :

قد شط قرن الموت السيد بين كما

يأتي الكسوف بهرج الجدوى والحمل

ومن على الأرض فان لا بقاء له

ولو تخطى الى الجوزاء أوزحل

ر : كثرة استعمالهم للغريب من الألفاظ في أشعارهم ،
فها هو ذا عبدالله بن فودي الوزير يمدح فيأتي بالغريب ويركب متوعر
الألفاظ فيقول :

سج نحو أضواج الأحبة من "سج"

واشرب من الانشاج ماء الترعبج

سج الدموع على منازلهم بهـ

واشف الجنان من الهوم الدسج

قف عندها سل من بها فعمس تجب

حوجاء أولوجاء ترض من شجـ

وهي قصيدة طويلة يصعب على القارى فهمها بدون أن يستعين بالمعاجم
اللغوية .. ويعتبر عبدالله بن فودي أكثر شعراء العربية شغفا بهذه
الظاهرة ..

وها هو ذا محمد بللو أيضا يتناصر بالغريب في مدح شيوخه

فيقول في بعض أبياته :

يا دارسلس بقو اوبخيف منس

اقوت كأن لم تكن صارت لها وطننا

.. خلت كأن بها خيط النعام ضحى

كوم تروت وأمت في الضحى عطنا

وحين لم ألف الفا في معاهدها
سليت نفسي بصعب ان جرى أرنا
فحل سيجل أنيق عوهن ثقف
كأنه قارب أمواجه السفنــــــــــــا
كان رحلي بذي ضال ودارتها
على أقب يجزع يبتغي أتنا
سج فارج ستأنس وحسد
ما تعاوه الكلاب في ضجنا
فأفردوه فأضحى لا يوالفــــــــــــه
عين ولا صجل البهي لذا مزنا
فذاك يهلغني دارا بها نزلت
سحابة العلم تهوى لم تزل زنا...
هذا ، ونكتفي بهذين المثالين لظاهرة الخريب من الألفاظ
في شعر هذه المنطقة ، على أنها ظاهرة ملموسة من جميع شعراء هذه
البلاد ...

هـ : ذكر كثير من الأمكنة في أشعارهم من حصون وحياض
وأنهار ومدن ، وخاصة تلك التي كانت تدور حولها رعى الحرب ..
فها هو ذا عبدالله بن فودي في غزوة " غوبر " يقول :

وكم طلل علمت " بريم " خال
و " شغل " كو " كن " و " غم غم "
وكم يوم " يكن " لنا عليهم
و " طان غادا " و " غردم " أي يوم

فأورد هم " بِخَافِرَا " حوض موت

فقر لأهله بلباس نسوم

ويقول في غزوة " غَار " :

يا أهل " غَار " أَلَمَّا يَكْفِكُمْ " كِشْنَا "

والجار يسمع ما قد حل بالجار

كذا " كَنُتُو " مع " زَكْزَك " وهي قريبكم

و " زَنْفَرَا " مع " غَوِير " نسل " بابَار "

ويقول محمد بللو في انتصارهم على الوثنيين :

سرنا الى " عُكِّي " وفر " الْأُيُون "

قواد أهل الشرك والأحزاب

نزلوا " كُدَاهِي " بالعتو وألبسوا

أهل القرى ووادى الأعراب

ويقول أيضا في غزوة " كنو " :

سائلوا عنا وعن أعدائنا

يوم دار الحرب في " كنو " الحفر

.. لكم كربه فرساننا

في صناديد " كَيَاوَا " المنكسر

ويقول أيضا في إحدى جهادياته :

فحزنا ياتوارك أهل " أَرْبِن "

ففروا كي يخلصكم فرار

وبذكر عبدالله الوزير الحصون التي فتحوها في إحدى غزواتهم فيقول :

فتحنا حصونا بين " كُنْدَ " و " كُنْدَكَا "

تزيد على عشرين بالقهر والقوى

ويقول محمد البخارى في الانتصار على البغاة :

سل أهل " زَنْقَر " عنهم يوم التقوا

" بَأَيْت " بعد تحزب السودان

من أهل " يَأَوِر " كلهم و " كَتَتَكُرُو "

وسواهم من ناصرى الشيطان

ويقول القاضي مجت كل في وصف بسالة " لتجور "

تالله ما سالموا الا لما عهدوا

أيام لا قوك في " كُولُكُول " وفي " لَوَر "

و " يوك " بعد " مخ " فالسلم موجبها

لم يخف أنك يا ضرغام محذور

ويقول في قصيدة أخرى :

وظن أن له منجا ومعتجما

ان صار " جُور " له سكنى و " كَوُور "

ويقول أيضا :

أصدق في ادعاء الدين " لتجور "

أم انما هم في ذاك " كَجُور "

.. فثم ولوهم الأديار فانهزوا

بالذل فادعوا الاسلام في " جُور "

ويقول أحمد عيان سه في الوصف :

قد رجعت " سَانِلُويسَا " روحه وزهى

وسرسور كما شئناه وارتاحنا

هذى شمس " دكار " حل طالما
فينا فكل بما يخفيه قد باحسا
ويقول في الحنين الى " كولخ " :
لست أنسى ظبا " كولخ " فيها
وظبا القنا وعين عمسان
ويقول أيضا في شعره الاجتماعي :
يا أهل " سنغال " لا عاداكم الزمن
لم لا تسير بكم نحو العلو سفن
ويقول الوزير الجنيد في الحنين الى بلده :
لي في المعاهد صبوة لكنها
ليست تعاشر صبوتي في " يولا " .
ويقول في وصف رحلته الى السودان أيضا :
خرجنا بعمون الله من " غس " الى الـ
مطار وكنا كالطيور البواكير
فطارت بنا في الجولوجة الهوا
تدافع أمواج الهوا في الهواجر
هذا ، وقد أعطت هذه الأماكن والحياض والأنهار والحصون والمدن
الشعر العربي في غربي أفريقيا نكهة أفريقية مميزة وأضفت عليه طابعا
اقليميا ميزا انفرده به غصنه من بين أغصان دوحة الشعر العربي
أو الأدب العربي عموما . .

و : بعد شعرهم عن التعقيدات الفلسفية والمق الذهنى ،
واعتمادهم على العفوية والبساطة وعدم التكلف .. ونجد أنفسنا فى غنى
عن ذكر الأمثلة فى ذلك فكل بيت من أبيات شعرهم تقريبا يقوم مثالا
ودليلا على ما قلناه .

ز : موسيقا أشعارهم تدور فى البحور الرحبة غالبا و قليلا
ما تخرج عنها ، فإذا تناولت شعرهم الغنائى بصفة عامة تجد أن الأوزان الأثيرة
عندهم تأتي من حيث الكثرة على النحو التالى :

البسيط ثم الطويل فالكامل ثم الوافر فالخفيف و قليل جدا
خروجهم عن هذه البحور الخمسة .. ولا غرابة فى أن تستأثر هذه
الأوزان أو البحور بمعظم أشعارهم ، فقدمنا كانت الأوزان الأثيرة عند
البحول ..

يقول أبو العلاء المعرى : " والبسيط والطويل ليس فى الشعر
أشرف منهما وزنا ، وعليهما جمهور شعر العرب . وإذا اعترضت الديوان
من دواوين البحول كان أكثر ما فيه طويلا وبسيطا .. والأوزان التى تتقدم
فى الشعر كله خمسة : ثلاثة هى ضرب الطويل بأسرها ، والضرهان الأوزان
من البسيط .

.. ويلى هذه الخمسة فى القوة ثلاثة أوزان وهى الوافر الأول
.. والكامل الأول .. والكامل الثانى .. " (١)

(١) الفصول والغايات ص ٢١٢ - ٢١٤ لاهى العلاء المعرى ط / المكتب
التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت .

لَا تَمْنَعُ

بِوَلَدِ

خاتمة

تبين لنا من خلال دراستنا للشعر العربي في غربي أفريقيا الحقائق الآتية :

أن دخول الاسلام الى هذه المنطقة قديم ، فقد كانت الاشراق الأولى للاسلام على هذه البلاد في أواخر العصر الهجري الأول ، وهي الحقيقة التي ثبتها وتؤكدها حقائق تاريخية تثبت في قدم العلاقة بين هذه المنطقة وبين بعض البلاد الاسلامية كصر وأفريقية ، وهي علاقات كانت في بدايتها تجارية .. وما أن أشرق الاسلام بنوره على الجزيرة العربية ومن ثم على مصر وأفريقية ، حتى تحولت الى علاقات دينية في الدرجة الأولى ..

وأن اللغة العربية واكبت خطوات الاسلام وظلت تتطور حتى أصبحت لغة الادارة الرسمية في شتى ممالك المنطقة .. ونحن على ذكر بما ذكره البكري من استعانة ملك " غانة " .. قبل اسلامه بخبراء الادارة والتراجمة من المسلمين .. كما رأينا دولة " مالي " أيضا تتخذ العربية لغة رسمية ، وكذا دولة " صنعاني " و" دولة الغلاني التي أسسها الزعيم الروحي الشيخ عثمان بن فودي في نيجيريا ..

وأن الفرية الاستعمارية التي تزعم أن حضارة غربي أفريقيا مرتبطة بالغرب مزيفة منقوضة ، ذلك أن الاسلام هو العامل الأول والأخير في صيغ هذه المنطقة بالحضارة الحقيقية والرقى السلوكي .. ويوثق هذه الحقيقة أن القوم كان لهم واقعهم المادي المتمثل في النظم السياسية والعسكرية والاقتصادية .. ونحن على ذكر بما قرره عنها المؤرخون

والجغرافيون العرب المسلمون ، أمثال ابن الفقيه والفزاري وابن
حوقل والعمري والبكري وابن خلدون الذي يقول في أهل " غانة " :
" كانت أعظم أمة ولها أضخم ملك " وقد جعل القلقشندي سلطانها من
بين سلاطين الدنيا الأربعة .. ثم جاء الاسلام فانتشلها من هذا
الواقع المادي الى حضارته التي تجمع في نسيجها بين الرقي المادي والرق
الروحي الذي استشعر الانسان الافريقي تحت ظله كرامته البشرية كما
وجد فيه ضالته الروحية .

وأن الشعر العربي القديم كان له الأثر الأقوى على ملكاتهم
الغنية فيما انتجوه من أشعار ، وربما كان يرجع ذلك الى تشابه الهيئة
التي هي أقرب الى البداوة ..

وأن النخبة الدينية قد غلب على معظم أغراض شعرهم كما غلبت
النخبة الحساسة على أشعار الجهاد ضد الوثنيين أولا ومقاومة الاستعمار
ثانيا ..

وأن لغة أشعارهم في شتى الأغراض الغنائية قد اتسمت بالجزالة
ووعورة الألفاظ أحيانا ، كما اتسمت أشعارهم التعليمية بلغة شعبية
سهلة شديدة القرب من أفهام العامة ..

وأنه لم يتح لأغلب شعراء غربي أفريقيا الاطلاع المنظم على دواوين
الشعر العربي القديم في جميع عصوره ، فيما عدا القوائد الست للشعراء
الجاهليين .. وانما استقوا ثقافتهم الأدبية من كتب تستشهد بهذه
الأشعار ، ولذلك قل الابتكار والتجديد عند الكثرة الكاثرة منهم .. كما
أنه لم تبلغهم بشائر النهضة للشعر العربي الحديث .

وأخيرا ، فاني أتقدم بدعوة جامعات الدول العربية بصفة خاصة
والعالم الاسلامي بصفة عامة ، الى العناية بتراث منطقة غربي أفريقيا
العربي الاسلامي ، وبعثه من غياهب خزائن مكتبات فرنسا وبريطانيا
وجامعات غربي أفريقيا وصرف جهود طلاب الدراسات العليا العربية
والشرعية والتاريخية والحضارية نحو تحقيق ودراسة هذا التراث الثمين
الذي يسهم بنصيب وافرفي اثراء مكتبة التراث العربي الاسلامي . .
هذا ما نرجوه . . والله الموفق . . .

وقل اعلموا فسيرى الله علكم ورسوله والمؤمنون

فَهَرَسُ الدُّعَا وَرَأْسُ الدُّعَا

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

- ابراهيم نياس ،
مجموعة قصائد .
- أبو بكر بن احمد (السكيني) ،
ديوان شعره السمس (جامع الامثال والحكم الفائقة المثل) .
- أبو بكر بن محمود غني ،
ديوان أبي بكر غني .
- احمد بن عبد البكي (الشيخ الخديم) ،
مجموعة أشعار .
- أحمد عيان سه ،
ديوان شعره .
- أسماء بنت عثمان بن فودي (نانا) ،
مجموعة أشعار .
- اسماعيل بن محمد ،
مجموعة أشعار .
- ابن العربي ، له
قصيدة في المدح .
- الجنيد بن محمد البخاري (الوزير) ،
ديوان قصائد الوزير .
- ضبط الملتقطات .
- افادة الطالبين ببعض قصائد امير المؤمنين محمد بللو .

- اتحاف الحاضر برأى المسافر .
- تفريج النفس بذكر زيارة العراق والقدس .
- مجموعات الدعوات والتوسلات .
- روائع الأزهار من روض الجنان .
- الرحلة المستعة الى ليبيا والسودان والجمهورية العربية المتحدة .
- عبدالله بن فودي (الشيخ الوزير) ،
 - تزيين الورقات .
 - البحر المحيط .-
 - الحصن الرصين (الحصن الرصين)
 - مجموعة قصائد .
 - فتح اللطيف الوافي في علمي الخليل والقوافي .
- عبدالرحيم ،
 - مجموعة أشعار .
- عمراهم (القاضي) ،
 - ديوانه " حديقة الأزهار " .
- مالك سه الشيخ ،
 - مجموعة أشعار .
- مجخت كل (القاضي) ،
 - محمد الأمين بن الزبير ،
 - مجموعة أشعار .
- محمد البخاري بن عثمان ،
 - الميل على حب النساء .

- محمد بللو بن عثمان (السلطان) ،
مجموعة قصائد .
مرثية عمه عبدالله .
تخميس بانة سعاد .
مجموعة أشعار .
- محمد أنياس (الشيخ) ،
مجموعة أشعار .
- محمد سنو بن أبي بكر (الوالي) ،
ديوان شعره .
- محمد الناصر (الشيخ الكبرى) ،
النفحات الناصرية في الطريقة القادرية .
- محي الدين كشمه (الشيخ) ،
مجموعة أشعار .
- الهادي توري (الشيخ) ،
القافية المطولة .
مجموعة أشعار .

ثانيا : المطبوعات :

١ - العربية :

- ابن بطوطة ،
- رحلة ابن بطوطة (دار صادر ودار بيروت) .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ،
- العبر وديوان المبتدأ والخبر (دار الكتاب اللبناني) .
- ابن رشيق القيرواني ،
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (طبعة دار الرشاد
- الحديثة - الدار البيضاء) .
- ابن عذاري المراكشي ،
- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب ،
- تحقيق ج . س كولان وأ . ليفي بروفشال ، دار الثقافة بيروت .
- ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي ،
- الشعر والشعراء (دار الكتب العلمية) .
- أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ،
- الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ (المكتب التجاري
- للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت) .
- الادريسي محمد بن عبد العزيز الشريف العلوي ،
- المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس (ليدن) ٨٩٤ .
- الفع محمود كعت (القاضي) ،
- تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (هوداس)
- باريس ١٩٦٤ م .

- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز ،

المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (دى سيلان ، باريس ١٩٦٥ م)

- بها ، الدين العاطلي ،

الكشكول تحقيق الطاهر أحمد الزاوي (دار احيا الكتب العربية) .

- الحريري ،

شرح المقامات الحريري للشريسي ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم

(المؤسسة العربية الحديثة) .

- الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرطي الولاشي ،

فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (دار الغرب الاسلامي بيروت) .

- عبد الرحمن السعدى ،

تاريخ السودان (هوداس ، باريس ١٨٩٨) .

- عبد الله فودي ،

ضياء التأويل في معاني التنزيل .

- القلقشندي ، الشيخ أبو العباس أحمد بن علي .

صبح الاقصى في صناعة الانشا (المؤسسة المصرية العامة) .

- محمد بن سلام الجمحي ،

طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر (دار المعارف) .

- المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي .

الذهب السبوك (لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

- الوزير الغرناطي ،

تاريخ المغرب في العصر الوسيط .

- ياقوت الحموي ، لسان الدين ابن الخطيب ،

معجم الادباء ، (دار المأمون) .

دواوين الشعر :

- شرح ديوان امرى القيس ،
دار صادر ودار بيروت .
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ،
محي الدين عبد الحميد (مطبعة المدني القاهرة) .
- ديوان أبي نواس ، دار صادر ودار بيروت .
- ديوان بشار بن برد ، شرح محمد طاهر عاشور ، ط / لجنة التأليف والترجمة والنشر
- ديوان الخنساء ، دار صادر ودار بيروت .
القاهرة .
- ديوان الخنساء ، دار صادر بيروت .
- ديوان طرفة بن العبد ،
شرح الأعلام الشنتمرى ، مجمع اللغة العربية بدمشق .
- ديوان عنتره ،
تحقيق محمد سعيد مولوى (المكتب الاسلامي) .
- ديوان المتنبي ،
شرح أبي البقاء العكبري - مصطفى الباهي الحلبي وأولاده .
- ديوان النابغة الذبياني ،
تحقيق الدكتور شكرى فيصل (دار الفكر) .
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ،
للاعلام الشنتمرى (دار الفكر) .
- شرح القصائد السبع الطوال ،
لابي بكر بن القاسم الأنباري (دار المعارف) .
- شرح قصيدة بانث سعاد ،
لكعب بن زهير لابن هشام تحقيق محمد حسن أبوناجي ،
(الوكالة العامة للتوزيع)

- مختار الشعر الجاهلي ، لمصطفى السقا

مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

المراجع :

- ابراهيم طرخان (الدكتور) ،

امراطورية غانة الاسلامية (الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

= = = دولة مالي

- أحمد شيخو علاءش (الدكتور)

حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (رسالة دكتوراه) .

- أيهم عباس حمودي القيسى ،

شعراء العقيدة في عصر صدر الاسلام (مكتبة النهضة الحديثة)

- حسن ابراهيم حسن ،

انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ،

مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

- حسنين عيسى عبد الظاهر (الدكتور) ،

الدعوة الاسلامية في غربي أفريقيا وقيام دولة الفلاني (جامعة

الامام محمد بن سعود الاسلامية) الرياض .

- عامر صاحب (الدكتور) ،

الأدب السنغالي العربي (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر)

- عبدالرحمن زكي (الدكتور) ،

تاريخ انتشار الاسلام في غربي افريقيا (دار الاتحاد العربي) .

تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية (المؤسسة

العربية الحديثة) .

- عبد القادر زبادية ،
- ملكة سنفاى في عهد الأسقين (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر) .
- عبدالله بن حامد الحامد ،
- شعراء الدعوة الاسلامية .
- عبدالله كنون ،
- النموغ المغربي في الأدب العربي (دار الكتب للملايين) .
- علي أبوبكر (الدكتور) ،
- الثقافة العربية في نيجيريا (مؤسسه عبد الحفيظ البساط ببيروت) .
- عمرضا كحالة ،
- معجم المؤلفين ، دار احياء التراث العربي ببيروت .
- كامل سلامة الدقس (الدكتور) ، وصف الخيل في الشعر الجاهلى ، دار الكتب الثقافية ،
محمد الربيع (الدكتور) ، الكويت .
- أبو الحسن التهامي حياته وشعره (مكتبة المعارف الرياض) .
- محمد زغول سلام (الدكتور) ،
- الأدب في العصر المملوكي (دار المعارف) -
- محمد الغريبي (الدكتور) ،
- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي (مؤسسه الفليح للطباعة
والنشر الكويت) .

٢ - المراجع الأجنبية :

- Encyclopedia International , New York.
- Encyclopedia Britanica, London 1938. Chicago 1978.
- Thomas Aguinas
Every man's Encyclopedia, New York Ed. Dotton Co.,
i nc. 1931-32
Eric Patridge
Short Etymotogical Dictionary of moderna English
origin, Lndon.
- C.T. Lewis and C. Short,
A latin Dictionary , Oxford.
- M. Hiskett, The Development of Islam in West Africa,
Longman, London , and New York 1984.
- Bartts H., Travels and Dicoveries in north and
central Africa in the years 1809-1855, London 1858.
- P.B. Clarke ,
West Africa and Islam, Edward Arnold, London, 1982.
- Palmer H.R.,
Sudanese Memoirs Volume III, London 1920.
- Hoben S.J.,
The Muhammadan Emirates of Nigeria, London 1930.
- Trimingham J.S.
Islam in West Africa, Oxford University press, 1972.

محتوى الرسالة

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
اهداء	-
كلمة شكر	-
مقدمة	٥ - ١٢
<u>تمهيد : فجر الاسلام في غربي أفريقيا</u>	٣ (١) - ٤٩
أ - الاشرقة الاولى للدين الحنيف على هذه المنطقة.	
ب - انتشار اللغة العربية في هذه البلاد .	
ج - دعوة المسلمين من أهل المنطقة الممالك الوثنية الى الاسلام.	
د - جهاد المعاندين .	
هـ - كفاح المستمرين .	
<u>الباب الاول : حياة الشعر العربي في غربي أفريقيا .</u>	٥٠ - ٢٥٦
<u>الفصل الاول : نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا .</u>	٥١ - ٦٨
أ - المناخ الثقافي الذى نشأ فيه الشعر العربي في غربي أفريقيا .	
ب - حالة اللغة العربية في تلك الفترة .	
ج - أهم المؤلفات العربية التي كانت تدرس في المساجد والزوايا والخلوات .	
د - أقدم النصوص الشعرية التي كانت متداولة بين طلاب العلم .	
هـ - مراكز الاشعاع للثقافة العربية الاسلامية في المنطقة .	
<u>الفصل الثاني : الجذور الفنية للشعر العربي في غربي أفريقيا .</u>	٦٩ - ١٠٨
أ - أثر الجاهليين في هذا الشعر .	
ب - أثر شعراء الحضرة والاسلام .	
ج - أثر المحدثين .	
د - أثر شعراء الدول المتتابعة .	

الموضوع

الصفحة

- الفصل الثالث : فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا . ١٠٩ - ٢٥٦
- أ - الشعر الغنائي (مدح - رثاء - غزل - وصف - جهاد - شكوى
وحنين - مناسبات) .
- ب - الشعر التعليمي (شعر الزهد والوعظ والارشاد - منظومات
علمية) .
- الباب الثاني : شعراء غربي أفريقيا . ٢٥٧ - ٤٣٨
- الفصل الأول : شعراء السنغال . ٢٥٨ - ٣٣٨
- أ - يونس ذو النون - مختارات من شعره ٢٥٩
- ب - القاضي مجخت كل - مختارات من شعره ٢٨٣
- ج - أحمد عيان سه - مختارات من شعره ٢٩٨
- د - الشيخ الهادي توري - مختارات من شعره ٣١٩
- الفصل الثاني : شعراء نيجيريا . ٣٣٩ - ٤٠٥
- أ - الشيخ عبد الله بن فودي - مختارات من شعره ٣٤٠
- ب - الامير محمد بللو - مختارات من شعره ٣٦٨
- ج - محمد البخاري - مختارات من شعره ٣٨٦
- د - الوزير الجنيد - مختارات من شعره ٣٩٣
- الفصل الثالث : الملامح المميزة للشعر العربي في غربي
أفريقيا . ٤٠٦ - ٤٣٨
- أ - أثر الروح الدينية في أشعارهم . ٤٠٧
- ب - الآفاق التي يستوحون منها معانيهم وصورهم وأخيلتهم ٤١٩
- ج - أثر التكوين الثقافي في نسيج أشعارهم ٤٣١
- د - كثرة استعمالهم للألفاظ الغريبة في أشعارهم ٤٣٣

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
هـ - ملامح البيئة الأفريقية في هذا الشعر .	٤٣٤
و - حفظ أفكارهم من العمق الذهني والتأمل الفلسفي	٤٣٨
ز - موسيقى الأوزان الأثيرة في شعرهم	٤٣٨
<u>خاتمة .</u>	٤٣٩ - ٤٤٢
<u>المصادر والمراجع .</u>	٤٤٣ - ٤٥٢
<u>محتوى الرسالة .</u>	٤٥٣ - ٤٥٥